مؤتمر

السقيفة

دراسة موضوعية لأخطر حادث في تاريخ الإسلام السياسي

باقر شريف القرشي

مؤتمر السقيفة

دراسة موضوعية لأخطر حادث
في تاريخ الإسلام السياسي

تأليف

باقر شريف القرشي

قرشی ، باقرشریف ، ۱۹۲۶ - م .
مؤتمر السقيفة : دراسة موضوعيّة لأخطر حادث في تاريخ الإسلام السياسي / تأليف باقرشريف القرشی . ـ قم : مهر اميرمؤمنين ، ۱۴۲۶ ق . = ۲۰۰۵ م . = ۱۳۸۴ .
۲۵۶ص .　　　　ISBN : 964 - 8173 - 3 - 44
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا .
كتابنامه: به صورت زيرنويس
۱ . سقيفه بنی‌ساعده . ۲ . علی بن ابيطالب عليه السلام ، امام اوّل ، ۲۳قبل از هجرت - ۴۰ق . ـ اثبات خلافت . ۳ . اسلام ـ تاريخ ـ از آغاز تا ۴۱ق . الف . عنوان .
۸۵م۴ق/BP۲۲۳/۵۴　　　　۲۹۷/۴۵۲
كتابخانه ملّى ايران

مؤتمر السقيفة

دراسة موضوعية لأخطر حادث في تاريخ الإسلام السياسي

باقر شريف القرشي

الناشر : مهر امير مؤمنين

المطبعة : شريعت

تصميم الغلاف : علي دخيل

الطبعة الأولى : ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م

عدد النسخ : ٢٠٠٠ نسخة

شابك
ISBN 964 - 8173 - 3 - 44　　٩٦٤ _ ٨١٧٣ _ ٣ _ ٤٤

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَا مُحمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ
الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ
وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً
وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾

سورة آل عمران: الآية ١٤٤

الإهداء

إلى الذين يهمّهم دراسة التاريخ الإسلامي على واقعه، غير خاضعين للمؤثّرات التقليديّة، أرفع لهم هذه الدراسة عن مؤتمر السقيفة على ضوء العلم والتتبّع الجادّ، آملاً أن تكون من وسائل التصحيح لقضايا التاريخ.

المؤلّف

تقديم

١

إنّ المؤتمرات السياسيّة التي تعقد في معظم أنحاء العالم إنّما يُكتب لها النجاح ، ويخلد أعضاؤها في قائمة المخلصين لأوطانهم إذا تبنّت الأهداف الأصيلة التي تنشدها الأُمّة في ضمان استقلالها وحرّيتها وسائر حقوقها الاقتصاديّة والتربويّة ، أمّا إذا لم تعن بهذه الأهداف ، وانسابت وراء أغراضها الشخصيّة ، كالظفر بمناصب الحكم والاستيلاء على ثروات البلاد وخيراتها ، فإنّها من المؤكّد تعصف بمكوّنات الأُمّة ، وتمزّق شملها ، وتفرّق وحدتها وتلقيها في شرّ عظيم .

٢

وأوّل مؤتمر سياسي عقد في الإسلام هو مؤتمر السقيفة ، وقد انعقد بعد وفاة النبيّ ﷺ مباشرة ، وقبل أن يوارى جثمانه المقدّس في مثواه الأخير ، وقد بدا الصراع بين أعضاء المؤتمر كأشدّه على الاستيلاء على السلطة من دون أن ينطلق صوت واحد مطالباً بمصلحة الأُمّة ، وضمان حقوقها بعد ما منيت به من هول الكارثة المدمّرة ،

وهي وفاة المنقذ العظيم النبيّ ﷺ ، فلم تحدّثنا الوثائق التأريخيّة بموقف حاسم لأحدٍ منهم حتّى في تأجيل الانتخاب حتّى تستقرّ الأوضاع ، وينظر إلى من ترشّحه الأُمّة باختيارها .

٣

ونظرة خاطفة في التأريخ يتضّح مدى الصراع الهائل على الحكم بين المهاجرين بزعامة أبي بكر ، وبين الأنصار وزعيمهم سعد بن عبادة ، فقد دوّى في ساحة المؤتمر صوت أبي بكر مخاطباً الأنصار قائلاً : « نحن الأُمراء وأنتم الوزراء » ، فقد منّاهم ، أو أرشاهم ، بالوزارة على رأي بعضهم .

ومن المؤكّد أنّه ليس هناك أي تجاوب من المؤتمرين على رعاية المسلمين ، والنظر بدقّة في شؤونهم الاجتماعيّة وما هو الصالح لحاضرهم ومستقبلهم ، كلّ هذه الأُمور اُلقيت في سلّة المهملات ، واتّجه المؤتمرون لمصالحهم الخاصّة من دون أن يعنوا بالصالح العام ، وما يضمن للأُمّة سلامتها .

٤

وفاز أبو بكر بالحكم بلباقته ، ولين كلامه ، وشدّة وزيره ، وباني دولته عمر بن الخطّاب ، وتخلّف عن بيعته سيّد العترة الطاهرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وكوكبة من أعلام الإسلام ، أمثال الصحابي العظيم عمّار بن ياسر ، الطيّب ابن الطيّب ، والمجاهد الكبير أبو ذرّ الغفاري ، والصحابي المحمّدي سلمان الفارسي ، وأمثالهم من عيون الإسلام ، وقد حمل عمر النّاس بعنف وشدّة على البيعة لأبي بكر ، وسنعرض إلى تفصيل ذلك في بحوث هذا الكتاب ببحث حرّ ، جهد ما توصّل إليه تتبّعي في وثائق التأريخ .

٥

والشيء المحقّق أنّ مؤتمر السقيفة قد أخلد الفتن للمسلمين وألقاهم في شرّ عظيم بتجرّد من كلّ هوى أو عاطفة مذهبيّة .

إنّ جميع الأحداث المروعة التي اُبتلي بها المسلمون كانت من النتائج المباشرة لمؤتمر السقيفة ، والتي كان منها كارثة كربلاء التي لم يراعوا فيها حقّ النبيّ ﷺ في أبنائه وعترته ، فقد حصدتهم السيوف الأمويّة في صعيد كربلاء ، كما جرت على مخدّرات الوحي من صنوف الذلّ والقهر ما لا يوصف لمرارته ، ورحم الله كاشف الغطاء إذ يقول :

تَـالله مـا كَـربلا لولا سَـقيفتُهُم ... ومِثْلُ هذا الفَرعِ ذاكَ الأَصْلُ انْتَجَهُ

ويقول بولس سلامة :

وتَوالَت تحتَ السَّقيفةِ أحداثٌ ... أثـارَتْ كَـوامِـناً ومُـيولا

نَزعاتٌ تَـفرّقَتْ كَـغُصونِ العَـو ... سجِ الغـضِّ شـائِكاً مَـذحولا

إنّ مؤتمر السقيفة كان فاتحة لجميع الكوارث المدمّرة التي مني بها المسلمون منذ فجر تأريخهم حتّى يوم النّاس هذا.

٦

وليس من الوفاء للاُمّة ، ولا للتأريخ ، ولا للعلم أن تظلّ بعض الأحداث الجسام المرتبطة بحياتنا الفكريّة والعقائديّة قد خفيت على النّاس ، وطويت حيثيّاتها ومكوّناتها من دون أن تعرض للدراسة والتحليل ، فإنّ إخفائها طمس للحقائق ، وإغراء

للأُمّة بالجهل ، وإقصاء لحكم العقل ، وعزل للمناهج العلميّة الحاكمة في الأحداث.

إنّ مؤتمر السقيفة من أهم الأحداث الحسّاسة في حياة المسلمين ، ويجب أن تدرس بأمانة وإخلاص على ضوء الفكر والعلم بعيدة عن التيّارات المذهبيّة ، ومن المؤكّد أنّ دراستها والتأمّل فيها ، والنظر في فصولها بدقّة يعود على الأُمّة بالثمرات النافعة التي منها جمع الكلمة ووحدة الشمل.

٧

وليس من المنطق في شيء القول بإلغاء البحث عن السقيفة وإهماله ، وعدم الخوض بأي جانب من جوانبه ؛ لأنّه يمسّ كرامة بعض الصحابة ، ويسيئ لمكانتهم وقداستهم ، فإنّ هذا التعليل ليس بوثيق ؛ لأنّ البحوث العلميّة النزيهة بعيدة كلّ البعد عن الإساءة لأي شخص كان ؛ لأنّ فيها إبرازاً للحقائق التي خفيت على النّاس.

إنّ الذي يضرّ ويفرّق ويسيئ إنّما هو التدليس وإخفاء الواقع ، وإلقاء الستار على ما ينفع النّاس وتصحيح عقائدهم ، وما يدينون به... إنّ إبراز التأريخ على واقعه ، غير مشفوع بالكذب والحقد ، ليس من مقولة التفريق ، ولا من موجبات التصديع في شيء.

٨

في طليعة هذا الكتاب البحث عن موقف الإسلام من الخلافة ، وأنّها من صميم حياة المسلمين ، وتأكيد النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله البالغ على ضرورتها ، وأنّها عنصر هامّ في حياتهم السياسيّة والاجتماعيّة ، لا تستقيم لهم حياة من دونها ، وأنّه صلى‌الله‌عليه‌وآله قد تبنّى بصورة إيجابيّة موضوع الخلافة ، فأقام وصيّه وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام إماماً للأُمّة ، وقائداً عاماً لمسيرتها ، مدعماً ذلك بأوثق الأدلّة العلميّة والتأريخيّة.

ومن بحوث هذا الكتاب الفتنة الكبرى التي مني بها المسلمون وامتحنوا بها امتحاناً

شديداً ، وهي حادثة السقيفة ، ودراستها دراسة موضوعيّة وشاملة بعيدة عن التيّارات العاطفيّة والمذهبيّة ، ثمّ عرض لبعض البحوث التي تتّصل بهذا الموضوع وترتبط به .

٩

ومن المؤكّد أنّ هذه البحوث ليس فيها أيّة دعوة لتفريق المسلمين ولا تصديع لشملهم ، وإنّما هي دراسة جادّة لأخطر حدث سياسي في تاريخ الإسلام .

إنّ الخوض في أمثال هذه البحوث التي ترتبط بعقائدنا يجب أن تكون نزيهة ومجرّدة من كلّ نزعة طائشة تدفع إلى التضليل والتخريب وتصديع الكلمة وتمزيق الشمل .

إنّ الإسلام بكلّ اعتزاز يناهض الجمود الفكري ، ويدعو إلى تحرير العقل والنظر في مجريات الأحداث ، وليس من الإسلام في شيء التقليد في الشؤون الاعتقاديّة ، وإنّما الواجب على المسلمين أن ينظروا بوعي إلى واقع الأحداث ، ويفتحوا آفاق أفكارهم للنظر فيما يخصّ عقيدتهم ، وتأريخهم ، فقد عمد الحكم الأموي والعبّاسي إلى افتعال الأحاديث فيما يتّصل بعقيدة المسلمين وتأريخهم دعماً لحكمهم القائم على الظلم والطغيان ، وإذلال المسلمين وقهرهم ، إنّ الشؤون العقائديّة قد خلطت بكثير من الموضوعات والمفتريات التي لا نصيب لها من الصحّة ، فيجب النظر فيها بوعي وتأمّل ، صيانة للإسلام وحفظاً لأصالته وكرامته منها .

مكتبة الإمام الحسن العامّة

النجف الأشرف

باقر شريف القرشي

١٥ / شعبان المعظّم / ١٤٢٥هـ

تمہید

فجّر النبيّ ﷺ ثـورته العـملاقة في مجـتمع جـاهلي لا يمـلك أي بـصيص مـن النور في آفاق نفسه، قد خلد إلى الجهل، وانساب في مآثم الحياة، يـئد البـنات، وبنى حياته الاقتصاديّة على الظلم والعدوان، فـالقويّ يـغزو الضـعيف ويـنهب بلغة عيشه. إنّ ذلك المجتمع لا يملك أي بند من مقوّمات الحـضارة، وليس عـنده أي رصيد من القيم الإنسانيّة. قد انساب شـبابه وفـتيانه وشـيوخه في مـيادين اللهو والدعارة والمجون.

لقد أحدثت الثورة الإسلاميّة المـباركة زلزالاً مـدمّراً في ذلك المجـتمع المـنحطّ في عاداته وتقاليده... وأوّل بادرة من النور رفعها النبيّ ﷺ في مكّـة هـي كـلمة «لا إلـه إلّا الله»، التي هي أثمن ما في الوجـود، وسرّ الحـياة، ثمّ انـبرى لغسـل أدمغتهم، وتزكية نفوسهم من عـبادة الأوثـان والأصـنام الشـائعة في مكّـة التي هي من صنع أيديهم.

لقد زلزلت الأرض تحت أقدامهم، وودّوا أنّهم ساخوا فيها، لمـا رأوا الإمـام أمير المؤمنين عليه السلام قد اعتلى على كتف النبيّ ﷺ وهو يأخذ الأصنام من على ظـهر الكعبة ويقذفها على الأرض، وهو يتلو قول الله تـعالى: ﴿ قُـلْ جَـاءَ الْحَقُّ وَزَهَـقَ

﴿الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾[١] ، وقد ورمت آنافهم ، وانتفخ سحرهم ، وضاقت بهم الأرض ، وهذه لمحات عن الإسلام:

١ ـ من بين ما عنى به الإسلام إعلان حقوق الإنسان ، فقد رفع شعار العدالة الكبرى بين النّاس ، والتي من أبرزها المساواة الكاملة بينهم ، مساواة في الحقوق والواجبات ، ومساواة في الضرائب والحقوق الماليّة التي هي للدولة أو لفقراء الناس ، كالزكاة ، فلا فرق فيها بين أحد وأحد ، ومساواة أمام القانون ، سواء أكان رئيس الدولة أم غيره من سواد المجتمع وضعفائهم ، وليس لأي أحد حصانة أو امتياز إن اقترف خلاف حكم الله تعالى.

٢ ـ كما أنّ من بنود الثورة الإسلاميّة إشاعة العلم ، وإقصاء الجهل ، فالعلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة ، وقد عهد النبيّ ﷺ إلى بعض الأسرى من قريش بتعليم بعض صبيان المسلمين عوضاً عن جزية فدائهم ، وكان الجامع النبوي مركزاً لتعليم الأحكام والآداب الإسلاميّة ، وقد تربىّ فيه معظم الصحابة ، ورووا الكثير من أحاديث النبيّ ﷺ وأحكامه وسننه وسيرته.

٣ ـ ومن مشاعل الثورة الإسلاميّة تحريم الربا بصورة قاطعة ، وقد فشا في مكّة ، وتكدّس الثراء العريض عند فئة من المرابين ، كان منهم : أبو سفيان عميد الأُسرة الأمويّة ، وزوجته هند أُمّ معاوية ، والعبّاس بن عبدالمطّلب ، وأبو جهل ، وغيرهم من طواغيت القرشيّين وأثريائهم ، وكانت الطبقة الفقيرة ترهن أبناءها وثيقة عندهم للحصول على المال الربوي.

ومهما يكن الأمر ، فإنّ القرشيّين قد ضاقوا ذرعاً من تحريم الربا الذي هو

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٨١.

العمود الفقري للاقتصاد السائد في مكّة ، وكان من نتائجه انتشار الفقر والفاقة عند الكثيرين ، وتكدّس الثراء عند المرابين.

٤ ـ وشيء آخر في الثورة الإسلاميّة بالغ الأهمّية ، وهو تحرير المرأة من العبوديّة والقهر والذلّ ، ومساواتها للرجل في جميع الحقوق والواجبات.

لقد بالغ المجتمع الجاهلي في إذلال المرأة ، والاستهانة بها ، فكانت سلعة تباع وتُشترى كسائر السلع ، وقد عمدت بعض القبائل إلى دفن البنات وهنّ أحياء ، وشاع المثل في ذلك : « دفن البنات من المكرمات » ، وكان الولد إذا توفّي أبوه عمد إلى زوجته فتزوّج بها ، أو زوّجها لشخص آخر ، وأخذ مهرها ، أمّا الإسلام فكان نعمة على المرأة ، وقد وجدت في رحاب تشريعه ، ما لم تجده في أي دين أو نظام اجتماعي على امتداد التأريخ ، وكان من رعاية النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله لها أن جعل البارّ بها من خيار اُمّته.

قال صلى‌الله‌عليه‌وآله : « **خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنا خَيْرُكُمْ لِأَهْلي ، ما أَكْرَمَ النِّساءَ إِلّا كَرِيمٌ ، وَلا أَهانَهُنَّ إِلّا لَئِيمٌ** »(١).

وكان صلى‌الله‌عليه‌وآله يشيد في فضل بضعته في مجلسه وعلى منبره ، وقد اُثرت عنه كوكبة من الأحاديث في سموّ منزلتها ، وعظيم شأنها ، قال ـ فيما أجمع الرواة على نقله ـ :

ـ قال النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله لفاطمة عليها‌السلام : « **إِنَّ اللهَ يَغْضَبُ لِغَضَبِكِ ، وَيَرْضىٰ لِرِضاكِ** »(٢).

---

(١) كنز العمّال : ١٦/٤٠٨.

(٢) مستدرك الحاكم : ٣/١٥٣. اُسد الغابة : ٥/٥٢٢. الاصابة : ٨/١٥٩. تهذيب التهذيب : ٢/٤٤١. كنز العمّال : ٦/٢١٩. فضائل الخمسة من الصحاح الستّة : ٣/١٥٦. ميزان الاعتدال : ١/٥٢٥.

«فاطِمَةُ بِضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَها أَغْضَبَني»[١].

«إِنَّما فاطِمَةُ شَجْنَةٌ[٢] **مِنِّي، يَبْسُطُني ما يَبْسُطُها، وَيَقْبِضُني ما يَقْبِضُها»**[٣].

وهذه الأحاديث تحكي معنى واحداً، هو سموّ مكانة الزهراء عليها السلام، وعظيم شأنها عند الله تعالى ورسوله، كما فيها درس للمسلمين لتعظيم نساءهم، ومقابلتهنّ بالتكريم والتبجيل.

٥ ـ وشيء آخر من بنود الثورة الإسلاميّة العظمى هو تبنّي النبيّ صلى الله عليه وآله الضعفاء والأرقّاء والمستضعفين من الرجال والنساء، فقد احتفوا به، وآمنوا برسالته، وتيقّنوا أنّهم سيكونون السادة، وطغاة قريش وجبابرتها سيكونون أرقّاء مستضعفين، فقد أُثر عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال لأصحابه:

«إِنَّ اللهَ تَعالىٰ أَعَزَّ بِالْإِسْلامِ مَنْ كانَ ذَليلاً، وَأَذَلَّ بِالْإِسْلامِ مَنْ كانَ عَزيزاً»[٤].

لقد ألف الإسلام واستحبّه وآمن به الفقراء والضعفاء والبؤساء؛ لأنّه يزيل ما بينهم وبين غيرهم من فروق؛ ولأنّه ينزع ما في صدورهم من غلّ، ويوفّر فيهم المحبّة والصفاء.

وآمنت بالإسلام جمهرة من النساء، فكانت المرأة المسلمة تنفر من زوجها

---

(١) صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق: ٤/٢١٠ و ٢١٩. كنز العمّال: ٦/٢١٠. فيض القدير: ١/٤٢١.

(٢) **الشجنة**: الرحم.

(٣) كنز العمّال: ١٢/١١١. مستدرك الحاكم: ٣/١٥٤.

(٤) الكافي: ٥/٣٤٠، الحديث ١.

وتبتعد عنه إذا كان كافراً ولم يسلم، ممّا أوجب اضطراب القرشيّين، وشيوع العداء لهذا الدين الذي أراد لهم السعادة، والحياة الكريمة القائمة على الفضيلة.

اضطراب القرشيّين

واضطرب القرشيّون من النبيّ ﷺ كأشدّ ما يكون الاضطراب، فقد سفّه النبيّ ﷺ عقائدهم فيما يعبدونه من الأوثان والأصنام، التي اعتادوا على عبادتها هم وآباؤهم، فقد أنكر ونقم عليهم عبادتها، ودعاهم إلى عبادة الله تعالى خالق الكون، ومن بيده جميع مجريات الأحداث، إنّ الأصنام التي صنعوها بأيديهم لا تضرّ ولا تنفع، كما عاب عليهم تقاليدهم وعاداتهم، كشرب الخمر واقتراف الزنى وغير ذلك من صنوف الفحشاء.

وقد ضاقوا ذرعاً من النبيّ ﷺ وشاعت في بلادهم الاضطرابات، وفسد عليهم رقيقهم، وبعض أبنائهم ونسائهم ممّن صبوا إلى الإسلام، وقد اجتمع الملأ منهم فرأوا أن يتّهموا النبيّ ﷺ ببعض الصفات الممقوتة ليصدّوا النّاس عنه، وهي:

١ ـ الكذب.

٢ ـ السحر.

٣ ـ الجنون.

وباءت هذه الاتّهامات بالفشل، فمحمّد ﷺ قد عُرف في جميع أوساطهم بالصادق الأمين، ولا علاقة له بالسحر، وهو أعقل النّاس، فلم يفلحوا ولم ينجحوا في تهمهم هذه.

تعذيب المؤمنين

وصبّ الطغاة من قريش جام غضبهم على من آمن بالإسلام من الضعفاء الذين لم يكن لهم ركن شديد يأوون إليه ، وكذلك على الأرقّاء ، فقد عذّب عمّار وياسر وسميّة بأشدّ ألوان التعذيب حتّى استشهد ياسر وسميّة ، ونجا عمّار ، كما عذّب بلال الحبشي ، وعبدالله بن مسعود ، وغيرهم بجميع ألوان التعذيب ، وأقساه وأشدّه ، ولكنّهم لم يحفلوا به ، وبقوا صامدين على عقيدتهم هازئين وساخرين منهم.

الهجرة للحبشة

واضطرّ المسلمون إلى الهجرة إلى الحبشة فراراً من التعذيب وفراراً من عنف القرشيّين والتنكيل بهم ، والتجأوا إلى وطن يعبدون الله تعالى فيه ويؤدّون فرائضه بحرّية وأمن ، لا يخشون كيد الكائدين ، وظلم الظالمين ، وقد جهدت قريش على إرجاعهم إلى مكّة لتعذيبهم أشدّ العذاب وأقساه إلّا أنّ حاكم الحبشة أبى أن يرجعهم ، وظلّوا تحت حمايته يمارسون صلاتهم وعبادتهم بأمن وسلام.

وكان من جملة المهاجرين للحبشة الشهيد الخالد جعفر الطيّار شقيق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقد فرّ من مكّة بإيمانه تاركاً وطنه وأُسرته ، وقد وجد إخوانه المهاجرون فيه التسلية عمّا يجدونه في نفوسهم من الهمّ في الغربة ومفارقة أهاليهم وأوطانهم ، وكان بهم عطوفاً ومواسياً لهم في آلامهم وشجونهم.

النبيّ في يثرب

وأجمعت قريش على تصفية جسد النبيّ صلى الله عليه وآله بعد أن رزئ بوفاة عمّه حامي

الإسلام، وشيخ البطحاء أبي طالب، الذي كان قوّة ضاربة لحمايته، فقد استضعفته قريش بعده إذ لم تكن له قوّة تحميه، ولم يكن يأوي إلى ركن شديد.

وأحاطت العصابة المجرمة من قريش بدار النبيّ ﷺ في غلس الليل، وكان عددهم ـ فيما يقول الرواة ـ أربعين رجلاً مدجّجين بالسلاح، فخرج النبيّ ﷺ من بينهم وأخذ حفنة من التراب فرمى بها وجوههم القذرة، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[١]، وقد أقام النبيّ ﷺ في فراشه أخاه ووصيّه وابن عمّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أنفق ليله ساهراً يدعو الله تعالى أن ينقذ ابن عمّه من هذه العصابة المجرمة، ولمّا اندلع نور الصبح هجم القوم على فراش النبيّ ﷺ متيقّنين أنّه فيه.

فنهض الإمام عليه السلام شاهراً سيفه. ففزعوا منه وصاحوا به:

«أين محمّد؟».

فقابلهم بعنف وصرامة قائلاً:

«**جَعَلْتُموني حارِساً عَلَيْهِ؟**».

وقفلوا منهزمين إلى منازلهم يلاحقهم الأسى والخزي والعار.

وسلك النبيّ ﷺ في طريقه إلى يثرب إلى جبل فدخل في غاره، ومعه أبو بكر وقد أحاط به الحزن والخوف من قريش، والنبيّ يصبّره ويقول له:

«لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ تَعالىٰ مَعنا»، وفيه نزلت الآية: ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ

---

(١) سورة يس: الآية ٩.

إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَتَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلىٰ وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[١].

وسار النبيّ ﷺ إلى يثرب يجدّ في السير لا يلوي على شيء حتّى انتهى إليها ، وقد استقبل استقبالاً حاشداً ، فلم يبق أحد في المدينة إلّا خرج إلى استقباله ، وقد عمّت فيها الأفراح والمسرّات ، ووجد النبيّ ﷺ فيها الحماية والأمن والاستجابة الكاملة لدعوته ، والإيمان برسالته ، وقد سرّ بذلك سروراً بالغاً .

تأسيس الدولة الإسلاميّة

وقام النبيّ ﷺ بتأسيس دولته العظمى التي تبنّت حقوق الإنسان وكرامته وأمنه ورخائه وتعليمه ، فقد قام أوّلاً بتأسيس جامعه الذي كان مركزاً لدولته ، فمنه تتّخذ القرارات ، وبه تعلن الأحكام ، وفيه تبرم العقود والمعاهدات ، وكان من بين ما أعلن فيه :

الاخوّة الإسلاميّة

أعلن النبيّ ﷺ فور استقراره في المدينة الاخوّة الإسلاميّة ، فقد آخى بين الأوس والخزرج وبين المهاجرين والأنصار ، وتعتبر هذه الاخوّة أوثق من رابطة النسب والدم ، ولم يبق إلّا هو فآخى بينه وبين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وقال له : «أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنيا وَالْآخِرَةِ»[٢].

---

(١) سورة التوبة : الآية ٤٠.

(٢) صحيح الترمذي : ٢/٢٩٩. مستدرك الحاكم : ٣/١٤.

سنّ القوانين

والشيء المؤكّد أنّ الحضارة الإنسانيّة لا يمكن أن تتحقّق إلّا في ظلّ تأسيس قانون للدولة يحمي المواطنين من غائلة الاعتداء، ويضمن الحقوق العامّة والخاصّة للمجتمع والفرد، فإذا لم يكن هناك قانون فلا حضارة، حسبما أكّد عليه علماء القانون.

وقد قنّن الإسلام أحكام الدولة، وما يتّصل بسياستها الداخليّة والخارجيّة والاقتصاديّة والعسكرية وسائر شؤون الموظّفين في جهاز الدولة، ونجد هذه البنود متوفّرة في عهد الإمام للزعيم مالك الأشتر، وغيره من الوثائق السياسيّة التي عالجت بدقّة وموضوعيّة جميع ما يتّصل بالدولة من العقود والمعاهدات مع الدول الخارجيّة.

إنّ الإنسانيّة مهما تطوّرت، وأبدعت في وضع القوانين للدولة، فإنّها لم تستطع أن تنشئ الأنظمة السياسيّة التي وضعها الإسلام، والتي تساير الزمن والتطوّر العالمي في جميع مراحل التأريخ.

كما نظر الإسلام بعمق وشمول إلى الإنسان منذ بداية تكوينه إلى المرحلة الأخيرة من حياته، فسنّ له أروع الأحكام وأكثرها أصالة، وقد عرضنا لها بصورة مفصّلة في كتابنا الماثل للطبع «الإسلام منهج مشرق للحياة».

وعلى أي حال، فإنّ هذا المجهود الضخم من الأنظمة والأحكام التي أقامها الإسلام يستحيل أن يتركها الرسول ﷺ من دون حارس أمين عليها، يطبّقها بدقّة على حياة النّاس من بعده، ومن خطل القول وأكثره بعداً عن الواقع القول بأنّ الرسول ﷺ أهمل هذه الجهة إهمالاً تامّاً، وتركها للمسلمين يصنعون ما شاؤوا،

فإنّ هذا من سخف القول؛ إذ كيف يترك هذه الجهة الحسّاسة والتي يرتبط بها مصير المسلمين ويلقيها في سلّة المهملات، وسنوضّح هذه الجهة بمزيد من التفصيل في البحوث الآتية.

فزع القرشيّين

وفزع القرشيّون كأشدّ ما يكون الفزع من هجرة النبيّ ﷺ من مكّة إلى يثرب، فقد أيقنوا أنّه سوف يلاحقهم، وينتقم منهم على ما أفرطوا في حقّه من التنكيل والاضطهاد والعزم على قتله، وما أنزلوه من الضربات الموجعة والقاسية بمن آمن به من أصحابه، فأجمعوا على مناجزته، وقتله، وتصفية من آمن به، فجهّزوا الجيوش لقتاله، ومن بين هذه الحروب التي خاضوها معه هي:

١ ـ واقعة بدر

أمّا هذه الواقعة فكانت بقيادة أبي جهل، العدوّ الألدّ لرسول الله ﷺ، فقد جاء بجيش مكثّف لحماية أبي سفيان حينما جاء من الشام ومعه الأموال والبضائع التي جلبها من الشام. والتي تعود إلى قريش، وقد أوعز النبيّ ﷺ لأصحابه مصادرتها ليتقوّى بها المسلمون، وتكون ضربة قاسية لقريش، وعلم أبو سفيان ذلك فسلك طريقاً غير الطريق العامّ، ونجا، وأقبل الجيش من مكّة يجدّ السير لا يلوي على شيء حتّى انتهى إلى بدر، وكان النبيّ ﷺ مقيماً فيه للاستيلاء على تجارة أبي سفيان الذي نجا منه، ورأى أبو جهل مع أعضاء قيادة جيشه أن يناجز النبيّ لقلّة أصحابه، ووفرة عددهم وضخامة سلاحهم، فشنّوا الحرب على المسلمين، وقد كتب الله تعالى النصر المبين لنبيّه، فقد مني أبو جهل وعصابته بخسائر فادحة، فقد قتل المسلمون أبا جهل وعيون القرشيّين من جيشه، وأسروا

منهم سبعين مقاتلاً، وألقيت جثث قتلاهم في بئر هناك، كما صادروا معظم أجهزتهم.

لقد انهزم القرشيّون شرّ هزيمة، أمّا معظم القتلى فكانت بسيف بطل الإسلام والمجاهد الأوّل، الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حسبما نصّت على ذلك مصادر السيرة النبويّة والتأريخيّة.

وقد سجّلت واقعة بدر النصر الحاسم للإسلام والهزيمة للمشركين، فقذف الله تعالى في قلوبهم الرعب، وملأ قلوب المسلمين إيماناً ويقيناً بالنصر الحاسم لهم على أعدائهم.

٢ ـ واقعة اُحد

وقفلت قريش إلى مكّة، وهي منكسرة ذليلة تذرف أحرّ الدموع على قتلاها، وقد استقبلتهم النساء بالصراخ على قتلاهنّ، وكانت هند اُمّ معاوية قد انطوت على حزن عميق في نفسها، فقد قتل أبوها وأخوها وأعلام اُسرتها، وراحت تحرّم البكاء على القتلى حتى يبقى الحزن مقيماً في دخائل النفوس لا يريم عنهم حتّى يأخذوا ثأرهم من النبيّ صلى الله عليه وآله، ومضت قريش تجمع الجيوش وتمدّها بالعتاد والسلاح.

وانطلقت جيوش المشركين بقيادة أبي سفيان لمناجزة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي جاء ليحرّرهم، وينقذهم من خرافات الجاهليّة، ويقيم لهم عزّاً ومجداً خالداً.

وانتهت الجيوش إلى جبل اُحد، وقد أقام الجيش الإسلامي في أسفله، وقد وضع النبيّ الرماة في أعلاه ليصدّ المتسلّلين من جيش العدو عنهم، والتحمت الجيوش فيما بينها، وكان النصر الحاسم للإسلام بقيادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام،

إلّا أنّ الفرقة من الرماة التي في أعلى الجبل لمّا رأت هزيمة المشركين تركت مواضعها وسارعت للاستيلاء على غنائم المنهزمين ، وقد انتهز هذه الفرصة خالد بن الوليد الذي كان قائداً في جيوش المشركين ، فاحتلّ مواقعهم ، ورجع المنهزمون إلى مواضعهم ، ووقع الجيش الإسلامي تحت الضربات القاسية من جيوش المشركين ، فقد أُحيط به من الأمام والخلف ، ووقع في ساحة المعركة كوكبة من عيون المسلمين وقادتهم فى طليعتهم الشهيد الخالد حمزة بن عبدالمطّلب ، وأحاط العدوّ بالنبيّ صلى الله عليه وآله ، وقد أصابته عدّة جراحات ، وقد انبرى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بجهد شاقّ إلى حماية النبيّ والذبّ عنه ولولاه لقتله المشركون.

وسارعت هند إلى جثمان الشهيد حمزة فمثّلت به شرّ تمثيل ، فأخرجت كبده ، فلاكته وقطعت بعض أعضائه فجعلتها قلادة لها ، كما وقف أبو سفيان على الجثمان المقدّس فركله برجله ، وأظهر شماتته ومسرّاته.

وقفلت جيوش المشركين راجعة إلى مكّة وهي تتغنّى بأهازيج النصر ، وأخذ الثأر من النبيّ صلى الله عليه وآله .

هذه بعض الحروب الطاحنة التي شنّتها قريش بغير هوادة على النبيّ صلى الله عليه وآله محاولة إخماد صوته ، وإطفاء أنوار قيمه ومبادئه ، ولكنّ الله تعالى في نهاية المطاف نصره عليهم وأعزّ دينه وحمى نبيّه.

فتح مكّة

وبنى النبيّ صلى الله عليه وآله قوّاته المسلّحة ، وزوّدها بجميع أنواع العتاد والسلاح حتّى صارت أقوى قوّة عسكريّة في ذلك العصر ، وزحف بها إلى احتلال مكّة ، وأخفى ذلك على الجيش مخافة أن تعلم قريش بذلك ، فيلتحم جيشه معها من دون أن تُراق

فيها الدماء حتّى تبقى بلداً آمناً.

ولمّا جاور الجيش الإسلامي مكّة أمرهم النبيّ ﷺ جميعاً بإيقاد النّار في ظلام الليل، فالتهبت النيران، وعمّ ضوؤها جميع أرجاء مكّة، فلمّا رآها أبو سفيان فزع منها فقال:

«ما رأيت كالليلة ناراً قطّ».

وكان إلى جانبه بديل بن ورقاء فقال:

«هذه والله خزاعة حمشها الحرب».

فردّ عليه أبو سفيان:

«خزاعة أقلّ وأذلّ من أن تكون هذه نيران عسكرها».

وعرف العبّاس بن عبدالمطّلب صوت أبي سفيان فناداه بكنيته:

«أبا حنظلة».

وأجاب أبو سفيان بكنيته:

«أبا الفضل».

وانبرى العبّاس قائلاً:

«ويحك يا أبا سفيان! هذا رسول الله ﷺ في النّاس، واصباح قريش إذا دخل مكّة عنوة».

وسرت الرعدة في جسم أبي سفيان، وراح يقول بصوت متقطّع:

«ما الحيلة فداك أبي وأُمّي؟».

فأردفه العبّاس في عجز بغلته، وجاء به إلى رسول الله ﷺ، وقال له: «إنّي

قد أجرته» ، فقال له النبيّ ﷺ :

«**إِذْهَبْ بِهِ إِلىٰ رَحْلِكَ فَإِذا أَصْبَحْتَ فَأْتِني بِهِ**» .

فلمّا أصبح الصبح جيء بأبي سفيان وهو يرتعد من الخوف إلى النبيّ ﷺ فقال له :

«**وَيْحَكَ يا أَبا سُفْيانَ ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لا إِلـٰهَ إِلَّا اللهُ**» .

فقال أبو سفيان بصوت خافت قد ملك الرعب إهابه :

«بأبي أنت وأُمّي ، ما أحلمك ، وأكرمك ، وأوصلك ، أما والله لقد ظننت أنّه لو كان مع الله إلـٰه غيره لأغنى عنّي» .

فقال له النبيّ ﷺ :

«**وَيْحَكَ يا أَبا سُفْيانَ ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ ؟**» .

فانبرى أبو سفيان بوقاحة قائلاً :

«بأبي وأُمّي ، ما أحلمك وأوصلك ، أما والله فإنّ في النفس منها شيئاً» .

فنهره العبّاس ، وأمره بالشهادة للنبيّ بالرسالة قبل أن تُضرب عنقه ، ولم يجد أبو سفيان بدّاً ، فأعلن الشهادة بالإسلام ، ولكنّ قلبه قد انطوى على الكفر ، وأصدر الرسول ﷺ عفواً عامّاً عن قريش التي ناهضته وناجزته الحرب ، وبذلت جميع ما تملك للقضاء عليه .

وعلى أيّ حال ، فإنّ فتح مكّة كان من الأحداث الجسام ، فقد أكسب المسلمين قوّة ومنعة ، وأيقنت القوى المعارضة له أنّهم لا قِبل لهم على مقاومته ، وأنّ خير وسيلة لصيانة دمائهم أن يعلنوا الإسلام بألسنتهم ؛ وإن انطوت نفوسهم على الكفر والنفاق .

الجبهة المعارضة للإسلام

أمّا الجبهة المعارضة للإسلام والحاقدة عليه ، والتي تكيد له في الليل إذا يغشى ، وفي النهار إذا تجلّى ، وتتربّص به الدوائر ، وتبغي له الغوائل ، وتحوك المؤامرات ضدّه ، فهي :

١ ـ المنافقون

وهم الذين أسلموا بألسنتهم ، وانطوت قلوبهم على الكفر والنفاق ، وهؤلاء يشكّلون خطراً على الإسلام ، فإنّ العدوّ الداخلي أشدّ خطراً على المسلمين من العدوّ الخارجي ، وكانوا يشيعون العداء بين المسلمين ، ويحرّفون كلام الله تعالى ، وقد بنوا لهم مسجداً وطلبوا من النبيّ ﷺ أن يصلّي فيه ، ولمّا استبان له أمرهم أمر بحرق المسجد .

ونظراً لخطرهم على الإسلام فقد نزلت فيهم سورة المنافقين ، عرضت لخبثهم ونفاقهم ، وكان من عيون المنافقين أبو سفيان ومعظم بني اُميّة ، فإنّ الإسلام أباد أعلامهم ، وقضى على مصالحهم ونفوذهم .

٢ ـ اليهود

أمّا اليهود فهم خصوم النبيّ ﷺ وأعداؤه ، وقد هالهم انتصار النبيّ ﷺ في الميادين العسكريّة ، كما أذهلهم روعة أحكامه وسموّ تعاليمه التي تأخذ بمجامع القلوب ، وكانوا القوّة الضاربة في الجزيرة لمحاربة الإسلام ، فقد أمدّوا أبا سفيان بالمال والعتاد لمحاربة النبيّ ﷺ ، وقد رصدوا جميع إمكانيّاتهم الاقتصاديّة لمناهضة الإسلام والقضاء على النبيّ ﷺ .

وقد استبان للنبيّ ﷺ أنّ اليهود يشكّلون أعظم خطر عليه، وأنّه لا يستقيم للإسلام حكم مع وجودهم، فوقف بعزم ضدّهم، فأجلى بني النضير عن المدينة، وبذلك فقد خلصت عاصمته منهم كما شنّ عليهم الحرب في حصون خيبر، وأباد ضروسهم وأعلامهم.

كان النبيّ ﷺ يرى اليهود عنصراً هدّاماً في المجتمع الإنساني، وقد حذّر المسلمين من شرورهم، فقد روى الواقدي أنّ آخر وصيّة لرسول الله ﷺ أنّه قال: «**أَخْرِجوا الْيَهودَ مِنْ جَزيرَتِكُم**».

وبعد.. فهذه البحوث عن الإسلام وما عاناه النبيّ ﷺ من الأزمات إنّما هي مقدّمة للبحوث الآتية، وهي أنّ النبيّ ﷺ لم يرحل عن هذه الدنيا حتّى عيّن القائد لأُمّته وأقامه على هذا المجهود الضخم من القيم والمبادئ حارساً وأميناً يشيعها بين النّاس.

ومن أوهى الآراء وأكثرها ضحالة القول بأنّ النبيّ ﷺ أهمل هذا الأمر الحسّاس، وترك الأُمّة وشأنها تختار لقيادتها من تشاء، فإنّ ذلك يتنافى مع الخطّ الرسالي الهادف إلى صيانة الأُمّة من الانحراف والتدهور في سلوكها.

ولقد أقام النبيّ ﷺ السياج الواقي لأُمّته من الفتن والضلال في جميع أجيالها الصاعدة، فكان ذلك السياج الكتاب والعترة، وأشاع النبيّ ﷺ ذلك وأكّده في كثير من المناسبات، إلّا أنّ بعض الصحابة قد فصم ذلك وقال: «حسبنا كتاب الله»، وقد أدّى ذلك إلى إشاعة الفتن بين المسلمين، وتدهور قيمهم، وتسلّط الظالمين عليهم، فكان الحكّام والولاة فيهم من الأمويّين تارةً، ومن العبّاسيّين أُخرى، ولم يألوا جهداً في إشاعة الظلم والجور والاستبداد بين المسلمين، وقهرهم على ما يكرهون.

الخِلَافَةُ ضَرُورَةٌ إِسْلَامِيَّةٌ

أمّا الخلافة، ونعني بها زعامة الدولة، فإنّها من أهمّ العناصر في تكوين المجتمع الإسلامي، ومن مقوّمات العدل في البلاد، وبدونها لا تستقيم الحياة، وتصبح قاتمة لا ظلّ فيها للأمن والاستقرار.

لقد أوْلى الإسلام المزيد من الاهتمام في شأن الخلافة، واعتبرها من مقوّمات حضارته، وجزء من مقوّمات رسالته، ونعرض -بإيجاز- إلى البحوث التي ترتبط ببحثنا:

الخلافة في اللغة

الخلافة في اللغة موضوعة للنيابة عن الغير، إمّا لغيبة المنوب عنه، وامّا لموته، وإمّا لعجزه، وإمّا لتشريف المستخلف[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي ﴾[2].

---

(١) نظام الحكم والإدارة في الإسلام: ٢٠٧.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٢.

في الاصطلاح الشرعي

الخلافة في الاصطلاح الشرعي هي الرئاسة العامّة في أُمور الدين والدنيا نيابة عن النبيّ صلى الله عليه وآله.

قال ابن خلدون: «إنّ الخلافة حمل الكافّة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأُخرويّة والدنيويّة».

وأضاف يقول: «هي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا»(١).

وعرّفها الماوردي بأنّها: «خلافة النبوّة في حراسة الدين وسياسة الدنيا»(٢).

اهتمام النبيّ صلى الله عليه وآله بالخلافة

اهتمّ النبيّ صلى الله عليه وآله اهتماماً بالغاً بالخلافة، وأنّها من أهمّ العناصر في بناء المجتمع الإسلامي، وقد توعّد بالنار من لا يعرف إمام زمانه.

قال صلى الله عليه وآله: «**مَنْ ماتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إمامَ زَمانِهِ ماتَ مِيتَةً جاهِلِيَّة**»(٣).

وأي عاقبة أسوء للإنسان المسلم من أن يموت ميتة جاهليّة لا يعرف ربّه ودينه، كما أمر القرآن الكريم بلزوم طاعة الامام.

قال تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾(٤)، فإذا كانت طاعة وليّ الأمر لازمة، وأنّها كإطاعة الله تعالى ورسوله كيف يهمل

---

(١) مقدّمة ابن خلدون: ١٦٦.

(٢) الأحكام السلطانيّة / الماوردي: ٣.

(٣) الحديث متواتر مقطوع بصحّته عند جميع المسلمين.

(٤) سورة النساء: الآية ٥٩.

النبيّ ﷺ الخليفة والإمام من بعده ؟

الرسول ﷺ قَرَنَ الخلافة بالنبوّة

منح النبيّ ﷺ الخلافة إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ؛ وذلك في فجر الدعوة الإسلاميّة حينما دعا أقرباءه إلى الإيمان برسالته ، فقال لهم:

« فَأَيُّكُمْ يُؤَازِرُنِي عَلىٰ هٰذَا الْأَمْرِ عَلىٰ أَنْ يَكُوْنَ أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيْفَتِي فِيكُمْ ؟ ».

فأحجم القوم عن إجابته ، فانبرى إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً:

« أَنا يا نَبِيَّ اللهِ أَكُونُ وَزِيْرَكَ عَلَيْهِ ».

فأخذ النبيّ ﷺ برقبته ، وخاطب القوم قائلاً:

« إِنَّ هٰذَا أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِيْكُمْ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا »[(١)].

لقد اهتمّ النبيّ ﷺ بشأن الخلافة وقرنها بالنبوّة ، وقلّدها لأفضل المسلمين علماً وتقوى وتحرّجاً في الدين.

الحاجة للخلافة

أمّا الخلافة فهي ضرورة إسلاميّة لا غنى للمسلمين عنها ؛ لأنّ الإسلام قد حفل بمجموعة من الأحكام ، ففيه الحدود والعقوبات والمعاملات والإيقاعات ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله تعالى ، وغير ذلك من الأحكام ، ولا يمكن إقامتها على مسرح الحياة من دون حكومة إسلاميّة يتزعّمها إمام من أئمّة المسلمين يحكم فيهم بما أنزل الله تعالى.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل : ٤/٨٧.

الاتّفاق على وجوبها

اتّفق جمهور المسلمين على ضرورة الخلافة. يقول ابن حزم الأندلسي: «اتّفق جميع أهل السنّة، وجميع المرجئة، وجميع الشيعة، وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأنّ الأُمّة واجب عليها الانقياد إلى إمام عادل يقيم فيهم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي جاء بها رسول الله ﷺ، حاشا النجدات من الخوارج، فإنّهم. قالوا: لا يلزم النّاس فرض الإمامة، وإنّما عليهم أن يتعاطوا الحقّ بينهم، وهذه فرقة ما نرى بقي منهم أحد، وهم المنسوبون إلى نجدة بن عمير الحنفي، وقول هذه الفرقة ساقط يكفي للردّ عليه وإبطاله إجماع كلّ من ذكرنا على بطلانه»[١].

وقد عرضنا بصورة شاملة إلى الاستدلال على ضرورة الخلافة، وأقمنا الأدلّة الحاسمة على ذلك في كتابنا: (نظام الحكم والإدارة في الإسلام)، وأبطلنا فيه ما ذكره عليّ عبدالرزاق من عدم ضرورة الخلافة، وأنّها ليست لازمة في الإسلام.

صفات الإمام

ويجب أن تتوفّر في الإمام قائد الأُمّة جميع النزعات الخيّرة، والصفات الفاضلة من العلم والتقوى، وسجاحة الرأي، وأصالة الفكر، والإحاطة التامّة بشؤون السياسة، وما تحتاج إليه الأُمّة في مسيرتها الاقتصاديّة والاجتماعيّة.

إنّ زعامة الأُمّة يجب أن يتقلّدها خيرة الرجال في ملكاتهم ومواهبهم وإحاطتهم بمشاكل العالم وأنظمته، حتّى يتمكّن من تكوين المجتمع الصالح الذي يتمتّع

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٤/٨٧.

بالعدالة والمساواة.

وذكر المعنيّون بـالفقه السـياسي في الإسـلام الشروط التي يجب أن تـتوفّر في الإمام، وهي:

١ ـ العدالة على شروطها الجامعة، وهي الامتناع من ارتكاب كبائر الذنوب، والإصرار على صغائرها.

٢ ـ العلم المؤدّي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام.

٣ ـ سلامة الحواسّ من السمع والبصر واللسان ليصحّ معها مباشرة ما يدرك بها.

٤ ـ سلامة الأعضاء من نقص يمنع من استيفاء الحركة، وسرعة النهوض.

٥ ـ الرأي المفضي إلى سياسة الرعيّة، وتدبير المصالح.

٦ ـ الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية بيضة الإسلام وجهاد العدوّ.

٧ ـ النسب، وهو أن يكون الإمام من قريش[١].

رأي الفارابي

ويرى الفارابي أن يكون الرئيس الأعلى للمدينة الفاضلة قد توفّرت فيه هـذه الصفات.

«أن يكون حكيماً، قويّ الجسم، قويّ العـزيمة، جـيّد الفـهم، جـيّد الحـفظ، وافر الذكاء، حسن العبارة، محبّاً للعلم، يتحمّل المـتاعب في سـبيله، غـير شره في اللذات الجسديّة، محبّاً للصدق، كريم النـفس، عـادلاً، يـنصف النّـاس مـن نفسه، شجاعاً، مقداماً... ويرى أنّه إذا لم تتوفّر هـذه الصـفات في أحـد بـقيت

---

(١) الأحكام السلطانيّة: ٤ و ٥.

المدينة الفاضلة بدون رئيس وذلك ممّا يؤدّي إلى الهلاك »[١].

وقد ذكرنا بحثاً مفصّلاً في هذا الموضوع في كتابنا: (نظام الحكم والإدارة في الإسلام).

رأي الشيعة

الشيعة أكثر الفِرق الإسلاميّة اهتماماً وعناية ونظراً بموضوع الخلافة ، فقد اشترطوا في صفات الخليفة أُموراً كان منها:

١ ـ العصمة

وهي الاجتناب عن اقتراف الفواحش والذنوب ، عمداً أو خطأً أو سهواً ، منذ بداية تكوين الامام إلى نهاية حياته ، فهو في جميع أدوار حياته يجب أن يكون ملتقى لكلّ الفضائل والكمالات.

أمّا استدلاهم على ذلك فهو وثيق للغاية ، فقد استدلّوا بما أُثر عن أئمّة الهدى سلام الله عليهم من صنوف التقوى والتحرّج في الدين ، فقد قال سيّد العترة الطاهرة أمير المؤمنين عليه‌السلام:

« وَاللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا ، عَلَىٰ أَنْ أَعْصِيَ اللهَ جُلْبَ شَعِيرَةٍ أَسْلُبُهَا مِن فَمِ نَمْلَةٍ مَا فَعَلْتُ »[٢].

أليست هذه أرقى مراتب العصمة ، ومن مظاهر عصمته أنّه حينما ولي الخلافة رأى ابن عبّاس مزهوّاً ؛ لأنّ الخلافة رجعت لابن عمّه ، وكان الإمام بيده نعل

---

(١) التنظيم الدولي: ٥٣ ـ ٥٥.

(٢) نهج البلاغة: ٢/٢١٨.

من ليف يصلحه ، فقال له:

- «يابنَ عبّاسٍ ، ما قِيمَةُ هـذَا النَّعْلِ ؟».

- «لا قيمة له يا أمير المؤمنين».

- «إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ خِلَافَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيْمَ حَقّاً وَأَدْفَعَ باطِلاً...»(١).

أليست هذه هي العصمة ؟

وكان من مظاهر عصمته أنّ عبدالرحمن بن عوف حينما ألحّ عليه بعد مقتل عمر بن الخطّاب أن يقلّده الخلافة شريطة أن يلتزم بسيرة الشيخين - أبو بكر وعمر - فامتنع من إجابته ، وأبى إلّا أن يسير في سياسته على وفق كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه واجتهاده الخاصّ ، ولو كان من طلّاب الملك لأجابه إلى ذلك ثمّ يسير على وفق اجتهاده الخاصّ.

إنّ كلّ بادرة في سيرة الإمام عليه السلام وسيرة الهداة أئمّة أهل البيت عليهم السلام فيها شهادة وصدق على عصمتهم ، وقد قرنهم النبيّ صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين بمحكم التنزيل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولو كان فيهم التواء عن الحقّ لما صحّت هذه المقارنة.

ووصفهم شاعر الإسلام الأكبر الكميت الأسدي بقوله:

القَريبينَ مِنْ نَدىً والبَعيدينَ ... عَنِ الجورِ في عُرى الأَحْكامِ
والمُصيبينَ باب ما أَخْطأَ النّاسُ ... ومُرسي قَواعِدَ الإِسْلامِ
والغُيوثُ اللُّيوثُ إنْ أَمْحَلَ ... النّاسُ ومَأْوىً حَواضِنِ الأَيْتامِ

---

(١) نهج البلاغة: ١٨٥/٢.

ولو كانت ظاهرة تقوى وإيمان فوق العصمة لاتّصفوا بها ، وكانت من مقوّماتهم.

٢ ـ العلم

آمنت الشيعة منذ فجر تأريخهم حتّى يوم النّاس هذا بأنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام أعلم أهل الأرض في جميع صنوف العلوم والمعارف ، وتدعمهم أوثق الأدلّة ، والتي منها:

أنّ المأمون العبّاسي لمّا قلّد الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام ولاية العهد ، ورأى سموّ شخصيّته ، وعظيم فضله أخذه الحسد فجلب جميع علماء الدنيا إلى خراسان ، والتقى بهم سرّاً ، ووعدهم بالثراء العريض إن امتحنوا الإمام بمسألة لا يهتدي لحلّها ، وقام العلماء بدورهم بالتفتيش عن أعقد المسائل وأكثرها غموضاً ، فسألوا الإمام عليه السلام عنها ، فأجابهم جواب المتمرّس ، وقد سئل عن أربعة وعشرين ألف مسألة في نوب متفرّقة ، فأجابهم عنها ، وما التقى به وفد علمي وخرج منه إلّا وهو معتنق للإمامة ومن بعده الإمام الجواد عليه السلام ، وكان عمره تسع سنين أو سبع سنين ، وقد تقلّد الإمامة بعد خلافة أبيه ، وفي هذا الدور لا يسمح له أن يخوض في المسائل الفلسفيّة والكلاميّة ، وقد أجمع العبّاسيّون على امتحانه ليتّخذوا من فشله وسيلة لهدم مذهب أهل البيت عليهم السلام الذي أعلن معتنقوه عن تفوّق أئمّتهم على جميع علماء الدنيا ، وفعلاً فقد دعوا علماء بغداد ، وعهدوا إليهم في امتحانه ، وعقدوا في بهو القصر العبّاسي مؤتمراً ضمّ جميع العلماء والشخصيّات البارزة في بغداد ، فتقدّم العلماء فسألوه عن مختلف المسائل فأجاب عنها جواب العالم المتمرّس ، فذهل العلماء ، وقد سئل في نوب متفرّقة عن عشرين ألف مسألة ، فأجاب عنها ، فعمد العبّاسيّون إلى اغتياله.

وعلى أي حال ، فإنّ علم الأئمّة عليهم السلام مستمدّ من علوم جدّهم النبيّ صلى الله عليه وآله

الذي فجّر ينابيع العلم والحكمة في الأرض.

واجبات الإمام ومسؤوليّاته

أناط الإسلام بمن يلي أُمور المسلمين واجبات عليه أن يقوم بها، ومن أهمّها تطوير حياتهم الاقتصاديّة والصناعيّة، وإبعادهم عن جميع ألوان الانحطاط والتأخّر.

وقد عنى القدامى بما يجب على ولاة المسلمين، وذكروا جملة منها، وهي:

١ ـ حفظ الدين على أُصوله المستقرّة، وما أجمع عليه سلف الأُمّة، فإن ظهر مبتدع أو زاغ ذو شبهة أوضح له الحجّة وبين له الصواب، وكفّه عن ذلك بما يستحقّه من الزجر ليكون الدين محروساً، وحال الأُمّة فيه مضبوطاً.

٢ ـ حماية بيضة الإسلام، والذبّ عن الحرم لينصرف النّاس في معايشهم، وينتشروا في أسفارهم آمنين على أنفسهم وأموالهم.

٣ ـ تحصين الثغور بالعُدد ووفور العدد، حتّى لا يظفر العدوّ بثغرة فيهتك فيها محرماً أو يسفك دم مسلم أو معاهد.

٤ ـ جهاد الكفرة المعاندين للإسلام حتّى يسلموا أو يدخلوا في ذمّة المسلمين قياماً بحقّ الله تعالى بظهور دينه على الدين كلّه.

٥ ـ تنفيذ الأحكام وقطع الخصومات حتّى لا يتعدّى ظالم، ولا يضعف مظلوم.

٦ ـ إقامة الحدود لتتوقّى المحارم، وتصان الأنفس والأموال.

٧ ـ اختيار الأُمناء والأكفّاء، وحفظ الأموال بالأُمناء.

٨ ـ جباية أموال الفيء والصدقات والخراج على ما أوجبه الشرع نصّاً أو اجتهاداً

من غير حيف ولا عنف.

٩ ـ تقدير العطاء، وما يستحقّه كلّ واحد من بيت المال من غير سرف ولا تقتير، ودفعه إليهم في وقت معلوم لا تأخير فيه ولا تقديم.

١٠ ـ مشارفة الأُمور العامّة بنفسه غير معتمد على ولاته وعمّاله، فقد يخون الأمين، ويغشّ الناصح، وقد قال تعالى: ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[١].[٢]

هذه المسؤوليّات حسب ما ذكره الماوردي التي يجب على ولاة المسلمين القيام بها، ولكن علينا أن ننظر إلى ما هو أدقّ وأعمق، وهو ما أُثر فيها عن رائد العدالة الاجتماعيّة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

المسؤوليّات في منظور الإمام

أمّا مسؤوليّات زعيم الدولة وقائدها في نظر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقد تناولت جميع شؤون الدولة السياسيّة والاقتصاديّة، وهي كما يلي:

١ ـ الإمام قدوة

إنّ فلسفة الإمام في الحكم بأن يكون الجهاز الحاكم مهذّباً وشريفاً وقدوة في سلوكه لغيره، وعليه أن يطبّق على نفسه جميع موازين العدل. استمعوا إلى أقواله:

أ ـ قال عليه السلام: «**مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ بِتَأْدِيبِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِ غَيْرِهِ، وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ؛ وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا**

---

(١) سورة ص: الآية ٢٦.

(٢) نظام الحكم والإدارة في الإسلام: ٢٣٣.

أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ »(١).

ب ـ قال عليه السلام : « **أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي ، وَاللهِ ، مَا أَحُثُّكُمْ عَلَىٰ طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا ، وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَنَاهَىٰ قَبْلَكُمْ عَنْهَا »**(٢).

أرأيتم هذه المثل العليا التي ما طبّقها حاكم على حياته إلّا رائد العدالة الاجتماعيّة في الإسلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

٢ ـ مشاركة الإمام للرعيّة في مكاره الدهر

كان الإمام عليه السلام يرى أنّ الواجب على إمام المسلمين أن يشاركهم في مكاره الدهر وجشوبة العيش ، فلا يتميّز عليهم بملبسه ومأكله وبيته ، وقد طبّق ذلك على نفسه فعاش عيشة الفقراء .

قال عليه السلام : « **وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَىٰ مُصَفَّىٰ هٰذَا الْعَسَلِ ، وَلُبَابِ هٰذَا الْقَمْحِ ، وَنَسَائِجِ هٰذَا الْقَزِّ . وَلٰكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَىٰ تَخَيُّرِ الْأَطْعِمَةِ ـ وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوِ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ ـ أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَىٰ وَأَكْبَادٌ حَرَّىٰ ، أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :**

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ ... وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَىٰ الْقِدِّ

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ : هٰذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ

---

(١) بحار الأنوار : ٥٦/٢ ، الحديث ٣٣ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ٢٥٠/١٠ ، الخطبة ١٧٥ .

الدَّهْرِ ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ ! فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ ، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ ، هَمُّهَا عَلَفُهَا »[١].

أي حاكم أو مسؤول في الدنيا على امتداد التأريخ ، كالإمام أمير المؤمنين عليه السلام في سلوكه وتجرّده من الدنيا ، فقد خلقه الله تعالى للعدل مثالاً في أرضه ، واختاره وصيّاً وخليفة لرسوله ، وإماماً من بعده.

٣ ـ الاحتياط في أموال الدولة

واحتاط الإمام في أموال الدولة كأشدّ ما يكون الاحتياط ، فلم ينفق أي شيء منها على نفسه وأهله ، وحملهم رهقاً ، وإنّما كان ينفقها على مصالح المسلمين وإعالة فقرائهم وضعفائهم ، وقد رام جماعة من وجوه أصحابه أن ينفق الأموال على الأعيان من أصحابه ليستعين بهم على محاربة عدوّه معاوية بن أبي سفيان ، فامتنع من إجابتهم ، وقال لهم:

« أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ ! وَاللهِ لَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ ، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً ! لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللهِ ! أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي الآخِرَةِ ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللهِ »[٢].

إنّ سياسة الإمام عليه السلام في مال الدولة هو الاحتياط الشديد.

---

(١) نهج البلاغة: ٣/٣.

(٢) نهج البلاغة: ٢/١٠.

وقال عليه السلام فيما استأثر به عثمان في أموال المسلمين:

«وَاللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ، وَمُلِكَ بِهِ الْإِمَاءُ، لَرَدَدْتُهُ، فَإِنَّ فِي العَدْلِ سَعَةً. وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ العَدْلُ، فَالجَوْرُ عَلَيْهِ أَضيَقُ!»[١].

وأمر عليه السلام عماله بالاقتصاد وعدم الإسراف، قال عليه السلام لبعض عماله:

«فَدَعِ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِداً، وَاذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَداً، وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ، وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ. أَتَرْجُوا أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ! وَتَطْمَعُ ـ وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ، تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَالْأَرْمَلَةَ ـ أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ؟ وَإِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ وَقَادِمٌ عَلَىٰ مَا قَدَّمَ».

إنّ أهمّ ما كان يعنيه الإمام هو الاحتياط على أموال الدولة وإنفاقها على الضعفاء والأرامل والأيتام، وسدّ خلّتهم، وإنقاذهم من البؤس والحرمان، وكان من احتياطه بأموال الدولة أنّه بلغه عن واليه على البصرة زياد بن أبيه أنّه قد استأثر بشيء من أموال المسلمين، فكتب إليه:

«وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللهِ قَسَماً صَادِقاً، لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً، لَأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ، ضَئِيلَ الْأَمْرِ».

هذا هو العدل الذي أراده الله تعالى لعباده ليقيم أودهم، ولا يدع ظلّاً للبؤس والحرمان.

---

(١) بحار الأنوار: ١١٦/٤١.

ومثال رائع من احتياط الإمام بأموال الدولة أنّ عبدالله بن جعفر ، وهو ابن أخيه ، وختنه على ابنته بنت سيّدة نساء العالمين زينب الكبرى سلام الله عليها ، قصده من المدينة طالباً منه المعونة ، قائلاً:

« يا أمير المؤمنين ، لو أمرت لي بمعونة أو نفقة ، فوالله ما لي نفقة إلّا أن أبيع دابتي ... ».

فأجابه الإمام:

« لا وَاللهِ ما أَجِدُ شَيْئاً إِلَّا أَنْ تَأْمُرَ عَمَّكَ فَيَسْرِقَ فَيُعْطيكَ ».

أرأيتم هذا العدل الذي لا نهاية له قد طبّقه الإمام على واقع حياته.

ومثال آخر من السياسة الماليّة التي نهجها الإمام ما رواه محمّد بن فضيل عن هارون بن عنترة ، عن زاذان ، قال: انطلقت مع قنبر إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقال قنبر للإمام:

ـ « قم يا أمير المؤمنين قد خبّأت لك خبيئة ».

ـ **« ما هِيَ وَيْحَكَ ؟! »**.

ـ « قم معي ».

وانطلق الإمام معه إلى بيته وإذا بغرارة مملوءة جامات من ذهب وفضّة ، فقال قنبر:

« يا أمير المؤمنين ، رأيتك لا تترك لك شيئاً إلّا قسّمته ، فادّخرت لك هذا من بيت المال ».

فثار الإمام وصاح به بعنف وشدّة:

« يا قَنْبَرُ ، لَقَدْ أَحْبَبْتَ أَنْ تُدْخِلَ بَيْتي ناراً عَظيمَةً ».

وضرب الإمام بسيفه تلك الغرارة فتناثر ما فيها ، ودعا النّاس وقال لهم:

«اقْسِموهُ بِالْحِصَص» .

ثمّ قام إلى بيت المال فقسّم ما وجد فيه(١).

وروى الشعبي ، قال: دخلت الرحبة بالكوفة وأنا غلام ، فإذا أنا بعليّ قائم على صبرتين من فضّة وذهب ، ومعه مخفقة ، وهو يطرد النّاس بمخفقته ، ثمّ يرجع إلى المال فيقسّمه حتّى لم يبقَ منه شيئاً ، ثمّ انصرف إلى بيته ولم يحمل معه إلى بيته قليلاً ولا كثيراً ، ورجعت إلى أبي فقلت له:

ـ «لقد رأيت خير النّاس» .

ـ «من هو يا بنيّ؟» .

ـ «عليّ بن أبي طالب ، رأيته يصنع كذا» ، وقصصت عليه الأمر ، فبكى أبي ، وقال:

«رأيت خير النّاس»(٢).

إنّ الإمام خير النّاس فيما منحه الله تعالى من التقوى والزهد في الدنيا .

ومن مظاهر عدل الإمام في احتياطه بأموال المسلمين أنّ أخاه عقيلاً وفد عليه في الكوفة ، وقد ألّمت به أزمة ماليّة ، فقال للإمام:

ـ «قصدتك لتقضي ديني» .

ـ **«كَمْ دَيْنُكَ؟»** .

---

(١) نظام الحكم والإدارة في الإسلام: ٢٣٥ .

(٢) نظام الحكم والإدارة في الإسلام: ٢٣٨ .

ـ «أربعون ألفاً».

ـ «**وَاللهِ ما هِيَ عِنْدِي، وَلَا أَمْلِكُها، وَلٰكِن اصْبِرْ حَتّىٰ يَخْرُجَ عَطايَ فَأَدْفَعَ إِلَيْك**».

وسارع عقيل قائلاً:

«بيوت المال بيدك، وأنت تسوّفني بعطائك».

فزجره الإمام، وأجابه بمنطق الإسلام:

«**أَتأْمُرُنِي أَنْ أَفْتَحَ بَيْتَ مالِ الْمُسْلِمِينَ فَأُعْطِيَكَ أَمْوالَهُمْ، وَقَدْ تَوَكَّلُوا عَلَى اللهِ، وَأَقْفَلُوا عَلَيْها، وَإِنْ شِئْتَ أَخَذْتَ سَيْفَكَ وَأَخَذْتُ سَيْفِي وَخَرَجْنا جَمِيعاً إِلَى الْحِيرَةِ، فَإِنَّ فِيها تُجّاراً مَياسِيْرَ، فَدَخَلْنا عَلىٰ بَعْضِهِمْ فَأَخَذْنا مالَهُ**».

وغمرت عقيل موجات من مرارة اليأس والحرمان، وراح يقول:

«إنّي آتٍ معاوية».

«**ذاكَ إِلَيْكَ**».

وترك عقيل الكوفة، وانصرف إلى معاوية، فبادره معاوية قائلاً:

«كيف تركت عليّاً وأصحابه؟».

فأجابه عقيل بمنطق الحقّ والصدق قائلاً:

«كأنّهم أصحاب محمّد ﷺ، إلّا أنّي لم أرَ رسول الله ﷺ فيهم، وكأنّك وأصحابك أصحاب أبي سفيان، إلّا أنّي لم أرَ أبا سفيان فيكم»[١].

---

(١) أُسد الغابة: ٤/٤٢٥.

إنّ أبا سفيان موجود معهم وزيادة ، وهو ولده وقرّة عينه معاوية كسرى العرب .

٤ ـ الإمام كضعفاء النّاس

إنّ فلسفة الإمام عليه‌السلام في الحكم تقضي بأن يكون الإمام كضعفاء الرعيّة في مأكله وملبسه وسكناه ، وقد أُثر عنه في ذلك ما يلي :

١ ـ قال عليه‌السلام : « **إِنَّ اللهَ تَعالىٰ جَعَلَني إِماماً لِخَلْقِهِ ، فَفَرَضَ عَلَيَّ التَّقْديرَ**[١] **في نَفْسي وَمَطْعَمي ، وَمَشْرَبي وَمَلْبَسي ، كَضُعَفاءِ النّاسِ كي يَقْتَدي الْفَقيرُ بِفَقْري ، وَلَا يُطْغي الْغَنيَّ غِناهُ** »[٢] .

٢ ـ قال عليه‌السلام : « **إِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلىٰ أَئِمَّةِ الْحَقِّ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ كَيْلَا يَتَبَيَّغَ**[٣] **بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ !** »[٤] .

٥ ـ إلغاء الامتيازات

كان الإمام في أيّام حكمه قد ألغى الامتيازات له التي يصنعها النّاس لملوكهم ورؤسائهم ، فقد استقبل في الأنبار باستقبال شعبي حاشد ، وقدّم الأنباريّون بعض الدواب تكريماً لمقدمه ، فنفر الإمام من ذلك وقال لهم :

« **ما هذِهِ الدَّوابُّ الَّتي مَعَكُمْ ؟ وَما أَرَدْتُمْ بِهذا الَّذي صَنَعْتُمْ ؟** » .

فأجابوه :

---

(١) التقدير : التضييق .

(٢) أُصول الكافي : ١ / ٤١٠ .

(٣) يتبيّغ : التهيج والغلبة .

(٤) ربيع الأبرار ٤ : ٨٥ ـ ٨٦ .

« يا أمير المؤمنين ، أمّا هذا الذي صنعنا فهو خلق منّا نعظّم به الأُمراء ، وأمّا هذه البراذين فهدية لك ، وقد صنعنا لك وللمسلمين طعاماً ، وهيّأنا لدوابكم علفاً كثيراً ».

فزجرهم الإمام قائلاً:

« أَمّا هذا الَّذي زَعَمْتُمْ أَنَّهُ مِنْكُم خُلُقٌ تُعَظِّمُونَ بِهِ الْأُمَراءَ ، فَوَاللهِ ما يَنْفَعُ هذا الْأُمَراءَ ، وَإِنَّكُمُ الْمُشِقُّونَ بِهِ عَلىٰ أَنْفُسِكِمْ وَأَبْدانِكُمْ ، فَلَا تَعُودوا لَهُ . وَأَمّا دَوابُّكُمْ هذِهِ فَإِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ نَأْخُذَها مِنْكُمْ فَنَحْسِبَها مِنْ خَراجِكُمْ أَخَذْناها مِنْكُمْ ، وَأَمّا طَعامُكُمُ الَّذي صَنَعْتُم لَنا ، فَإِنّا نَكْرَهُ مِنْ أَمْوالِكُمْ شَيْئاً إِلَّا بِثَمَنٍ »[1].

أرأيتم هذا العدل الذي مثّله الإمام في سيرته وسلوكه ، وقد فضح به عشّاق الملك والسلطان الذين هاموا في حبّ الإمرة والعظمة.

إنّ الحاكم في نظر الإمام عليه السلام إنّما هو راعٍ يسوس النّاس للخير يقيم أودهم ، ويصلح شؤونهم ، ويهديهم للتي هي أقوم.

٦ ـ كيفيّة الحديث مع الإمام

أدلى الإمام عليه السلام بحديث له مع بعض أصحابه عن كيفيّة الكلام معه ، قال:

« فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ ، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ ، وَلَا تَظُنُّوا بِيَ اسْتِثْقَالًا فِي حَقٍّ قِيلَ

---

(١) وقعة صفّين: ١٦١.

لِي ، وَلَا الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي ، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ ، كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ. فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِيءَ ، وَلَا آمَنُ ذٰلِكَ مِنْ فِعْلِي ، إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي »[١].

وحفلت هذه الكلمات بأسمى صور العدل والفضيلة ، وهذه أمثلتها :

١ ـ عدم مخاطبة الإمام بالألقاب العظيمة والأوصاف الفخمة التي تضفى على الجبابرة ، وعشّاق الحكم والسلطان.

٢ ـ عدم مخالطته بالمصانعة والمجاملة ، فإنّ مخالطة الأُمراء ـ حسب رأي الإمام ـ يجب أن تكون بالنصيحة والصراحة لا بالمصانعة التي هي من ألوان النفاق الاجتماعي.

٣ ـ أن لا يظنّ بالإمام إنّه يكره من سماع الحقّ ، والانصياع للعدل.

٤ ـ منح الإمام بما يصلح أُمور الرعيّة.

٥ ـ الجهر بالحقّ ومجابهة السلطة بواجباتها ومسؤوليّاتها.

هذه بعض النقاط المهمّة في كلام الإمام رائد الفكر الإنساني ، ومؤسّس حقوق الإنسان... ولنعد بعد هذا إلى انتخاب النبيّ صلى الله عليه وآله للإمام لزعامة الأُمّة وقيادة مسيرتها ، وهو من أهمّ بحوث الخلافة.

انتخاب النبيّ للإمام خليفة

والشيء المؤكّد العاري من الشكّ والوهم هو أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد انتخب الإمام

---

(١) نهج البلاغة : ١/٣٣٥.

أمير المؤمنين عليه السلام خليفة من بعده، وليس في هذا القول خضوع للعاطفة وانقياد لهوى طائفي، وغير ذلك ممّا يؤول إلى التراب، وإنّما هو الحقّ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي هو واضح كالشمس.

لقد أقام النبيّ صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين قائداً عامّاً لمسيرة اُمّته، ونصبه علماً وهادياً لها، وهذه بعض الأدلّة على ذلك:

أوّلاً: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان شديد الحرص على اُمّته حسب ما نطق به كتاب الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِن أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[(١)]، وقد عانى من المحن ما لا يوصف لمرارته في سبيل هداية اُمّته وإنقاذها من ويلات الفتن والخطوب، وقد خاض أعنف الحروب وأشدّها محنةً وبلاءً من أجل أن يقيم أحكام الله تعالى في الأرض، فهل من المنطق أن يترك اُمّته من بعده ترزح في ميادين الفوضى وينزو على منبر خلافته أمثال بني اُميّة وبني العبّاس من اللصوص الذين أمعنوا في ظلم المسلمين وأرغموهم على ما يكرهون؟

ثانياً: إنّ الإسلام الذي جاء به النبيّ صلى الله عليه وآله مجموع من الأنظمة والأحكام لا بدّ من إقامتها على مسرح الحياة من بعده من إمام عادل واعٍ خبير بها، فكيف يتركها الرسول صلى الله عليه وآله من بعده من دون قائم عليها وخبير بها، وعالم بمحتوياتها.

ثالثاً: إنّ للإسلام أعداء يتربّصون به الدوائر ويكيدونه في غلس الليل وفي وضح النهار، وهم المنافقون واليهود، فكيف يترك الرسول صلى الله عليه وآله اُمّته من بعده من دون أن يعيّن لها القائد والحارس الذي يحميها من شرّ هؤلاء الأعداء؟ وقد ذكرنا

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

في طليعة هذا الكتاب شرّ أعداء الإسلام، وأحقادهم على المسلمين، وأنّهم كانوا يلقون الفتنة بينهم من أجل تمزيق وحدتهم والقضاء على دولتهم وسلطانهم.

رابعاً: إنّ المسلمين الذين دخلوا في الإسلام كان الكثير منهم لم يفهموا القيم الإسلاميّة، ولم يعوها، وقد قضوا معظم حياتهم في عبادة الأوثان والأصنام، وإنّما دخلوا في الإسلام إمّا طمعاً، وإمّا خوفاً، فلم يستقرّ الدين في نفوسهم، ولذا بعد انتقال النبيّ ﷺ إلى حظيرة القدس ارتدّ الكثير منهم عن الإسلام، والنبيّ ﷺ واقف على ذلك وعالم به، فكيف يترك الاُمّة من بعده من دون أن يعيّن لها القائد والحاكم ليحميها من الفتن التي تعصف بها.

خامساً: إنّ الإسلام فيه الحدود والتعزيرات، والعبادات والمعاملات، والعقود والإيقاعات، والعامّ والخاصّ، والمطلق والمقيّد، والناسخ والمنسوخ، وهي تحتاج إلى عالم بها، ومحيط بأحكامها، فكيف لا يعيّن النبيّ ﷺ من يفهم نصوصها، ويدرك قواعدها واُصولها، ومن المؤكّد أنّه ليس أحد من الصحابة ولا في الاُسرة النبويّة من هو أعلم بها من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ولا أفقه منه، وقد قال النبيّ ﷺ: «**عَلِيٌّ أَقْضاكُمْ**»، وقال عمر بن الخطّاب: «لو لا عليّ لهلك عمر».

وجميع فقهاء المسلمين عيال على فتواه وأحكامه في القضاء وغيره، فكان هو المتعيّن لزعامة الاُمّة ومرجعيّتها.

سادساً: إنّ النبيّ ﷺ تولّى بنفسه تربية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وغذّاه بمواهبه وعبقرياته، وقد قال ﷺ: «**أَنا مَدينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بابُها**».

أخذ النبيّ ﷺ الإمام وهو طفل من عمّه أبي طالب حينما أصابته ضائقة اقتصاديّة، فكان يرعاه في كلّ لحظة من طفولته، ومن الجدير بالذكر أنّ السيّدة الفاضلة فاطمة اُمّ الإمام، وهي التي قامت برعاية النبيّ ﷺ بعد وفاة اُمّه الزكيّة

آمنة كانت تدعو الله تعالى أن يرزقها ولداً ليكون أخاً للنبيّ فرزقها الله تعالى الإمام، فكان أخاً للنبيّ ﷺ، ومن أشفق النّاس وأحبّهم له.

ولم يفارق الإمام عليه السلام النبيّ ﷺ في جميع مراحل حياته، فكان معه في حلّه وترحاله، وتأثّر بهديه وسلوكه، فكان صورة عنه يحكيه في طباعه وميوله، فكيف لا يعيّنه النبيّ ﷺ خليفة من بعده وإماماً لأُمّته.

إنّ الإمام أمير المؤمنين نفس النبيّ ﷺ حسبما دلّت عليه بوضوح آية المباهلة، فكيف يتعدّاه رسول الله ﷺ وينصّب غيره خليفة؟ أم كيف يهمل تعيين الخليفة من بعده ويترك الأُمّة في فوضى تموج في تيّارات من الفتن والضلال؟

سابعاً: ما لنا نستدلّ بتلك الأدلّة على أهمّيّة الإمام وسموّ مكانته، وأنّه أوْلى بالخلافة بعد النبيّ من غيره؟ وعندنا كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فقد أبرز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بأبهى صورة، وأسمى مكانة في الإسلام، فعلام نستدلّ بغيره؟

وهذه بعض الآيات التي اشادت برائد العدالة الإسلاميّة.

الإمام عليه السلام في رحاب القرآن الكريم

١ ـ آية المباهلة

قال تعالى: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (١).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١.

نزلت الآية الكريمة في حادثة تأريخيّة بالغة الأهمّية جرت بين النبيّ ﷺ وبين وفد ديني من نصارى نجران قدموا إلى المدينة لمناظرة النبيّ ﷺ في الإسلام، وبعد حديث جرى بينهما اتّفقا على الابتهال إلى الله تعالى أن ينزل عذابه وعقابه الفوري على الكاذبين، فأخرج النبيّ ﷺ للمباهلة أهل بيته وهم:

أ ـ السبطان سيّدا شباب أهل الجنّة عليهما السلام، وهم الأبناء في الآية.

ب ـ سيّدة نساء العالمين، مَن يرضى الله لرضاها، ويغضب لغضبها، فاطمة الزهراء سلام الله عليها، وهي المعنيّة بالنساء في الآية.

ج ـ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أخو النبيّ ﷺ، وباب مدينة علمه، وهو المراد بالنفس في الآية.

الإمام حسب منطوق الآية نفس النبيّ، وكما أنّ النبيّ أفضل خلق الله تعالى من الأوّلين والآخرين، فكذلك من كان بمنزلة نفسه، وكما أنّه لا مجال للخلافة في زمن الرسول فكذلك بعده، وذلك لوجود نفس النبيّ ﷺ، وهو أفضل خلق الله تعالى، فكيف آلت الخلافة إلى غيره مع وجوده التنزيلي، وهو الإمام الذي هو نفس النبيّ ﷺ ولا يملك أحد من المسلمين هذه المنزلة الرفيعة، غيره.

٢ ـ آية الإنذار

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ (١).

روى الطبري بسنده عن ابن عبّاس، قال: لمّا نزلت هذه الآية وضع النبيّ ﷺ يده على صدره، وقال: «**أَنا الْمُنْذِرُ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ**»، وأومأ إلى منكب عليّ،

---

(١) سورة الرعد: الآية ٧.

فقال: «**أَنْتَ الْهادي، بِكَ يَهْتدي الْمُهْتَدُونَ بَعْدي**»[١].

٣ ـ آية الأُذن الواعية

قال تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[٢].

روى الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام: إنّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله قال له: «**سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يَجْعَلَها أُذُنَكَ يا عَلِيُّ... ، قالَ: فَما نَسِيْتُ شَيْئاً بَعْدُ، وَما كانَ لِي أَنْ أَنْسىٰ**»[٣].

٤ ـ آية أهل الذِّكر

قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٤].

روى الطبري بسنده عن جابر الجعفي قال: لمّا نزلت هذه الآية قال عليّ عليه‌السلام: «**نَحْنُ أَهْلُ الذِّكْرِ**»[٥].

٥ ـ آية الولاء

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٦].

---

(١) تفسير الطبري: ١٣/٧٢، وقريب منه في تفسير الرازي. كنز العمّال: ٦/١٥٧. كنوز الحقائق: ٣/١٢٢. مستدرك الحاكم: ٣/١٦٤.

(٢) سورة الحاقّة: الآية ١٢.

(٣) تفسير الطبري ٢٩: ٣٥. الكشّاف ٤: ٦٠٠ في تفسير الآية ١٣ من سورة الحاقّة. كنز العمّال ٦: ١٠٨. الدرّ المنثور ٨: ٢٦٧.

(٤) سورة النحل: الآية ٤٣.

(٥) تفسير الطبري ٨: ١٤٥.

(٦) سورة المائدة: الآية ٥٥.

روى الصحابي الجليل أبو ذرّ، قال: صلّيت مع رسول الله ﷺ صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء، وقال: «اللّهمّ اشهد سألت في مسجد الرسول ﷺ فما أعطاني أحد شيئاً، وعليّ راكع، فأومأ إليه بخنصره اليمنى، وكان فيها خاتم، فأخذ الخاتم بمرأى النبيّ ﷺ، فقال:

«اللَّهُمَّ إِنَّ أَخِي مُوسى بْنَ عِمْرانَ سَأَلَكَ فَقالَ:

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾(١)، فَأَنْزَلْتَ عَلَيْهِ قُرْآناً ناطِقاً: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾(٢)، اللّٰهُمَّ وَإِنِّي مُحَمَّدٌ نَبِيُّكَ وَصَفِيُّكَ، اللّٰهُمَّ فَاشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي، عَلِيّاً اشْدُدْ بِهِ ظَهْرِي».

قال أبو ذرّ: فما استتمّ دعاءه حتى نزل عليه جبرئيل من عند الله تعالى بهذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(٣).

حصرت الآية الولاية العامّة على المسلمين في الله تعالى، وفي رسوله العظيم ﷺ، وفي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وعبّرت عنه بصيغة الجمع ﴿الَّذِينَ﴾ لا بصيغة المفرد: تعظيماً لشأنه، وتكريماً لمقامه، والجملة في الآية اسميّة، وفيها

---

(١) سورة طه: الآيات ٢٥ ـ ٣٢.

(٢) سورة القصص: الآية ٣٥.

(٣) تفسير الرازي: ٢٦/١٢. الطبري في تفسيره: ١٨٦/٦. نور الأبصار: ١٧٠.

أداة الحصر «إنّما» ، وهذا الحصر يفيد التوكيد ، وعليه فقد أكّد الله تعالى الولاية للإمام أمير المؤمنين عليه السلام(١) .

٧ ـ آية السابقين

قال الله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾(٢) .

روى جمهور المفسّرين أنّ المراد بالسابقين في هذه الأُمّة هو الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام(٣) .

٨ ـ آية مَن يشري نفسه

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ ﴾(٤) .

نزلت الآية الكريمة في مبيت الإمام عليه السلام على فراش النبيّ صلى الله عليه وآله حينما أجمعت قريش على قتله ، فخرج في غلس الليل من مكّة ، وأناب الإمام عنه في فراشه ، فكان الفدائي الأوّل في الإسلام للنبيّ صلى الله عليه وآله ، فأنزل الله تعالى في حقّه هذه الآية(٥) .

٩ ـ آية المودّة

من الآيات النازلة في أهل البيت عليهم السلام ، وفي سيّدهم الإمام عليه السلام قوله تعالى : ﴿قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ

---

(١) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ١٩٢/١ .

(٢) سورة الواقعة : الآيتان ١٠ و ١١ .

(٣) دلائل الصدق : ١٠٢/٢ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٠٧ .

(٥) مستدرك الحاكم : ٤/٣ .

فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[١].

ذهب جمهور المفسّرين والرواة أنّ المراد بالقربى الذين فرض الله تعالى مودّتهم، هم الإمام أمير المؤمنين، والحسنان، وسيّدة نساء العالمين سلام الله عليهم، والمراد من اقتراف الحسنة ـ في الآية ـ مودّتهم ومحبّتهم.

روى الصحابي جابر بن عبدالله قال: جاء اعرابي إلى النبيّ ﷺ فقال له:

«إعرض عليَّ الإسلام».

فقال ﷺ: «**تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**».

فقال الأعرابي:

«تسألني عليه أجراً؟».

قال ﷺ: «**إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ**».

وانبرى الأعرابي قائلاً:

«قرباي أم قرباك؟».

«**بَلْ قُرْبايَ**».

وراح الاعرابي قائلاً:

«هات أُبايعك، فعلى من لا يحبّك ولا يحبّ قرابتك، لعنة الله...».

وأسرع النبيّ ﷺ قائلاً: «**آمين**»[٢].

---

(١) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٢) مجمع الزوائد: ١٠٣/٧. ذخائر العقبى: ٢٥. حلية الأولياء: ١٠٢/٣.

وعن شاعر الإسلام الكميت في هذه الآية قوله:

وَجَدْنا لَكُمْ فِي آلِ حا ميمَ آيَةً   تَـأَوَّلها مِـنّا تَـقِيٌّ وَمُـعرِبُ

ويقول الشافعي:

يـا أَهْـلَ بَـيْتِ رَسُـولِ اللهِ حُـبُّكُمُ   فَرْضٌ مِنَ اللهِ فِي الْـقُرْآنِ أَنْـزَلَهُ[١]

إنّ في مودّة الإمام وأهل بيته أداء لأجر الرسول ﷺ على ما عاناه من جهد شاق في سبيل إنقاذ البشريّة من ظلمات الشرك.

قال ابن العربي:

رأَيتُ ولائـــي آل طــه فَــريضةً   عَلىٰ رَغمِ أهلِ البُعدِ يورثُني البُعدا

فَماطلبَ المَبعوثُأجراً على الهُدىٰ   بِـتَبليغهِ إلّا المَــودّةَ فــي القُـربىٰ

١٠ ـ آية التطهير

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَـنكُمُ الرِّجْسَ أَهْـلَ الْـبَيْتِ وَيُـطَهِّرَكُـمْ تَطْهِيراً﴾[٢].

نزلت الآية في الإمام أمير المؤمنين، وفي السبطين، وسيّدة نساء العالمين، روت أُمّ المؤمنين أُمّ سلمة، قالت: نزلت هذه الآية في بيتي، وفيه كانت فاطمة والحسن والحسين وعليّ، فجلّلهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه، ثمّ قال:

«اللّٰهُمَّ هـٰؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً»، يكـرّر ذلك.

---

(١) نور الأبصار: ١٠٤.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

فقالت أُمّ سلمة: «وأنا معكم يا رسول الله؟»، ورفعت الكساء لتدخل، فجذبه رسول الله ﷺ وقال لها:

«**إنَّكِ علىٰ خيْرٍ**»[١].

وروى ابن عبّاس، قال: شهدت رسول الله ﷺ سبعة أشهر يأتي كلّ يوم باب عليّ بن أبي طالب عند وقت كلّ صلاة فيقول:

«**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ أَهْلَ الْبَيْتِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، الصَّلَاةَ يَرْحَمُكُمُ اللهُ**» كلّ يوم خمس مرّات[٢].

دلت الآية الكريمة على عصمة الإمام مع أهل بيته، فقد تصدّرت الآية بكلمة «إنّما»، وهي من أقوى أدوات الحصر، ودخول اللام في الكلام الخبري وتكرار لفظ الطهارة، وكلّ ذلك يدلّ ـ بحسب الصناعة ـ على الحصر في إزالة كلّ رجس وذنب عنهم، وهذا معنى العصمة الذي تقول به الشيعة.

هذه بعض الآيات البيّنات التي أشادت بفضل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وميّزته عن بقيّة المسلمين في إيمانه وهديه وسلوكه.

وعلى أيّ حال، فالاستدلال على فضل الإمام عليه السلام إنّما هو كالاستدلال على وجود النهار في وضوحه، ورحم الله الشاعر إذ يقول:

وليسَ يَصحُّ في الأَذهانِ شَيءٌ ... إذا احْتاجَ النَّهارُ إلىٰ دَليلِ

ثامناً: ونظرة سريعة وخاطفة في مصادر السيرة النبويّة والحديث ترينا مدى

---

(١) مستدرك الحاكم: ٢/٤١٦. أُسد الغابة: ٥/٥٢١.

(٢) الدرّ المنثور: ٥/١٩٩.

اهتمام النبيّ صلى الله عليه وآله البالغ بشأن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وتقديمه على غيره في فضله وتقواه وسائر ملكاته، وهذه شذرات من أحاديثه فيه:

الإمام عليه السلام في ظلال السنة

١ ـ الإمام عليه السلام نفس النبيّ صلى الله عليه وآله

أعلن النبيّ صلى الله عليه وآله في كوكبة من أحاديثه أنّ الإمام نفسه، وهذه بعضها:

أ ـ أخبر الوليد بن عقبة أخو عثمان لأمّه، النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ بني وليعة ارتدّوا عن الإسلام، فغضب النبيّ وقال:

«**لَيَنْتَهِيَنَّ بَنُوْ وَلِيْعَةَ أَوْ لأَبْعَثَنَّ إِلَيْهِمْ رَجُلاً كَنَفْسِي، يَقْتُلُ مَقَاتِلَهُمْ وَيَسْبِي ذَرَارِيَّهُمْ، وَهُوَ هٰذا**»، ثمّ ضرب على كتف الإمام عليه السلام(١).

ب ـ روى عمرو بن العاص قال: لمّا قدمت من غزوة ذات السلاسل وكنت أظنّ أن ليس أحد أحبُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله منّي فقلت: يا رسول الله، أي الناس أحبُّ إليك، فذكر أُناساً، قلت: يا رسول الله، فأين عليّ؟ فالتفت النبيّ إلى أصحابه، فقال: «**إِنَّ هٰذا يَسْأَلُنِي عَنِ النَّفْسِ**»(٢).

٢ ـ الإمام عليه السلام أخو النبيّ صلى الله عليه وآله

وتظافرت الأخبار عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ الإمام أخوه، وهذا نصّها:

---

(١) مجمع الزوائد: ٧/١١٠، وكان الوليد كاذباً في إخباره بارتداد بني وليعة، فنزلت الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ...**﴾ سورة الحجرات: الآية ٦.

(٢) كنز العمّال: ٦/٤٠٠.

أ ـ روى الترمذي بسنده عن ابن عمر قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، فجاء عليّ تدمع عيناه، فقال:

«يا رَسُولَ اللهِ، آخَيْتَ بَيْنَ أَصْحابِكَ، وَلَمْ تُواخِ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٍ؟».

فقال له رسول الله ﷺ: «أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنيا وَالْآخِرَةِ»[١].

وأعظم بهذه الاخوّة التي امتدّت جذورها من دار الدنيا إلى دار الآخرة.

ب ـ روى أنس بن مالك قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر وبعد انتهاء خطابه قال:

«أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟».

فوثب إليه عليّ قائلاً: ها أنا ذا يا رسول الله، فضمّه إلى صدره، وقبّل ما بين عينيه، وقال بأعلى صوته:

«مَعاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، هٰذا أَخِي وَابْنُ عَمِّي وَخَتْنِي، هٰذا لَحْمِي وَدَمِي وَشَعْرِي، هٰذا أَبُو السِّبْطَيْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ سَيِّدَيْ شَبابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[٢].

ج ـ روى ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ في حجّة الوداع، وهو على ناقته، فضرب على منكب عليّ، وهو يقول:

«اللّٰهُمَّ اشْهَدْ... اللّٰهُمَّ قَدْ بَلَّغْتُ هٰذا أَخِي، وَابْنُ عَمِّي، وَصِهْرِي، وَأَبُو وَلَدَيّ. اللّٰهُمَّ كُبَّ مَنْ عاداهُ فِي النَّارِ»[٣].

---

(١) صحيح الترمذي: ٢٩٩/٢. مستدرك الحاكم: ١٤/٣.

(٢) ذخائر العقبى: ٩٢.

(٣) كنز العمّال: ٦١/٣.

د ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لَمّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّماءِ السَّابِعَةِ قالَ لِي جَبْرَئِيلُ: تَقَدَّمْ يا مُحَمَّدُ فَوَاللهِ ما نَالَ هٰذِهِ الْكَرامَةَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، فَأَوْحىٰ لِي رَبِّي شَيْئاً، فَلَمّا أَنْ رَجَعْتُ نادىٰ مُنادٍ مِنْ وَراءِ الْحاجِبِ: نِعْمَ الْأَبُ أَبُوكَ إِبْراهِيمُ، وَنِعْمَ الْأَخُ أَخُوكَ عَلِيٌّ، فاسْتَوْصِ بِهِ خَيْراً»[١].

هـ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِذا كانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ نُودِيتُ مِنْ بُطْنانِ الْعَرْشِ: يا مُحَمَّدُ، نِعْمَ الْأَبُ أَبُوكَ إِبْراهِيمُ، وَنِعْمَ الْأَخُ أَخُوكَ عَلِيٌّ»[٢].

و ـ روى أبو الطفيل عامر بن واثلة قال: كنت على الباب يوم الشورى، فارتفعت الأصوات بينهم، فسمعت عليّاً يقول:

«بايَعَ النَّاسُ أَبا بَكْرٍ وَأَنا وَاللهِ أَوْلىٰ بِالْأَمْرِ مِنْهُ، وَأَحَقُّ بِهِ مِنْهُ، فَسَمِعْتُ وَأَطَعْتُ، مَخافَةَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ كُفّاراً يَضْرِبُ بَعْضُهُمْ رِقابَ بَعْضٍ بِالسَّيْفِ، ثُمَّ بايَعَ النَّاسُ عُمَرَ وَأَنا وَاللهِ أَوْلىٰ مِنْهُ، وَأَحَقُّ بِهِ مِنْهُ، فَسَمِعْتُ وَأَطَعْتُ مَخافَةَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ كُفّاراً يَضْرِبُ بَعْضُهُمْ رِقابَ بَعْضٍ بِالسَّيْفِ، ثُمَّ أَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُبايِعُوا عُثْمانَ إِذَنْ أَسْمَعُ وَأُطِيعُ، إِنَّ عُمَرَ جَعَلَنِي فِي خَمْسَةِ نَفَرٍ أَنا سادِسُهُمْ، لَا يَعْرِفُ لِي فَضْلاً عَلَيْهِمْ فِي الصَّلَاحِ، وَلَا يَعْرِفُونَهُ لِي، كُلُّنا فِيهِ شَرَعٌ سَواءٌ، وَأَيْمُ اللهِ لَوْ أَشاءُ أَتَكَلَّمُ ثُمَّ لا يَسْتَطِيعُ عَرَبِيُّهُمْ وَلَا عَجَمِيُّهُمْ،

---

(١) كنز العمّال: ٣/١٦١.

(٢) المصدر المتقدّم: ١٦٢.

وَلَا الْمُعاهِدُ مِنْهُمْ وَلَا الْمُشْرِكُ ، رَدَّ خُصْلَةٍ مِنْهَا ، لَفَعَلْتُ ».

ثمّ قال: « **نَشَدْتُكُمُ اللهَ أَيُّها النَّفَرُ جَمِيعاً ، أَفِيْكُمْ أَحَدٌ أَخُوْ رَسُولِ اللهِ ﷺ غَيْرِي ؟** » ،

قالوا: اللّهمّ لا[١].

وحكى هذا الحديث أمراً بالغ الأهمّية ، وهو إقدام الشيخين على الاستيلاء على الخلافة ، مع علمهما أنّه أحقّ بالأمر وأوْلى بها منهما؛ اذ لم تكن لهما أيّة بادرة من بوادر الجهاد ، والذبّ عن الإسلام في حياة الرسول ﷺ كما كانت له ، فهو الذي فدى رسول الله ﷺ بنفسه ، فبات على فراشه ، وهو صاحب المواقف المشهودة يوم بدر وأُحد والأحزاب... فقد قام الإسلام بجهوده وجهاده ، وليس في ذلك انقياد للعاطفة والأهواء دونكم التأريخ الإسلامي على ما فيه من وضع فتصفّحوه فهل ترون علماً بارزاً في الإسلام أيّام النبيّ ﷺ ، غيره.

وتحدّث الإمام عن السبب في إحجامه عن القيام بثورة مسلّحة ضدّ الشيخين ، وهو الخوف على ارتداد المسلمين ورجوعهم إلى جاهليّتهم الأُولى ، فأطاع وسمع ولكن في الحلق شجى وفي العين قذى على حدّ تعبيره.

ط ـ قال الإمام أبو جعفر عليه السلام : « **لمّا نزلت الآية ﴿وَاجْعَل لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾[٢] ، كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلىٰ جَبَلٍ فَدَعا رَبَّهُ ، وَقالَ: اللّٰهُمَّ اشْدُدْ أَزْرِي بِأَخِي عَلِيٍّ** »[٣].

---

(١) كنز العمّال: ٣/١٥٥.

(٢) سورة طه: الآيات ٢٩ ـ ٣١.

(٣) كنز العمّال: ٧/١١٣. مستدرك الحاكم: ٣/٢١٠. تاريخ الطبري: ٢/٥٦.

٣ ـ الإمام عليه السلام وزير النبيّ صلى الله عليه وآله

أكّد النبيّ صلى الله عليه وآله في كثير من الأحاديث أنّ الإمام عليه السلام وزيره، وهذه بعضها:

أ ـ روت أسماء بنت عميس المرأة الصالحة، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«**اللّٰهُمَّ إِنِّي أَقُولُ كَما قَالَ أَخِي مُوسىٰ: اللّٰهُمَّ اجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي، أَخِي عَلِيّاً، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي، كَي نُسَبِّحَكَ كَثِيراً، وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً، إِنَّكَ كُنْتَ بِنا بَصِيراً**»[١].

ب ـ روى الصحابي الجليل أبو ذرّ الغفاري قال: صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً من الأيام الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً، فرفع السائل يديه إلى السماء وقال: اللّهمّ اشهد إنّي سألت في مسجد نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله فلم يعطني أحد شيئاً، وكان عليّ في الصلاة راكعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنى، وفيها خاتم، وذلك بمرأى النبيّ وهو في المسجد، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله طرفه إلى السماء وقال:

«**اللّٰهُمَّ إِنَّ أَخِي مُوسىٰ سَأَلَكَ فَقالَ: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾[٢]، فَأَنْزَلْتَ عَلَيْهِ قُرْآناً: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾[٣]، اللّٰهُمَّ وَإِنِّي مُحَمَّدٌ نَبِيُّكَ وَصَفِيُّكَ، اللّٰهُمَّ فَاشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي،**

---

(١) الرياض النضرة: ٢/١٦٣.

(٢) سورة طٰه: الآيات ٢٥ ـ ٣٢.

(٣) سورة القصص: الآية ٣٥.

وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي ، عَلِيّاً اشْدُدْ بِهِ ظَهْرِي».

قال أبو ذرّ: فما استتمّ دعاءه حتى نزل عليه جبرئيل من عند الله بهذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[١] [٢].

٥ ـ الإمام عليه السلام خليفة النبيّ صلى الله عليه وآله

تظافرت الأحاديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ الإمام خليفته من بعده على أُمّته ، وهذه بعضها:

أ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « **يا عَلِيُّ ، أَنْتَ خَلِيْفَتِي عَلىٰ أُمَّتِي** »[٣].

ب ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « **عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَقْدَمُهُمْ سِلْماً ، وَأَكْثَرُهُمْ عِلْماً ، وَهُوَ الْإِمامُ وَالْخَلِيفَةُ بَعْدِي** »[٤].

ج ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « **مَعاشِرَ النَّاسِ ، مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ قِيلاً؟ إِنَّ رَبَّكُم جَلَّ جَلَالُهُ أَمَرَنِي أَنْ أُقِيمَ لَكُم عَلِيّاً عَلَماً وَإِماماً وَخَلِيفَةً وَوَصِيّاً** »[٥].

د ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « **عَلِيٌّ مِنِّي . وَأَنا مِنْ عَلِيٍّ . قاتَلَ اللهُ مَنْ قاتَلَ عَلِيّاً ، عَلِيٌّ إِمامٌ وَالْخَلِيفَةُ بَعْدِي** »[٦].

هـ ـ قال صلى الله عليه وآله : « **إِنَّ اللهَ أَوْحىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ جاعِلٌ لِي مِنْ أُمَّتِي أَخاً ، وَوارِثاً ،**

---

(١) سورة المائدة : الآية ٥٥.

(٢) نور الأبصار : ٧٠. تفسير الرازي : ٢٦/١٢.

(٣) و (٤) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ١٠٩/١.

(٥) و (٦) المراجعات : ٢٠٩.

وَخَلِيفَةً ، وَوَصِيّاً ، فَقُلْتُ : يا رَبِّ مَنْ هُوَ ؟ فَقالَ : ذاكَ مَنْ أُحِبُّهُ وَيُحِبُّنِي ، وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ »(١).

وكثير من أمثال هذه الأحاديث قد نصّت على أنّ الإمام خليفة رسول الله ﷺ من بعده.

٦ ـ الإمام عليه السلام من النبيّ ﷺ كهارون من موسى عليهما السلام

وتوالت أحاديث النبيّ ﷺ يتبع بعضها بعضاً في تعظيم الإمام وسموّ مقامه ، ومن بين هذه الأحاديث أنّه كهارون من موسى ، وهذا عرض لبعضها :

أ ـ قال رسول الله ﷺ لعليّ: «**أَما تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسىٰ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي**»(٢).

ب ـ قال عمر بن الخطّاب: كفّوا عن ذكر عليّ بن أبي طالب فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**فِي عَلِيٍّ ثَلَاثُ خِصالٍ**» ، لأن يكون لي واحدة منهنّ أحبُّ إليَّ ممّا طلعت عليه الشمس: كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة الجرّاح ونفر من أصحاب رسول الله ﷺ والنبيّ متّكئ على عليّ بن أبي طالب ، حتى ضرب بيده على منكبه.

ثمّ قال: «**أَنْتَ يا عَلِيُّ ، أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيماناً ، وَأَوَّلُهُمْ إِسْلَاماً**».

ثمّ قال: «**أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسىٰ**»(٣).

---

(١) المراجعات: ٢٠٩.

(٢) مسند أبي داود: ٢٩/١. حلية الأولياء: ١٩٥/٧. مشكل الآثار: ٣٠٩/٢. مسند أحمد بن حنبل: ١٨٢/١. تاريخ بغداد: ٤٣٢/١١. خصائص النسائي: ١٦.

(٣) الرياض النضرة: ١٦٣/٢. كنز العمّال: ٣٩٥/٦.

ج ـ قال سعد بن أبي وقّاص: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«**لِعَلِيٍّ ثَلاثُ خِصالٍ**»، لأن يكون لي واحدة منها أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها، سمعته يقول:

«**أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسىٰ إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»، وسمعته يقول: «**لَأُعْطِيَنَّ الرّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ لَيْسَ بِفَرّارٍ**».

وسمعته يقول: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ...**»[(١)].

إذن أنت يابن أبي وقّاص سمعت ذلك من رسول الله ﷺ في حقّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فلماذا اعتزلت بيعته بعد مقتل عميد الأمويّين عثمان بن عفّان؟ إنّ الدنيا حليت لك وأمثالك وغرّتكم وانحرفتم عن الطريق القويم.

د ـ روى جابر بن عبدالله الأنصاري أنّ النبيّ ﷺ قال لعليّ عليه السلام: «**أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسىٰ إِلَّا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي**»[(٢)].

وقد شاع هذا الحديث وكثر رواته، وقد نظمه الشهيد الخالد زيد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام بقوله:

وَمَنْ فَضَّلَ الْأَقْوامَ يَوْماً بِرأْيِهِ ... فَإِنَّ عَلِيّاً فَضَّلَتْهُ الْمَناقِبُ
وَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ وَالْحَقُّ قَوْلُهُ ... وَإِنْ رَغَمَتْ مِنْهُ الْأُنُوفُ الْكَواذِبُ
بِأَنَّكَ مِنِّي يا عَلِيُّ مُعالِناً ... كَهارُونَ مِنْ مُوسىٰ أَخٌ لِي وَصاحِبُ

---

(١) كنز العمّال: ٤٠٥/٦.

(٢) صحيح الترمذي: ٣٠١/٢. تاريخ بغداد: ٣٧٨/٣. مسند أحمد بن حنبل: ١٨٣/٣.

دَعــاهُ بِــبَدْرٍ فَــاسْتَجابَ لِأَمْــرِهِ فَــبادَرَ فِــي ذاتِ الْإِلهِ يُـضارِبُ(١)

إنّ حديث المنزلة واضح المعنى ، فقد جعل النبيّ ﷺ الإمام منه بمنزلة هـارون من موسى ، وهارون وزير لموسى وخليفة له ، فكذلك الإمـام أمـير المـؤمنين عليه السلام من رسول الله ﷺ ، ولأهمّية هذا الحديث فقد احـتجّ بـه الإمـام عليه السلام حـينما بـويع عثمان بعد مقتل عمر ، فقد قال للمهاجرين والأنصار:

« **فَهَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِي: أَنْتَ مِـنِّي بِـمَنْزِلَةِ هـارُونَ مِـنْ مُوسىٰ** ».. ثمّ قال: « **فَهَلْ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ مِـثْلُ هـٰذِهِ الْـمَنْزِلَةِ ؟ نَـحْنُ صـابِرُونَ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً** »(٢).

نعم ، سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ وسمعوا الكثير ممّا قاله فيه ، وبايعوه بالإمرة في غدير خمّ ، إلّا أنّهم انقلبوا على أعقابهم وضلّوا عن الطريق القويم.

٧ ـ الإمام عليه السلام باب مدينة علم النبيّ ﷺ

وكان من سموّ منزلة الإمام وعظيم شأنه وجلالة قدره ، أنّ النبيّ ﷺ جعله باباً لمدينة علمه التي هي أوسع من كلّ مدينة ، وقد نال هذا الحديث الدرجة القطعيّة في سنده كالأحاديث السابقة ، وإليك بعض رواته:

أ ـ روى جابر بن عبدالله قال: سمعت رسول الله ﷺ يوم الحديبية ، وهو آخذ بيد عليّ عليه السلام ، وهو يقول:

« **هـٰذا أَمِيرُ الْبَرَرَةِ ، وَقاتِلُ الْفَجَرَةِ ، مَنْصُورٌ مَنْ نَصَرَهُ ، مَخْذُولٌ مَنْ خَذَلَهُ** » ،

---

(١) فوات الوفيات: ٢/٣٨.

(٢) كنز العمّال: ٣/١٥٤.

يمدّ بها صوته: «أَنا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بابُها، فَمَنْ أَرادَ الْبَيْتَ فَلْيأْتِ الْبابَ»[١].

ب ـ روى ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ:

«أَنا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بابُها، فَمَنْ أَرادَ الْمَدِينَةَ فَلْيَأْتِها مِنْ بابِها»[٢].

ج ـ روى ابن حجر بسنده: أنّ النبيّ ﷺ قال:

«عَلِيٌّ بابُ عِلْمِي، وَمُبَيِّنٌ لأُمَّتِي ما أُرْسِلْتُ بِهِ مِنْ بَعْدِي، حُبُّهُ إِيمانٌ، وَبُغْضُهُ نِفاقٌ، وَالنَّظَرُ إِلَيْهِ رَأْفَةٌ»[٣].

إنّ الإمام باب مدينة علم النبيّ ﷺ التي هي دنيا من العلوم والمعارف وسعت جميع آفاق الدنيا تمدّ الحياة بالحكمة وقواعد الآداب والأخلاق، وقد استوعبها الإمام بفكره الثاقب وقلبه المطمئنّ بالإيمان، فمن أراد أن ينتهل من ذلك النمير فليأت إلى وصيّه وباب مدينة علمه.

ومن المؤسف جدّاً أنّ القوم قد سدّوا نوافذ ذلك النور الإلهي، وحرموا البشريّة من الاستفادة منه.

٨ ـ الإمام عليه السلام باب حكمة النبيّ ﷺ

أعلن النبيّ ﷺ أنّ أمير المؤمنين باب دار حكمته، وهذه بعض أحاديثه:

أ ـ قال رسول الله ﷺ: **«أَنا دارُ الْحِكْمَةِ وَعَلِيٌّ بابُها»**[٤].

---

(١) تاريخ بغداد: ٢/٣٧٧.

(٢) كنز العمّال: ٦/٤٠١.

(٣) كنز العمّال: ٦/١٥٩. الصواعق المحرقة: ٧٣.

(٤) صحيح الترمذي: ٢/٢٩٩. حلية الأولياء: ١/٦٤. كنز العمّال: ٦/٤٠١.

ب ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أَنا مَدِينَةُ الْحِكْمَةِ وَعَلِيٌّ بابُها، فَمَنْ أَرادَ الْحِكْمَةَ فَلْيأْتِ الْبابَ**»[1].

جـ ـ وقريب من هاتين الروايتين قوله صلى الله عليه وآله: «**قُسِّمَتِ الْحِكْمَةُ عَشْرَةَ أَجْزاءٍ فَأُعْطِيَ عَلِيٌّ تِسْعَةَ أَجْزاءٍ وَالنَّاسُ جُزْءاً واحِداً**»[2].

لقد كان الإمام رائد الحكمة الإلـهيّة، ودليلها الهادي الذي فتق أبوابها، ووضع قواعدها، وفلاسفة المسلمين في كلّ عصر عيال عليه.

٩ ـ النبيّ صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام من شجرة واحدة

أعلن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه والإمام من شجرة واحدة، هي شجرة التقوى والإيمان، وقد أُثر عنه في ذلك طائفة من الأحاديث منها:

أ ـ روى جابر بن عبدالله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ:

«**يا عَلِيُّ، النَّاسُ مِنْ شَجَرٍ شَتّىٰ، وَأَنا وَأَنْتَ مِنْ شَجَرَةٍ واحِدَةٍ**»، ثمّ قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿**وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ**﴾[3].

ب ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أَنا وَعَلِيٌّ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ، وَالنَّاسُ مِنْ أَشْجارٍ شَتّىٰ**»[4].

---

(١) تاريخ بغداد: ١١/٢٠٤.

(٢) حلية الأولياء: ١/٦٤. وقريب منه في كنز العمّال: ٦/١٥٤.

(٣) سورة الرعد: الآية ٤. كنوز الحقائق: ١٥٥.

(٤) كنز العمّال: ٦/١٥٤.

ما أعظم تلك الشجرة التي تفرّع منها سيّد الكائنات ورائد الحضارة الإنسانيّة الرسول ﷺ وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، أنّها الشجرة المباركة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء التي انتجت ما ينفع النّاس في جميع الأحقاب والآباد .

١٠ ـ الإمام عليه السلام شبيه الأنبياء عليهم السلام

ضارع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام جميع أنبياء الله العظام في مزاياهم وصفاتهم ، وقد أعلن ذلك النبيّ ﷺ بقوله لأصحابه :

«إِن تَنْظُرُوا إِلىٰ آدَمَ فِي عِلْمِهِ ، وَنُوْحٍ فِي حِكْمَتِهِ ، وَإِبْراهِيمَ فِـي خُـلُقِهِ ، وَمُوسىٰ فِي مُناجاتِهِ ، وَعِيسىٰ فِي سِنِّهِ ، وَمُحَمَّدٍ فِي هَدْيِهِ وَحِلْمِهِ ، فَـانْظُروا إِلىٰ هٰـذَا الْمُقْبِلِ»[١] .

فتطاولت الأنظار إليه فإذا هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد نظم ذلك الشاعر الملهم المفجّع في قصيدته العصماء في مدح الإمام :

أَيُّـها اللّائِـمِي لِـحُبِّي عَـلِيّاً ... قُمْ ذَمِيماً إِلَى الْـجَحِيمِ خَـزِيّا

أَبِـخَيْرِ الْأَنـامِ عَـرَّضْتَ لازِلْـ ... ـتَ مَذُوداً عَنِ الْهُدىٰ مَزْوِيّا[٢]

أَشْـبَهَ الْأَنْـبِياءَ كَـهْلاً وَزَوْلا[٣] **... وَفَـطِيماً وَراضِـعاً وَغَـذِيّا**

كـانَ فِـي عِـلْمِهِ كَـآدَمَ إِذْ عُـ ... لِّـمَ شَـرْحَ الْأَسْماءِ وَالْـمَكْنِيّا

---

(١) الأمالي : ٤١٧ .

(٢) **مذوداً** : مدفوعاً مُبعداً . **مَزوياً** : مصروفاً ممنوعاً .

(٣) **الزَّوْل** : الفتى ، الفطن .

وَكَنُوحٍ نُجِّي مِن الْهُلْكِ مَنْ سُـ ـيِّرَ في الْفُلْكِ إِذْ عَلَا الْجُودِيّا [١]

١١ ـ الإمام عليه السلام أحبّ الخلق إلى الله

روى أنس خادم النبيّ صلى الله عليه وآله قال: قدّمت لرسول الله صلى الله عليه وآله طيراً، فسمّى رسول الله وأكل لقمة، وقال: « **اللّٰهُمَّ ائْتِنِي بِأَحَبِّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ** »، فضرب الباب.

فقلت: من أنت ؟

قال: عليّ.

قلت: إنّ رسول الله في حاجة له.

ثمّ أكل لقمة أُخرى، وقال مثل الأُولى، فضرب عليّ الباب.

فقلت: من أنت ؟

قال: عليّ، قلت: إنّ رسول الله على حاجة.

ثمّ أكل النبيّ لقمة أُخرى وقال مثل ذلك، وضرب عليّ الباب ورفع صوته.

فقال النبيّ:

« **يا أَنَسُ، افْتَحْ لَهُ الْبابَ** ».

ففتحت الباب فدخل، فلمّا رآه تبسّم ثمّ قال:

« **الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جاءَ بِكَ فَإِنِّي أَدْعُو فِي كُلِّ لُقْمَةٍ أَنْ يَأْتِيَنِي اللهُ بِأَحَبِّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ وَإِلَيَّ، فَكُنْتَ أَنْتَ** ».

فقال عَليّ: « **وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَأَضْرِبُ الْبابَ ثَلَاثاً وَيَرُدُّنِي أَنَس** ».

---

(١) **الجودي**: جبل بالجزيرة بقرب الموصل. معجم الأُدباء: ١٧/٢٠٠.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأنس: «لِمَ رَدَدْتَهُ ؟».

قلت: كنت أحبّ أن يكون رجلاً من الأنصار، فتبسّم النبيّ، وقال:

«ما يُلامُ الرَّجُلُ عَلىٰ حُبِّ قَوْمِهِ»(١).

إنّ حديث الطائر المشوي من أوثق الأحاديث النبويّة في سنده ودلالته صريحة واضحة على أنّ الإمام أحبّ الخلق إلى الله تعالى وإلى رسوله في تقواه وإيمانه وعلمه، فهو المتعيّن لمركز الخلافة دون غيره.

١٢ ـ إطاعة الإمام عليه السلام إطاعة للرسول صلى الله عليه وآله

وأكّد النبيّ صلى الله عليه وآله في كثير من أحاديثه أنّ طاعة الإمام إطاعة لله تعالى ولرسوله، قال صلى الله عليه وآله:

«مَنْ أَطاعَنِي فَقَدْ أَطاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصانِي فَقَدْ عَصى اللهَ، وَمَنْ أَطاعَ عَلِيّاً فَقَدْ أَطاعَنِي، وَمَنْ عَصىٰ عَلِيّاً فَقَدْ عَصانِي»(٢).

١٣ ـ مَن أحبّ عليّاً عليه السلام أحبّ الله

أعلن النبيّ صلى الله عليه وآله في كثير من أحاديثه أنّ من أحبّ عليّاً فقد أحبّ الله تعالى، وهذه أمثلة منها:

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أُوْصِي مَنْ آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي بِوِلايَةِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَمَنْ تَوَلّاهُ فَقَدْ تَوَلّانِي، وَمَنْ تَوَلّانِي فَقَدْ تَوَلّى اللهَ، وَمَنْ أَحَبَّهُ

---

(١) ذخائر العقبى: ٦١، وقريب منه في تاريخ بغداد: ٣/١٧١. أُسد الغابة: ٤/٣٠. كنز العمّال: ٦/٤٠٦. صحيح الترمذي: ٢/٢٩٩.

(٢) مستدرك الحاكم: ٣/١٢٤.

فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللهَ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُ فَقَدْ أَبْغَضَنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ »[١].

٢ ـ لمّا بعث رسول الله ﷺ أبا بكر إلى مكّة لقراءة سورة البراءة ثمّ عزله بأمر من الله تعالى وبعث الإمام عليه السلام بها ، قال ﷺ له :

« مَنْ أَحَبَّكَ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَحَبَّنِي أَحَبَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَنْ أَحَبَّ اللهَ تَعالىٰ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ »[٢].

٣ ـ روى ابن عبّاس قال : خرج رسول الله ﷺ قابضاً على يد عليّ عليه السلام ذات يوم فقال :

« أَلَا مَنْ أَبْغَضَ هٰذا فَقَدْ أَبْغَضَ اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَمَنْ أَحَبَّ هٰذا فَقَدْ أَحَبَّ اللهَ وَرَسُولَهُ »[٣].

وكثير من أمثال هذه الأحاديث دلّت على أنّ حبّ الإمام عليه السلام حبّ لله ولرسوله ، وبغضه بغض لله تعالى ولرسوله.

١٤ ـ حبّ عليّ عليه السلام إيمان ، وبغضه نفاق

أعلن النبيّ ﷺ أمام أصحابه أنّ حبّ الإمام عليه السلام إيمان وتقوى وطاعة لله تعالى ، وبغضه معصية ونفاق ، وخروج من الدين ، وهذه بعض أحاديثه :

١ ـ روى المساور الحميري عن اُمّه قالت : دخلت على اُمّ سلمة فسمعتها تقول :

---

(١) الرياض النضرة : ٢/١٦٩. مجمع الزوائد : ٩/١٠٨. كنز العمّال : ٦/١٥٤.

(٢) كنز العمّال : ٦/٣٩١.

(٣) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ١/١١٤.

كان رسول الله ﷺ يقول:

«لَا يُحِبُّ عَلِيّاً مُنافِقٌ، وَلَا يُبْغِضُهُ مُؤْمِنٌ»(١).

٢ ـ روى ابن عبّاس قال: نظر رسول الله ﷺ إلى عليّ عليه السلام فقال: **«لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُكَ إِلَّا مُنافِقٌ، مَنْ أَحَبَّكَ فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَكَ فَقَدْ أَبْغَضَنِي، وَحُبّي حُبُّ اللهِ تَعالىٰ، وَبُغْضي بُغْضُ اللهِ، وَيْلٌ لِمَنْ أَبْغَضَكَ بَعْدِي»**(٢).

٣ ـ روى أبو سعيد الخدري قال أنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ عليه السلام: **«حُبُّكَ إِيمانٌ، وَبُغْضُكَ نِفاقٌ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُحِبُّكَ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ مُبْغِضُكَ»**(٣).

وشاعت هذه الأحاديث بين الصحابة، وصاروا يعرفون المؤمن بحبّه للإمام، ويعرفون المنافق ببغضه له. يقول الصحابي الجليل أبو ذرّ الغفاري: «ما كنّا نعرف المنافقين إلّا بتكذيبهم لله ورسوله، والتخلّف عن الصلوات، والبغض لعليّ بن أبي طالب»(٤).

وقال الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري: «ما كنا نعرف المنافقين إلّا ببغض عليّ بن أبي طالب»(٥).

---

(١) صحيح الترمذي: ٢/٢٠١.

(٢) مجمع الزوائد: ٩/١٣٣. صحيح الترمذي: ٢/١٩٩.

(٣) مجمع الزوائد: ٩/١٢٣.

(٤) نور الأبصار / الشبلنجي: ١٧٢.

(٥) مستدرك الحاكم: ٣/٢٢٩.

١٥ ـ عنوان صحيفة المؤمن حبّ عليّ عليه السلام

إنّ الصحيفة المشرقة بالإيمان هي العنوان للمؤمن يوم يلق الله تعالى. استمعوا إلى ما رواه أنس بن مالك، قال: «والله الذي لا إله إلّا هو سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«عِنْوانُ صَحِيْفَةِ الْمُؤْمِنِ حُبُّ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ»[1].

منزلة الإمام في الدار الآخرة

وتحدّثت كوكبة من الأخبار التي أُثرت عن النبيّ صلى الله عليه وآله فيما أعدّ الله تعالى من الكرامة للإمام في الدار الآخرة، وهذه بعضها:

١ ـ الإمام عليه السلام حامل لواء الحمد

ومن عظيم مقام الإمام وسموّ مكانته عند الله تعالى أنّه يحمل لواء الحمد يوم القيامة، وهو أعظم وسام له لم يمنح لغيره، وهذه بعض الأخبار التي تحدّثت عن ذلك:

أ ـ قال صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام:

«أَنْتَ أَمامِي في الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيامَةِ، فَيُدْفَعُ لِي لِواءُ الْحَمْدِ فَأَدْفَعُهُ إِلَيْكَ، وَأَنْتَ تَذُوْدُ النَّاسَ عَنْ حَوْضِي»[2].

ب ـ روى ابن عبّاس قال: سمعت عمر بن الخطّاب يقول: كفّوا عن ذكر عليّ بن

---

(١) تاريخ بغداد: ٥/٤٧٠.

(٢) كنز العمّال: ٦/٣٩٣.

أبي طالب، فلقد رأيت من رسول الله ﷺ فيه خصالاً لأن تكون لي واحدة منهنّ في آل الخطّاب أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس، كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فانتهينا إلى باب أمّ سلمة، وعليٌّ قائم على الباب، فقلنا: أردنا رسول الله ﷺ، فقال: «يخرج إليكم»، فخرج رسول الله ﷺ فسرنا إليه، فاتّكأ على عليّ بن أبي طالب، ثمّ ضرب بيده على منكبه، وقال له:

«إِنَّتَ مُخاصَمٌ تُخاصَمُ... أَنْتَ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ إيماناً، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ، وَأَوْفاهُمْ بِعَهْدِهِ، وَأَقْسَمُهُمْ بِالسَّوِيَّةِ، وَأَرْأَفُهُمْ بِالرَّعِيَّةِ، وَأَعْظَمُهُمْ رَزِيَّةً، وَأَنْتَ عَضُدِي، وَغاسِلِي، وَدافِنِي، وَالْمُتَقَدِّمُ إِلىٰ كُلِّ شِدَّةٍ وَكَرِيْهَةٍ، وَلَنْ تَرْجِعَ بَعْدِي كافِراً، وَأَنْتَ تَتَقَدَّمُنِي بِلِواءِ الْحَمْدِ، وَتَذُوْدُ عَنْ حَوْضِي»[1].

حكى هذا الحديث بعض صفات الإمام عليه السلام، وهي:

١ ـ إنّ الإمام أوّل النّاس إسلاماً، وأقدمهم إيماناً.

٢ ـ إنّه أعلم المسلمين، وأكثرهم دراية بأيّام الله تعالى وأحكامه.

٣ ـ إنّه أوفى النّاس بالعهد.

٤ ـ إنّه أسمى حاكم في الإسلام، فهو الذي يقسّم بالسوية، ولا يخضع لأيّة عاطفة سوى مرضاة الله.

٥ ـ إنّه أرأف حاكم بالرعيّة.

٦ ـ إنّه من أعظم المسلمين رزيّة وبلاء، فقد أحاطت به المحن والرزايا بعد وفاة أخيه رسول الله ﷺ.

---

(١) كنز العمّال: ٣٩٢/٦.

٧ـ إنّه عضد النبيّ صلى الله عليه وآله، والقائم بجميع شؤونه، والتي منها قيامه بغسله ودفنه.

٨ـ إنّه السابق لكشف كلّ شدّة تحلّ بالنبيّ صلى الله عليه وآله فيكشفها عنه.

٩ـ إنّه يتقدّم النبيّ صلى الله عليه وآله يوم الحشر بحمل لواء الحمد.

ومع سماعه هذا الحديث وغيره في شأن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كيف تقدّم عليه واحتلّ مركزه؟ وأعطى الخلافة بعد اغتياله لبني اُميّة؟

٢ ـ الإمام عليه السلام صاحب حوض النبيّ صلى الله عليه وآله

أمّا حوض النبيّ صلى الله عليه وآله، وهو الكوثر، فهو من أعاظم أنهار الجنّة في عذوبة مائه وحلاوته وجمال منظره، والإمام عليه السلام هو صاحب الحوض، ولا يفوز بالشرب منه إلّا من كان موالياً له، وهذه بعض الأخبار:

أ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صاحِبُ حَوْضِي يَوْمَ الْقِيامَةِ، فِيْهِ أَكْوابٌ كَعَدَدِ نُجُوْمِ السَّماءِ، وَسَعَةُ حَوْضِي ما بَيْنَ الْجابِيَةِ وَصَنْعاءَ**»[١].

ونظم الحديث السيّد الحميري بقوله:

حَوْضٌ لَهُ مَا بَيْنَ صَنْعَا إِلىٰ ... أَيْلَةَ أَرْضِ الشَّامِ أَوْ أَوْسَعُ
يُنْصَبُ فِيهِ عَلَمٌ لِلْهُدىٰ ... وَحَوْضُ مَنْ ماءٌ لَهُ مُتْرَعُ
فِيهِ أَبارِيقُ وَقِدْحانُهُ ... يَذُبُّ عَنْها الْأَنْزَعُ الْأَصْلَعُ
يَذُبُّ عَنْهُ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ ... ذَبَّكَ جَرْبَىٰ إِبِلٍ تَشْرَعُ[٢]

---

(١) مجمع الزوائد: ٣٦٧/١.

(٢) ديوان الحميري: ٢٦٤.

ب ـ روى أنس بن مالك قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى أبي برزة الأسلمي، فلمّا حضر عنده قال له وأنا أسمعه:

«يا أَبا بَرْزَةَ، إِنَّ رَبَّ الْعالَمِينَ تَعالىٰ عَهِدَ إِلَيَّ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَهْداً، فَقَالَ ـأي الله تعالى ـ: عَلِيٌّ رايَةُ الْهُدىٰ، وَمَنارُ الْإِيمانِ، وَإِمامُ أَوْلِيائِي، وَنُوْرُ جَمِيْعِ مَنْ أَطَاعَنِي.

يا أَبا بَرْزَةَ، عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مَعِي غَداً يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلىٰ حَوْضِي، وَصاحِبُ لِوائِي، وَمَعِي غَداً عَلىٰ مَفاتِيحِ خَزائِنِ جَنَّةِ رَبِّي»(١).

ج ـ قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام:

«أَنْتَ أَمامِي يَوْمَ الْقِيامَةِ، فَيُدْفَعُ إِلَيَّ لِواءُ الْحَمْدِ فَأَدْفَعُهُ إِلَيْكَ، وَأَنْتَ تَذُوْدُ النَّاسَ عَنْ حَوْضِي»(٢).

وهذه الكرامة لم يظفر بها أي أحد من الأُسرة النبويّة ولا من سائر الصحابة سوى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ الإمام عليه السلام قسيم الجنّة والنار

من الأوسمة الشريفة التي قلّدها النبيّ ﷺ إلى وصيّه وباب مدينة علمه أنّه قسيم الجنّة والنّار، فقد روى ابن حجر بسنده أنّ الإمام عليه السلام قال لأعضاء الشورى الذين انتخبهم عمر قائلاً لهم:

---

(١) تاريخ بغداد: ١٤/٩٨.

(٢) كنز العمّال: ٦/٤٠٠.

«**أنْشِدُكُمْ بِاللهِ، هَلْ فِيْكُمْ أَحَدٌ قالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يا عَلِيٌّ، أَنْتَ قَسِيْمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ يَوْمَ الْقِيامَةِ غَيْرِي؟**»، فانبروا قائلين: اللّهمّ لا.

وعلّق ابن حجر على هذا الحديث بقوله: معناه ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه ـ أي النبيّ ﷺ ـ قال له ـ أي للإمام ـ: أنت قسيم الجنّة والنار في يوم القيامة، تقول للنار هذا لي، وهذا لكِ(١).

ومن المؤكّد أنّه لم ينل أحد من أولياء الله تعالى قبل الإسلام ولا بعده مثل هذه الكرامة التي لا حدود لها، التي منحها الله تعالى للإمام عليه السلام؛ وذلك جزاء لجهوده وجهاده في إعلاء كلمة الله تعالى في الأرض.

٤ ـ الاجتياز على الصراط بإجازة من الإمام عليه السلام

وثمّة مكرمة أُخرى حباها الله تعالى لإمام المتّقين وسيّد الموحّدين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه لا يجتاز أحد على الصراط إلّا بإجازة وتوقيع من الإمام عليه السلام، وقد دلّت على ذلك كوكبة من الأخبار منها:

أ ـ قال رسول الله ﷺ: «**إذا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِيْنَ يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَنُصِبَ الصِّراطُ عَلىٰ جِسْرِ جَهَنَّمَ، ما جازَه أَحَدٌ حَتّىٰ كانَتْ مَعَهُ بَراءَةٌ بِوِلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ**»(٢).

ب ـ روى أنس بن مالك قال: لمّا حضرت وفاة أبي بكر، قال أبوبكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ عَلَى الصِّراطِ لَعَقَبَةً لَا يَجُوْزُها أَحَدٌ إِلَّا بِجَوازٍ مِنْ**

---

(١) الصواعق المحرقة: ٧٥.

(٢) الرياض النضرة: ١٧٢/٢.

عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ »[١].

ج ـ روى قيس بن حازم قال: التقى أبوبكر وعليّ بن أبي طالب فتبسّم أبوبكر في وجه عليّ، فقال له:

« ما لَكَ تَبَسَّمْتَ ؟ ».

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **لَا يَجُوْزُ أَحَدٌ عَلَى الصِّراطِ إِلَّا مَنْ كَتَبَ لَهُ عَلِيٌّ الْجَوازَ** »[٢].

٥ ـ الإمام عليه السلام رفيق النبيّ ﷺ في الجنّة

وكان ممّا خصّ الله تعالى به الإمام، وميّزه على بقيّة المسلمين أنّه مع النبيّ ﷺ في قصره في الفردوس الأعلى، فقد قال ﷺ:

« **يا عَلِيُّ، أَنْتَ أَخِي وَصاحِبِي وَرَفِيْقِي فِي الْجَنَّةِ** »[٣].

وقال ﷺ مرّة أُخرى للإمام: « **أَمَا تَرْضىٰ أَنَّكَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، وَذُرِّيَّتُنا خَلْفَ ظُهُوْرِنا، وَأَزْواجُنا خَلْفَ ذُرِّيَّتِنا، وَشِيْعَتُنا عَنْ أَيمانِنا وَشَمائِلِنا** »[٤].

ونطوي الحديث بهذه النماذج اليسيرة من فضائل الإمام عليه السلام التي صوّرت سموّ شخصيّته، وعظيم مكانته عند الله تعالى، وعند رسوله، وأنّهما قد انتخباه وعيّناه لقيادة الأُمّة بعد رحيل الرسول ﷺ إلى حظيرة القدس.

---

(١) تاريخ بغداد: ٣٥٦/١٠.

(٢) الرياض النضرة: ٢٠٩/٢.

(٣) تاريخ بغداد: ٢٦٨/١٢.

(٤) الصواعق المحرقة: ٩٦. الرياض النضرة: ٢٠٩/٢.

الدعم النبوي الكامل
للخلافة الإسلامية

وبدت للرسول ﷺ طلائع الرحيل إلى الله تعالى ، تترى عليه ، وأيقن بمفارقته للحياة بعدما أدّى رسالة ربّه إلى عباده ، فحرّر العقول وأيقظ النفوس ، وأنقذها من متاهات سحيقة كانت غارقة فيها ، كعبادة الأوثان والأصنام التي تصنعها بأيديها ، وتقف أمامها صاغرة ذليلة تقدّم لها القرابين ، فقد حرّرها وغسل أدمغتها منها ، وراحت تعبد الله تعالى خالق الكون وواهب الحياة ، وأقام دولته العظمى التي تبنّت حقوق الإنسان ، وراحت بسرعة الضوء تمتدّ لتشمل أكبر مساحة من الأرض ، وهي تقيم العدل بين النّاس ، وتقضي على شبح الفقر والحاجة ، وتوزّع خيرات الله تعالى على عباده ، فلا يختصّ بها فريق دون فريق ، ولا قوم دون آخرين.

صنع هذه المعجزات الرسول العظيم ﷺ وحقّق ما يصبو إليه بتأييد من الله تعالى ولطفه ، ومشيئته ، وبقي عليه شيء واحد من أغلى آماله ، وأعزّ أمانيه ، وهو أن يوحّد أُمّته ، ويقيها من الفتن والخطوب في جميع الأحقاب والآباد؛ وذلك بإعلان الدعم الكامل لخليفته ، وسيّد أُمّته ، وزعيم عترته الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أمام الجماهير الحاشدة في موسم الحجّ إلى بيت الله الحرام ، حتّى لا يبقى متردّدٌ أو شاكٌّ في مصير الخلافة من بعده.

لقد أيقن النبيّ ﷺ بالأخطار الهائلة التي تحلّ بأُمّته من بعد رحيله إلى حظيرة القدس ، فقد حدّثه الله تعالى عنها في كتابه العزيز. قال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١).

إنّه الزلزال المدمّر الذي يعصف بحياة الأُمّة ويلقيها في شرّ عظيم.

لقد تمثّلت أمام النبيّ ﷺ الأحداث الرهيبة التي ستمنى بها أُمّته بعد رحيله عنها ، وقد أعرب عن خطورتها في زيارته للقبور في بقيع الغرقد ، فخاطب الموتى قائلاً لهم:

« لِيَهْنِئْكُمْ ما أَنْتُم فيهِ ، فَقَدْ أَقْبَلَتِ الْفِتَنُ تَتْرىٰ يَتْبَعُ بَعْضُها بَعْضاً ، آخِرُها شَرٌّ مِنْ أَوَّلِها ».

وقد أحدقت بأُمّته عناصر مخيفة ينطلق منها الشرّ ، وهي:

١ ـ اليهود

وهم الذين يكيدون للإسلام وللمسلمين الغوائل ، ويحيكون المؤامرات ، بعد ما حطّمهم الإسلام ، وأنزل بهم أفدح الخسائر ففتح حصونهم وأباد أعلامهم ، لقد وترهم الإسلام وأنزل بهم شرّ هزيمة.

٢ ـ المنافقون

وهم الذين لم ينفذ الإسلام إلى أعماق قلوبهم ودخائل نفوسهم ، وإنّما أظهروا الإسلام بألسنتهم خوفاً من أن تحصد رؤوسهم سيوف المسلمين ، وقد أقاموا في

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

المدينة مسجداً لهم يحيكون فيه المؤامرات ضدّ المسلمين ، فأمر النبيّ ﷺ بإحراقه ، وقد نزلت فيهم سورة المنافقين أعربت عن سوءهم وفساد ضمائرهم ، وهؤلاء خطرهم على الإسلام أكثر من غيرهم ، فإنّ العدو الداخلي أفتك من العدوّ الخارجي.

٣ ـ القرشيّون

وهم ألدّ أعداء الإسلام وخصومه الذين ناهضوا النبيّ ﷺ وعذّبوا من آمن برسالته حتّى اضطرّوا إلى الهجرة إلى الحبشة وبعدما مني النبيّ ﷺ بوفاة عمّه أبي طالب حامي الإسلام اضطرّ إلى الهجرة إلى المدينة ، وحينما استقرّ فيها ورمت آنافهم ، وامتلأت قلوبهم غيظاً ، فجهّزوا الجيوش لإطفاء نور الإسلام ، فكانت واقعة بدر وأُحد وغيرهما ، ولكنّ الله تعالى ردّ كيدهم ، ونصر نبيّه نصراً عزيزاً ، وفتح له فتحاً مبيناً ، فاحتلّت الجيوش الإسلاميّة مكّة ، فدخلوا في دين الإسلام ، مكرهين مرغمين لا عن إيمان وبصيرة بما يحمله هذا الدين من القيم الكريمة والمبادئ الرفيعة ، فقد أُترعت نفوسهم بآثام الجاهليّة وقسوتها وشرورها ، ومهما يكن الأمر فإنّ المسلمين قد حصدوا بسيوفهم رؤوس أسياد القرشيّين وأعلامهم ، وأشاعوا في بيوتهم الثكل والحزن والحداد ، فكانت نفوسهم مليئة بالبغض للإسلام ، وفعلاً لمّا بلغهم وفاة النبيّ ﷺ أرادوا أن يعلنوا الكفر والارتداد عن الإسلام ، إلّا أنّهم لمّا علموا بخلافة أبي بكر عدلوا عمّا صمّموا عليه ، وسنوضّح ذلك في البحوث الآتية.

٤ ـ التناحر بين الأنصار

وثمّة مشكلة تقف أمام ما يرومه النبيّ ﷺ من دعمه البالغ للإمام من بعده ، وهي التنافر بين الأوس والخزرج اللذين هما القاعدة الصلبة للإسلام ومنهما

تشكّلت القوّات الإسلاميّة المسلّحة ، فإنّ النبيّ ﷺ ، وإن أزاح الكثير ممّا في نفوسهم من الأحقاد ، إلّا أنّ جذور العداء لا تزال فيما بينهم ، ويوشك أن تستغل هذه الظاهرة لتفريق كلمتهم ، وفعلاً فقد استغلّها القرشيّون ، وقفزوا بها إلى الحكم ، وسنوضّح ذلك فيما سنذكره من بحوث.

حجّة الوداع

ولمّا أيقن النبيّ ﷺ بقرب انتقاله إلى حظيرة القدس رأى أن يحجّ البيت الحرام ، ويضع الخطوط السليمة لوقاية أُمّته من الفتن والانقسام ، ويؤكّد على أهمّية عترته في ميادين الإصلاح الاجتماعي ، وأنّهم قادة أُمته في مسيرتها نحو التطوّر والازدهار.

ولهذا الغرض البالغ الأهمّية سافر إلى الحجّ ، وهي الحجّة الأخيرة له المشهورة بحجّة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة ، وحينما انتهى إلى مكّة استقبلته الوفود من المكّيّين والوافدين للحجّ ، فأعلن لهم أنّ التقاءهم به هو اللقاء الأخير قائلاً :

«**إِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقاكُمْ بَعْدَ عامِي هٰذا بِهٰذَا الْمَوْقِفِ أَبَداً...**».

وطافت بالحجّاج موجات من الأسى والحزن ، وسرى الألم العاصف في نفوسهم ، وغامت عيونهم بالدموع ، فقد أيقنوا بنزول الرزء القاصم ، فقد أعلن القائد والمربّي النهاية الأخيرة من حياته.

ومضى النبيّ يضع الخطوط السليمة لنجاح أُمّته قائلاً :

«**أَيُّها النَّاسُ ! إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ ، كِتابَ اللهِ تَعالىٰ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي...**».

الضمان الوثيق الذي يضمن سلامة الأُمّة من الزيغ والانحراف هو التمسّك بكتاب الله العزيز ، والعمل بما فيه ، والولاء للعترة الطاهرة ، والأخذ بما أُثر عنهم من الأحكام والآداب ، وليس هناك شيء تسعد به الأُمّة غيرهما .

خطبة النبيّ ﷺ عند بئر زمزم

واحتفّت الجماهير بالنبيّ ﷺ عند بئر زمزم ، ولم تكن عنده طاقة للكلام ، فأمر ربيعة بن خلف أن يقول لهم ما يقوله ، فقال صلوات الله عليه لربيعة قل لهم:

«أَيُّها النَّاسُ ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ لَكُم: لَعَلَّكُمْ لا تَلْقَوْنِي عَلىٰ مِثْلِ حالِي هـٰذِهِ ، أَتَدْرُونَ أَيَّ بَلَدٍ هـٰذا ؟

أَتَدْرُونَ أَيَّ شَهْرٍ هـٰذا ؟ أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ هـٰذا ؟ » .

فهتفوا جميعاً:

« نعم ، هذا البلد الحرام ، والشهر الحرام ، واليوم الحرام .. » .

وأخذ النبي ﷺ يتلو عليهم القيم الكريمة والمُثل العليا التي جاء بها قائلاً:

« إِنَّ اللهَ تَعالىٰ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِماءَكُمْ وَأَمْوالَكُم كَحُرْمَةِ بَلَدِكُمْ هـٰذا ، وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هـٰذا ، وَكَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هـٰذا ... أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ ... » .

فأجابوه: « نعم » .

ثمّ أخذ النبيّ ﷺ يعرض عليهم الأحكام التي يجب الأخذ بها قائلاً:

« اللّٰهُمَّ اشْهَدْ ، وَاتَّقُوا اللهَ ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ ، وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ، فَمَنْ كانَ عِنْدَهُ أَمانَةٌ فَلْيُؤَدِّها ... » .

عرض عليهم في هذا المقطع ما يلي:

١ ـ تقوى الله تعالى هي حصن للإنسان، ووقاية له من غضب الله تعالى.

٢ ـ أن لا يبخسوا النّاس أشياءهم، بل عليهم أن يقيموها بحقيقتها وواقعها.

٣ ـ أن لا يفسدوا في الأرض فيخلّون بالأمن، ويقطعون الطريق، ويسفكوا الدماء.

٤ ـ ردّ الأمانة إلى أهلها، وأن لا يأخذوها ظلماً وعدواناً.

ثمّ أخذ النبيّ ﷺ في بيان أحكام الله تعالى قائلاً:

«النَّاسُ فِي الْإِسْلَامِ سَواءٌ طَفُّ الصَّاعِ لآدَمَ وَحَوّاءَ، لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلىٰ أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِأَعْجَمِيٍّ عَلىٰ عَرَبِيٍّ إِلَّا بِتَقْوى اللهِ... أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟».

وانبروا جميعاً قائلين: «نعم».

لقد أعلن النبيّ ﷺ في هذا المقطع المساواة العادلة بين المسلمين، مساواة في الحقوق والواجبات، ومساواة أمام القانون، لا ميزة للعربي على الأعجمي، ولا الأعجمي على العربي، إلّا بتقوى الله تعالى وطاعته، ثمّ أخذ النبيّ ﷺ في بيان كوكبةً من معالم دينه العظيم قائلاً:

«اللّهُمَّ اشْهَدْ، لَا تَأْتُونِي بِأَنْسابِكُمْ وَاتُونِي بِأَعْمالِكُمْ، فَأَقُولُ لِلنَّاسِ: هكَذا، وَلَكُم هكَذا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟».

فأجابوا: «نعم».

إنّ الإسلام بني على الأعمال الصالحة، وليس للأنساب أيّة قيمة إذا فسدت الأعمال، وساءت الأفعال.

وواصل النبيّ ﷺ خطابه في بيان أحكام الله تعالى قائلاً:

«اللّٰهُمَّ اشْهَدْ أَنَّ كُلَّ دَمٍ كانَ فِي الْجاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ تَحْتَ قَدَمِي، وَأَوَّلُ دَمٍ أَضَعُهُ دَمَ رَبِيعَةِ بنِ الْحارِثِ بنِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟».

عرض النبيّ ﷺ إلى الدماء في الجاهليّة التي تسفك طلباً للثأر، فيقتل البريء بغير حقّ، وتستمر أحقاباً وتراق أنهار من الدماء، كلّ ذلك قد حرّمه الإسلام تحريماً باتّاً، وأنقذ بذلك العالم العربي من هذه الظاهرة الشاذّة.

ثمّ قال ﷺ:

«اللّٰهُمَّ اشْهَدْ، وَكُلُّ رباً كانَ فِي الْجاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ تَحْتَ قَدَمِي، وَأَوَّلُ رِباً أَضَعُهُ رِبا الْعَبّاسِ بنِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟».

وأولى النبيّ ﷺ اهتمامه البالغ بالناحية الاقتصاديّة، فحرّم الربا تحريماً باتّاً، وهو السائد في عصره، خصوصاً في مكّة، فقد منع منه، وأوّل ربا وضعه النبيّ ﷺ ربا العبّاس بن عبدالمطّلب، فليس له من سبيل أن يتعاطى ذلك.

ثمّ قال ﷺ:

«اللّٰهُمَّ اشْهَدْ.. أَيُّها النَّاسُ، إِنَّما النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عاماً لِيُواطِئُوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللهُ».

عرضت الآية التي استدلّ بها النبيّ ﷺ على حرمة النسيء، وهو ما كان سائداً عند الجاهلية من إباحة القتال في الأشهر الحرم، وهي ذو القعدة وذو الحجّة والمحرّم ورجب، وتبديل تلك الأشهر بالأشهر التي يبيحون فيها القتال، ولم يلتزموا بحرمة الأشهر المحرّمة، فكانوا يؤخّرون المحرّم إلى صفر[١].

---

(١) مجمع البيان: ٥/٤٥.

ثمّ قال ﷺ:

«أُوْصِيْكُمْ بِالنِّساءِ خَيْراً فَإِنَّما هُنَّ عَوارٍ عِنْدَكُمْ، لَا يَمْلِكْنَ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئاً، وَإِنَّما أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمانَةِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكِتابِ اللهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقٌّ: كِسْوَتُهُنَّ وَرِزْقُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوْطِئْنَ فِراشَكُمْ أَحَداً، وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ إِلَّا بِعِلْمِكُمْ وَإِذْنِكُمْ..، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟».

«نعم».

عرض النبيّ ﷺ إلى المرأة التي كانت مهانة الجانب، منهدّة الكيان، فأعزّها ورفع قدرها، وأوصى بها خيراً.

ومن بنود هذا الخطاب قوله:

«اللّٰهُمَّ اشْهَدْ.. إِنَّ الْمُسْلِمَ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَغُشُّهُ، وَلَا يَخُونُهُ، وَلَا يَغْتابُهُ، وَلَا يَحِلُّ لَهُ دَمُهُ، وَلَا شَيْءٌ مِنْ مالِهِ إِلَّا بِطِيْبِ نَفْسِهِ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟».

«نعم».

أقام النبيّ ﷺ الرابطة الإسلاميّة على المودّة والإخاء، فالمسلم أخو المسلم، يقيم أوده، ويحميه من غوائل الدهر وكوارث الأيّام، ويحرّم على كلّ مسلم الأُمور التالية:

١ ـ غشّه.

٢ ـ خيانته.

٣ ـ سفك دمه.

٤ ـ حرمة أمواله.

ثمّ أخذ النبيّ ﷺ في تأسيس المناهج التربويّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة التي ينبغي للمسلمين تطبيقها على واقع حياتهم، ثمّ ختم خطبته بقوله:

«لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفّاراً مُضَلِّلينَ يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ، إِنِّي خَلَّفْتُ فِيْكُمْ ما إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتابَ اللهِ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟».

«نعم».

«اللّٰهُمَّ اشْهَدْ..».

ثمّ التفت إلى الحاضرين فقال لهم:

«فَلْيُبَلِّغِ الشّاهِدُ مِنْكُمُ الْغائِبَ..»[1].

وانتهى هذا الخطاب الحافل بجميع مقوّمات الارتقاء والنهوض للعالم الإسلامي، وقد ألزم المسلمين بالتمسّك بكتاب الله العظيم، والتمسّك بالعترة الطاهرة، حتّى تكون لها القيادة العامّة للأُمّة في جميع مجالاتها السياسيّة والاجتماعيّة.

مؤتمر غدير خمّ

وهو من الأحداث المهمّة في تاريخ الإسلام السياسي، فقد أخذت فيه البيعة بالخلافة والإمامة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وعيّنه النبيّ ﷺ قائداً عامّاً لأُمّته، ومرجعاً يهديها للتي هي أقوم.

إنّ النبيّ ﷺ لمّا أدّى مراسيم الحجّ قفل راجعاً من بيت الله الحرام إلى المدينة يجدّ في السير حتّى انتهى إلى غدير خم، فهبط عليه جبرئيل ومعه رسالة من الله

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/٩٠ ـ ٩٢.

تعالى بالغة الخطورة والأهمّية تتعلّق بمصير الأُمّة الإسلاميّة ومستقبلها الحضاري والاجتماعي، فقد أمره الله تعالى أن يحطّ رحله في ذلك المكان لينصّب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خليفة من بعده، ويأخذ البيعة له من المسلمين، وكان أمر الله تعالى لنبيّه بهذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١).

وكان طابع هذه الآية الإنذار الشديد، فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله إن لم يقم بأداء هذه المهمّة، فما بلّغ رسالة ربّه، وضاعت جهوده وأتعابه.

وانبرى النبيّ صلى الله عليه وآله بعزم ثابت، وإرادة صلبة لتنفيذ أمر الله تعالى، فوضع أعباء المسير، وحطّ رحله في رمضاء الهجير، وأمر قوافل الحجّ أن تعمل مثل ذلك، وكان الوقت قاسياً في الحرارة، حتّى كان الرجل يضع طرف ردائه تحت قدميه يتّقي به من شدّة الحرّ.

وقام النبيّ صلى الله عليه وآله فصلّى بالنّاس، وبعد الفراغ من الصلاة أمر بوضع حدائج الإبل لتكون منبراً له، فصنعوا له ذلك، فاعتلى عليها، وأقبلت الجماهير التي كان عددها ـ فيما يقول المؤرّخون ـ يزيد عن مائة ألف لتسمع خطاب النبيّ صلى الله عليه وآله، وأخذ يبيّن لهم ما عاناه من جهد شاقّ وعسير في سبيل الإسلام، ونشر كلمة التوحيد، ثمّ ذكر لهم مجموعة من أحكام الإسلام وتعاليمه وآدابه، ثمّ قال لهم:

«**انْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِي الثَّقَلَيْنِ ؟**».

فناداه منادٍ من القوم: «ما الثقلان يا رسول الله ؟».

فأوضح له النبيّ صلى الله عليه وآله الجواب بشكل ظاهر لا غموض ولا إبهام فيه قائلاً:

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦٧.

«الثِّقْلُ الْأَكْبَرُ: كِتابُ اللهِ طَرَفٌ بِيَدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَطَرَفٌ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ وَلاَ تَضِلُّوا، وَالْآخَرُ الْأَصْغَرُ: عِتْرَتِي، وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ نَبَّأَنِي أَنَّهُما لَنْ يَفْتَرِقا حَتّىٰ يَرِدا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَسَأَلْتُ ذٰلِك رَبِّي لَهُما، فَلا تَقَدَّمُوْهُما فَتَهْلَكُوا، وَلَا تَقْصُرُوا عَنْهُما فَتَهْلَكُوا...».

وقد وضع النبيّ ﷺ لأُمّته المنهج السليم لسلامتها من الضلال والانحراف عن الحقّ.

ثمّ أخذ النبيّ ﷺ بيد وصيّه وأخيه وباب مدينة علمه، ففرض ولايته على كلّ مسلم، وأقامه علماً وخليفة من بعده، ورفع صوته عالياً قائلاً:

«أَيُّها النّاسُ، مَنْ أَوْلَى النّاسِ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟».

فأجابوا جميعاً: «الله ورسوله أعلم».

«إِنَّ اللهَ مَوْلَاي، وَأَنا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنا أَوْلىٰ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِم، فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»، قال ذلك ثلاث مرّات، ثمّ قال:

«اللّٰهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعادِ مَنْ عاداهُ، وَأَحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ، وَأَبْغِضْ مَنْ أَبْغَضَهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ، وَأَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دارَ، أَلَا فَلْيُبَلِّغِ الشّاهِدُ الْغائِبَ...».

وبهذا انتهت صيغةُ ترشيح الخلافة للإمام، الذي هو أفضل ما خلق الله تعالى من أوليائه عدا رسوله الكريم.

لقد أدّى النبيّ ﷺ رسالة ربّه، فنصب الإمام خليفة من بعده، وقلّده الولاية الكبرى، والإمامة العامّة على جميع المسلمين، كما كانت له الولاية عليهم.

البيعة العامّة للإمام

وأقبل المسلمون يبايعون الإمام على خلافته وإمامته عليهم، كما أمر النبيّ ﷺ أُمّهات المؤمنين بمبايعته، وأقبل عمر بن الخطّاب فبايعه وصافحه وقال له:

«هنيئاً يابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة».

ومن المؤسف جدّاً أنّه لم تمضِ إلّا أيّام معدودة بعد وفاة النبيّ ﷺ حتّى هجم ابن الخطّاب على دار الإمام ليبايع أبا بكر، وأحرق دار عليّ وفاطمة عليهما السلام، وسنعرض لذلك في البحوث الآتية.

وعلى أي حال فقد كانت البيعة بالخلافة للإمام عامّة، وقد تناولها الشعراء بالنظم. يقول حسّان بن ثابت:

يُناديهمُ يومَ الغديرِ نبيُّهُمْ ... بخمٍّ وأَسْمِعْ بالرسولِ مُناديا
فقالَ فمَنْ مولاكمُ ونبيُّكُمْ ... فقالوا ولم يُبدوا هناكَ التَّعامِيا
إلهُكَ مولانا وأنتَ نبيُّنا ... ولم تَلْقَ منّا في الولايةِ عاصيا
فقالَ لهُ قُمْ يا عليُّ فإنَّني ... رضيتُكَ مِنْ بَعدي إماماً وهاديا
فمَنْ كنتُ مَولاهُ فهذا وليُّهُ ... فكونوا لهُ أتباعَ صِدقٍ مَواليا
هناكَ دَعا اللّهُمَّ والِ وليَّهُ ... وكُنْ للَّذي عادىٰ عَليّاً مُعاديا[1]

وقال الشاعر الملهم السيّد الحميري:

وقامَ مُحَمَّدٌ بغديرِ خُمٍّ ... فنادىٰ مُعلِناً صَوتاً نَدِيًّا

---

(١) فرائد السمطين: ١/٧٤.

لمَنْ وافاهُ مِنْ عُربٍ وعُجْمٍ   وحَفُّوا حولَ دَوْحَتهِ جِثيًّا
ألا مَن كنتُ مَولاهُ فَهذا   لهُ مَولىً وكانَ بهِ حَفيًّا

وقال الكميت شاعر الإسلام الأكبر:

ويوم الدَّوحِ دَوحِ غديرِخمٍّ   أَبانَ لهُ الولايةَ لَو أُطيعا
ولكنَّ الرِّجالَ تَبايَعوها   فَلَم أَرَ مِثلَها حَقّاً أُضيعا

إنّه ليس هناك حقّ في الدنيا قد أُضيع كحقّ أبي الحسن، قد تناهبته الرجال، وأُهملت فيه النصوص النبويّة.

وعلى أي حال، فإنّ حادثة الغدير من أهمّ الأحداث الإسلاميّة، وقد انبرى المحقّق الكبير الشيخ الأميني ﵀ فسجّل في موسوعته الخالدة الغدير من نظم هذه الحادثة منذ حدوثها حتّى عصره.

نزول آية إكمال الدين

وفي ذلك اليوم الخالد نزلت الآية الكريمة: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلاَمَ دِيناً ﴾ (١).

لقد كمل الدين، وتمّت النعمة الكبرى على المسلمين بولاية إمام المتّقين وسيّد الموحّدين، والحمد لله ربّ العالمين.

لقد وضع النبيّ ﷺ المنهج السليم لصيانة أُمّته من الانحراف في جميع الأحقاب

(١) سورة المائدة: الآية ٣. نصّ على نزول الآية في يوم الغدير الخطيب البغدادي في تاريخه: ٢٩/٨، والسيوطي في الدرّ المنثور: ٢٥٩/٢، والطبرسي في مجمع البيان: ٢٤٦/٣، وغيرهم.

والآباد ، ولم يترك الأمر من بعده فوضى يتلاعب فيه الطامعون وعشّاق الملك والسلطان ، فقد سدّ عليهم الأبواب ، ولم يترك لهم أيّة نافذة يسلكون منها .

لقد عيّن النبيّ صلى الله عليه وآله القائد والمربّي لأُمّته ، ولم يهمل هذا الأمر الحسّاس ، فإنّ في إهماله طعناً في شخصيّة الرسول ، فإنّ الخلافة من أهمّ القضايا الحسّاسة في الإسلام .

إنّ البيعة للإمام في يوم الغدير جزء من رسالة الإسلام ، وركن من أركان الدين ، فمن أنكرها فقد أنكر الإسلام ، كما يقول العلّامة العلائلي .

المأساة الخالدة

وليس في تاريخ الإسلام حادثة مروّعة كوفاة المنقذ العظيم الذي غـيّر مجـرى تأريخ العالم، وحرّر إرادة الإنسان وفكره، وأنقذه من متاهات سحيقة من مجاهل هذه الحياة.

مرض النبيّ صلى الله عليه وآله

أصابت النبيّ صلى الله عليه وآله حمى مبرحة بعد رجوعه من الحجّ، وكان من شدّتها أن عوّاده وأزواجه إذا وضعوا أيديهم عليه شعروا بحرّها[1]، وقد وضعوا إلى جواره إناءً فيه ماء بارد، فكان يضع يده فيه، ويمسح بها وجهه الشريف لتخفّ حرارة الحمى منه.

وذهبت بعض المصادر إلى أنّ مرضه ووفاته كانا مستندين إلى طعام مسموم، قدّمته إليه يهوديّة في خيبر، فكان يقول:

«ما أَزالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعامِ الَّذِي أَكَلْتُهُ بِخَيْبَر، فَهٰذا أَوانُ، وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذٰلِكَ السُّمِّ»[2].

---

(١) البداية والنهاية: ٥/٢٢٦.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام: ١/٢٠٢.

فزع المسلمين

ولمّا أُشيع مرض النبيّ ﷺ هرع المسلمون لعيادته وهم بين باك وواجم، قد طافت بهم موجات من الفزع والذهول، وقد استقبلهم النبيّ ﷺ بأسى بالغ، فنعى إليهم نفسه الشريفة، وأوصاهم بالتمسّك بكتاب الله تعالى والتمسّك بعترته قائلاً:

«أَيُّها النَّاسُ، يُوشِكُ أَنْ أُقْبَضَ قَبْضاً سَرِيعاً فَيُنْطَلَقُ بِي، وَقَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ الْقَوْلَ مَعْذِرَةً إِلَيْكُمْ، أَلَا إِنِّي مُخَلِّفٌ فِيْكُمْ كِتابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي...».

وأخذ بيد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، والتفت إلى عوّاده قائلاً:

«هٰذا عَلِيٌّ مَعَ الْقُرآنِ، وَالْقُرآنُ مَعَ عَلِيٍّ، لَا يَفْتَرِقانِ حَتّىٰ يَرِدا عَلَيَّ الْحَوْضَ»[1].

لقد وضع النبيّ ﷺ أهمّ المخطّطات لسلامة أُمّته من الزيغ والانحراف، أمرهم بالتمسّك بكتاب الله العزيز الذي يهدي للتي هي أقوم، وبالتمسّك بأهل بيته الذين هم مصابيح الإسلام، وسدنة الوحي، ودعاة العدل، وحماة الدين، وعلى رأسهم سيّدهم الإمام أمير المؤمنين الذي هو مع القرآن والقرآن معه.

استغفاره لأهل البقيع

استدعى النبيّ ﷺ أبا مويهبة في غلس الليل البهيم، فلمّا مثل عنده أمره بمصاحبته لزيارة بقيع الغرقد جبّانة المسلمين، وقال ﷺ لأبي مويهبة:

---

(١) الصواعق المحرقة: ٧٤.

«أُمِرْتُ بِالْإِسْتِغْفارِ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ ؛ فَلِذا بَعَثْتُ إِلَيْكَ لِلْإِنْطِلاقِ مَعي».

ولمّا انتهى إلى البقيع سلّم على الموتى، وهنّأهم بما هم فيه، قائلاً:

«السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ الْمَقابِرِ، لِيَهْنِئْكُمْ ما أَصْبَحَ النّاسُ فيهِ، فَقَدْ أَقْبَلَتِ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يَتْبَعُ آخِرُها أَوَّلَها، الآخِرَةُ شَرٌّ مِنَ الْأُولىٰ...».

لقد علم النبيّ ﷺ بالفتن التي ستعصف بأُمّته، وما تمنى به من الكوارث والخطوب، فكان ذلك من أعظم ما رزء به، ثمّ أخذ يحدّث أبا مويهبة قائلاً:

«إِنّي قَدْ أُوتيتُ مَفاتيحَ خَزائِنِ الدُّنْيا، وَالْخُلودَ فيها، ثُمَّ الجَنَّةَ بَعْدَ ذلِكَ، فَاخْتَرْتُ لِقاءَ رَبّي وَالْجَنَّةَ».

وسارع أبو مويهبة قائلاً:

«بأبي أنت وأُمّي، ألا تأخذ مفاتيح خزائن الدنيا، وتكون مخلّداً فيها، ثمّ الجنّة بعد ذلك؟».

فأجابه النبيّ ﷺ عن رغبته الملحّة في ملاقاة الله تعالى قائلاً:

«لا وَاللهِ! لَقَد اخْتَرْتُ لِقاءَ رَبّي».

ثمّ استغفر لأهل البقيع وقفل راجعاً إلى بيته(١).

سرية أُسامة

واستبانت للنبيّ ﷺ المؤامرات بشكل مكشوف ضدّ خليفته وباب مدينة علمه

---

(١) السيرة النبويّة / ابن هشام: ٩٣/٣. تاريخ الطبري: ١٩٠/٣، وأفاد المجلسي أنّ النبيّ ﷺ أخذ بيد عليّ ومعه جماعة من النّاس، فتوجّه إلى البقيع واستغفر لأهله.

الإمام عليّ عليه السلام ، فرأى أن يقضي على روح الشغب والتمرّد فَيزجّ المتمرّدين وغيرهم إلى ساحة الجهاد لغزو الروم ، وفعلاً فقد أمر بالالتحاق بالجيش شيوخ أصحابه من المهاجرين والأنصار ، وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وبشير بن سعد(١).

وقد أسند قيادة جيشه إلى أُسامة بن زيد ، وهو في شرخ الشباب ، فكان أميراً على هؤلاء الشيوخ ، وقال له النبيّ صلى الله عليه وآله :

« سِرْ إِلىٰ مَوْضِعِ قَتْلِ أَبِيكَ فَأَوْطِئْهُمُ الْخَيْلَ ، فَقَدْ وَلَّيْتُكَ هٰذَا الْجَيْشَ فَاغْزُ صَباحاً عَلىٰ أَهْلِ أُبنى(٢) وَحَرِّقْ عَلَيْهِم ، وَأَسْرِعِ السَّيْرَ لِتَسْبِقَ الْأَخْبارَ ، فَإِنْ أَظْهَرَكَ اللهُ عَلَيْهِم فَأَقْلِلِ اللَّبْثَ فِيْهِمْ ، وَخُذْ مَعَكَ الْأَدِلَّاءَ ، وَقَدِّمِ الْعُيونَ وَالطَّلَائِعَ مَعَكَ ... ».

وفي اليوم التاسع والعشرين من صفر رأى النبيّ صلى الله عليه وآله أصحابه وقد دبّ فيهم التمرّد والتخاذل ، فخرج صلى الله عليه وآله بنفسه مع ما به من المرض ، فحثّ الجيش على المسير ، وعقد اللواء بنفسه لأُسامة ، وقال له :

« اغْزُ بِسْمِ اللهِ ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ ، وَقاتِلْ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ ».

فخرج أُسامة بلوائه معقوداً ، ثمّ دفعه إلى بريدة ، وعسكر بالجرف(٣) ، وتثاقل القوم من الالتحاق بالجيش ، وأظهروا التمرّد ، فقد أيقنوا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله في ساعاته الأخيرة من حياته.

---

(١) الطبقات الكبرى / ابن سعد : ٤٦/٤. تاريخ الخميس : ٤٦/٢. كنز العمّال : ٣١٢/٥.

(٢) أبنى ـ بضمّ الهمزة ـ : ناحية بالبلقاء من أرض سوريا ، تقع بين عسقلان والرملة ، وهي قرب مؤتة التي استشهد فيها زيد بن حارثة وجعفر الطيّار.

(٣) السيرة الحلبيّة : ٢٠٧/٣. الطبقات الكبرى / ابن سعد : ١٩٠/٢. المغازي : ١٠١٧/٣.

يقول عمر لأُسامة: «مات رسول الله ﷺ وأنت عليَّ أمير؟»[١].

وانطلقت ألسنتهم بالنقد اللاذع للنبيّ ﷺ على تأميره لأُسامة وتثاقلوا من الالتحاق بالجيش، ووصلت كلماتهم النابية إلى النبيّ ﷺ، وقد ازدادت به الحمى المبرحة، وأخذ منه الصادع القاسي بالألم الشديد، فغضب صلوات الله عليه، وخرج وهو معصب الرأس قد دثّر بقطيفته، وقد برح به الحزن، فصعد المنبر فأظهر سخطه البالغ على القوم، وقال منددّاً بالناقدين له:

«أَيُّها النَّاسُ، ما مَقالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْ بَعْضِكُمْ فِي تَأْمِيرِي أُسامَةَ؟ وَلَئِنْ طَعَنْتُمْ فِي تَأْمِيرِي أُسامَةَ لَقَدْ طَعَنْتُمْ في تَأْميري أَباهُ مِنْ قَبْلِهِ، وَأَيْمُ اللهِ إِنَّهُ كانَ لَخَلِيقاً بِالْإِمارَةِ وَإِنَّ ابْنَهُ مِنْ بَعْدِهِ لَخَلِيقٌ بِها...».

ثمّ نزل عن المنبر ودخل بيته[٢]، وجعل يوصي بالالتحاق بالجيش، وهو يقول:

«جَهِّزُوا جَيْشَ أُسامَةَ..».

«نَفِّذُوا جَيْشَ أُسامَةَ..».

«لَعَنَ اللهُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْ جَيْشِ أُسامَةَ..».

ولم تثر حفائظ نفوسهم هذه الأوامر المشدّدة، ولم يُرهف عزائمهم هذا الاهتمام البالغ من النبيّ ﷺ، وهو في ساعاته الأخيرة من حياته، فقد تخلّفوا عن الجيش، واعتذروا للرسول بشتّى المعاذير، إلاّ أنّه لم يمنحهم العذر وإنّما أظهر السخط والغيظ.

---

(١) السيرة الحلبيّة: ٣/٣٤، ونقله غيره من المحدّثين والمؤرّخين.

(٢) السيرة الحلبيّة: ٣/٣٤.

نظرة وتأمّل

والمتأمّل في هذه الحادثة البالغة الخطورة يستنتج منها ما يلي:

أوّلاً: إنّ اهتمام النبيّ ﷺ بخروج الجيش عن المدينة، ولعنه لمن تخلّف عنه يدلّ بوضوح على غايته وهي إخلاء عاصمته من الحزب المعارض للإمام حتّى يصفو له الأمر بسهولة، وتتمّ له الخلافة بسلام.

ثانياً: إنّ تخلّف القوم عن الالتحاق بجيش اُسامة، وطعنهم في تأميره ما كان المقصود منه إلّا الانتظار لوفاة النبيّ ﷺ، حتّى يستولوا على الحكم، فإنّهم إن نزحوا عن المدينة وتوفّي الرسول ﷺ، فإنّ الخلافة لا محالة سوف تفلت من أيديهم، ولا مجال حينئذٍ للتمرّد والخلاف.

ثالثاً: إنّ السبب في عدم تولية النبيّ ﷺ قيادة الجيش إلى ذوي السنّ من الصحابة، كأبي بكر وعمر وابن الجرّاح، إنّما هو طعنة فيهم، وتجريدهم من قابليّة تولّي الحكم. ومن المؤكّد أنّ النبيّ ﷺ لو أسند لهم قيادة الجيش لاستدلّوا بها على أحقّيتهم للخلافة، وقد سدّ النبيّ ﷺ عليهم هذه النافذة لئلا يتصدّع شمل الاُمّة.

تأمير اُسامة

أمّا الحكمة في تأمير النبيّ ﷺ لاُسامة قيادة الجيش، وهو في شرخ الشباب، فقد كان عمره تسعة عشر عاماً أو يزيد عليها بقليل، فهي:

١ ـ سدّ نوافذ النقد والطعن في خلافة الإمام عليه السلام باعتباره حدث السنّ مع وجود المتقدّمين في السنّ من أصحابه، وأبناء اُسرته، فإنّ اُسامة كان أصغر من الإمام سنّاً وأسند إليه النبيّ ﷺ قيادة جيشه.

٢ ـ إلغاء التقدّم في السنّ، وعدم الاحتفاء به في استحقاق المناصب الرفيعة

مع حرمانه من الخبرات والمواهب والدراية بشؤون الحكم والإدارة، فقد أعلن النبيّ ﷺ بهذه الفكرة الإصلاحيّة بقوله:

«مَنْ تَقَدَّمَ عَلىٰ قَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمينَ، وَهُوَ يَرىٰ أَنَّ فيهِمْ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ فَقَدْ خانَ اللهَ وَرَسولَهُ وَالْمُسْلِمينَ»(١).

وقال ﷺ: **«مَنِ اسْتَعْمَلَ عامِلاً مِنَ الْمُسْلِمينَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ فيهِمْ أَوْلىٰ بِذلِكَ مِنْهُ فَقَدْ خانَ اللهَ وَرَسولَهُ وَجَميعَ الْمُسْلِمينَ»**(٢).

إنّ الإسلام يحرص كلّ الحرص على تعيين خيرة الرجال وأكثرهم كفاءة للعمل في جهاز الحكم حتّى يضعوا المصلحة العامّة نصب أعينهم، ويكونون أُمناء فيما يجبونه من النّاس، وفيما ينفقونه على المرافق العامّة، وأن يسيروا بين النّاس بسياسة قوامها العدل الخالص والحقّ المحض، ومن المؤكّد أنّ ذلك لا يكون بتقّدم السنّ، وإنّما يكون بالإيمان والدراية على ما تحتاج إليه الأُمّة في مجالاتها العامّة.

٣ - إنّ النبيّ ﷺ في تأميره لأُسامة قد كبح جماح المناوئين للإمام أمير المؤمنين عليه السلام وكسر شوكتهم، وحطّم معنوياتهم، ولذلك اندفعوا بقوى محمومة إلى الطعن في تأمير أُسامة والنيل من النبيّ ﷺ، وتثاقلوا من الالتحاق بالجيش حتّى لحق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى.

هذه بعض النقاط في تأمير النبيّ ﷺ لأُسامة، كما تكشف بوضوح وجود المؤامرة الخطيرة التي دبّرت ضدّ الإمام عليه السلام(٣).

---

(١) سنن البيهقي: ١١١/١٠.

(٢) تمهيد الباقلاني: ١٩٠.

(٣) حياة الإمام الحسن عليه السلام: ١٢٣/١ - ١٢٥.

رزيّة يوم الخميس

واستبان للنبيّ ﷺ تآمر بعض الصحابة على صرف الخلافة عن الإمام عليه السلام، فكبر ذلك عليه، وزاد في آلامه، وهو في ساعاته الأخيرة من حياته، إنّه رأى تخلّف القوم عن الالتحاق بسرية أُسامة، فرأى أن يسلك طريقاً آخر يحمي أُمّته من الضلال، فقال:

«**ائْتُونِي بِالْكَتِفِ وَالدَّواةِ لِأَكْتُبَ لَكُمْ كِتاباً لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَداً...**»(١).

ما أغلاها من نعمة لو أنّهم استغلّوها لوفّروا لهم ولأجيالهم السعادة، فقد ضمن لهم رسول الله ﷺ أن لا يضلّ المسلمون في جميع الأحقاب والآباد، وقد فهم ابن الخطّاب قصد رسول الله ﷺ أنّه يوصي بكتاب الله تعالى وبعترته، فردّ على النبيّ ﷺ بعنف:

«حسبنا كتاب الله».

ومعنى ذلك أنّه لا حاجة أن توصي بالثقل وهو العترة الطاهرة. ومن المؤكّد أنّه لو كان يحتمل أنّ رسول الله ﷺ يوصي بالخلافة إليه، أو بحماية الثغور، أو بالجهاد، أو غير ذلك من الأحكام الإسلاميّة، لما قابله بهذه الجرأة، ولكنّه علم ما يريد فقام بعمليّة التخريب.

وعلى أي حال، فقد كثر الخلاف والتشاجر بين القوم، وانطلقت النسوة من وراء الستر فصحن بهم:

«ألا تسمعون ما يقول رسول الله ؟!».

---

(١) الرواية متّفقٌ عليها.

فثار عمر وصاح بهنّ:

«إنّكنّ صويحبات يوسف إذا مرض عصرتن أعينكن، وإذا صحّ ركبتن عنقه».

فرمقه النبيّ ﷺ بطرفه، وقد أزعجه كلامه قائلاً:

«دَعُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ خَيْرٌ مِنْكُمْ».

وكادت تفوز الجبهة التي أرادت تنفيذ ما أراده رسول الله ﷺ، فانبرى شخص فسدّد سهماً لما أراده النبيّ ﷺ قائلاً:

«إنّ النبيّ ليهجر».

أي رزيّة حلّت بالإسلام مثل هذه الرزيّة؟ أيحكم على سيّد الأنبياء بالهجر.

لقد رجع القوم إلى جاهليّتهم الأُولى ونسوا مكانة النبيّ ﷺ، فقابلوه بهذه الكلمة القاسية.

إنّه الرزء القاصم، فقد حيل بين المسلمين وبين سعادتهم وسلامتهم من الزيغ في جميع الأجيال الصاعدة.

كان ابن عبّاس إذا ذكر الحادث المؤلم يضجّ بالبكاء حتّى تسيل دموعه على خدّيه كأنّها نظام اللؤلؤ، ويقول:

«يوم الخميس، وما يوم الخميس؟ قال رسول الله ﷺ: **ائْتُونِي بِالْكَتِفِ وَالدَّواةِ لِأَكْتُبَ لَكُمْ كِتاباً لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَداً**، فقالوا: إنّ رسول الله يهجر»[١].

---

(١) نصّ على هذه الحادثة المؤلمة جميع المؤرّخين في الإسلام، ذكرها البخاري عدّة مرّات في صحيحه: ٦٩/٤ و ٩٩، و: ٨/٦، إلّا أنّه أخفى اسم القائل، وصرّح ابن الأثير في نهاية غريب الحديث وغيره أنّ القائل هو عمر بن الخطّاب، وقد اعترف عمر في حديثه مع ابن عبّاس أنّه صدّ النبيّ ﷺ عن الكتابة في حقّ عليّ وعترته كما في شرح النهج: ١١٤/٣.

لقد حكموا على رسول الله ﷺ بالهجر، وآيات من كتاب الله العزيز تعلن بأنّه بأسمى مكانة في الكمال في جميع مراحل حياته، استمعوا لآيات الله:

١ ـ قال تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾[١].

٢ ـ قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾[٢].

إلى غير ذلك من الآيات التي عصمته من الهجر والنقص، ولكن القوم قد تهالكوا على الإمرة والسلطان، وغرّتهم الدنيا ومالوا عن الطريق القويم، واغرقوا الأُمّة بالفتن والمحن والخطوب.

فزع الزهراء عليها السلام

وأحاط الأسى بسيّدة نساء العالمين، وألمّ بها الخطب حينما شاهدت أباها الذي هو عندها أعزّ من الحياة، وهو يعاني أشدّ الألم، ويقول:

« **وَاكَرْباه!** ».

فأجابته بلوعة وأسى:

« **وَاكَرْبِي! لِكَرْبِكَ يا أَبَتِ** ».

ونظر إليها النبيّ وقد غام بصرها بالدموع، فأشفق عليها وقال:

« **لَا كَرْبَ عَلَىٰ أَبِيكِ بَعْدَ الْيَوْمِ** ».

---

(١) سورة النجم: الآيات ٢ ـ ٥.

(٢) سورة التكوير: الآيات ١٩ ـ ٢٢.

وتصدّع قلب النبيّ ﷺ فأراد أن يزيل عنها كابوس الحزن فأجلسها إلى جنبه ، وأسرّ لها بحديث ، فلم تملك عند سماعه إلّا أن غـامت عـيناها بـالدموع ، ثمّ أسرّ إليها ثانية ، فقابلته ببسمات فيّاضة بالبشر ، وعجبت عائشة ، وراحت تقول:

« ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن !! ».

وسألتها عمّا قال لها أبوها فأشاحت بوجهها عنها ، ولمّا تصرّمت الأيّام أخبرت عن سبب بكائها وسرورها ، فقالت:

« أَخْبَرَني أَنَّ جَبْرَئيلَ كَانَ يُعارِضُني بِالْقُرآنِ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً ، وَإِنَّهُ عارَضَنِي بِهِ فِي هـٰذَا الْعامِ مَرَّتَيْنِ ، وَما أَراهُ إِلَّا قَدْ حَضَرَ أَجَلِي ».

فهذا سبب لوعتها ، أمّا سبب سرورها ، فقالت:

« أَخْبَرَنِي أَنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لُحُوقاً بِي ، وَنِعْمَ السَّلَفُ أَنا لَكِ ، أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِساءِ هـٰذِهِ الْأُمَّةِ »[١] ؟

لقد خفّف النبيّ ﷺ لوعة سيّدة النساء ، فأخبرها بسرعة اللـحاق بـه ، وأنّهـا لا تعيش بعده إلّا أيّاماً معدودات.

ميراث النبيّ ﷺ لسبطيه

وانـطلقت حـبيبة رسـول الله ﷺ وبـضعته إلى بـيتها ، فـجاءت بـالسبطين وهي تذرف أحرّ الدموع قائلة لأبيها:

« أَبَه، هذانِ وَلَداكَ فَوَرِّثْهُما ».

---

(١) حياة الإمام الحسن عليه‌السلام : ١٢٩/١.

وضمّهما الرسول ﷺ إلى قلبه يوسعهما تقبيلاً ، فأفاض عليهما قبساً من مكوناته ومكرماته قائلاً:

«أَمّا الحَسَنُ فَإِنَّ لَهُ هَيْبَتِي وَسُؤْدَدِي، وَأَمّا الحُسَيْنُ فَإِنَّ لَهُ جُرْأَتِي وَجودي»[١].

ويقوم السبطان وقد ورثا من جدّهما كمالات النبوّة وسؤددها ، وما تحويه من القيم والمُثل.

تصدّق الرسول ﷺ بما عنده

كانت عند النبيّ ﷺ قبل مرضه سبعة دنانير ، فخاف أن يقبضه الله تعالى وهي عنده ، فأمر أهله أن يتصدّقوا بها ، ولكنّ انشغالهم بتمريضه ، وقيامهم بخدماته أنساهم ما أمرهم به ، ولمّا أفاق من مرضه سألهم ما فعلوا بها ، فأجابوه أنّها لا تزال باقية عندهم ، فطلب إحضارها ، فلمّا جيء بها إليه وضعها في كفّه وقال:

«ما ظَنُّ مُحَمَّدٍ بِرَبِّهِ لَوْ لَقِيَ اللهَ وَعِنْدَهُ هٰذِهِ ؟».

ثمّ تصدّق بها على فقراء المسلمين[٢] ، وارتحل عن الدنيا وليس عنده أي شيء من حطامها.

إلى الفردوس الأعلى

وآن للمنقذ العظيم بعدما أدّى رسالته العظمى أن ينتقل إلى الفردوس الأعلى

---

(١) كنز العمّال : ٧/١١٠. شرح نهج البلاغة : ٤/٤.

(٢) حياة الإمام الحسن : ١/١٣٠.

مقرّ إخوانه الأنبياء ، وقد استأذن بالدخول عليه ملك الموت ، وهو أوّل إنسان يستأذن ملك الموت عليه ، فأخبرته زهراء الرسول أنّه مشغول بنفسه عنه ، ولم تعرفه ، فانصرف ، ثمّ استأذن ثانياً ، فأخبرته بأنّ رسول الله مشغول بنفسه عنه ، ثمّ استأذن ثالثاً ، فأفاق النبيّ ﷺ ، فقال لبضعته:

« أَتَعْرِفِينَهُ ؟ ».

« لَا ، يا رَسُولَ اللهِ ».

« إِنَّهُ مُعَمِّرُ الْقُبورِ ، وَمُخَرِّبُ الدُّورِ ، وَمُفَرِّقُ الْجَماعاتِ ».

وذهلت حبيبة رسول الله ﷺ ، وقد ذاب قلبها ، وراحت تقول بذوب روحها:

« وَا أَبَتاه ! لِمَوْتِ خاتَمِ الْأَنْبِياءِ ، وَامُصِيبَتاه ! لِمَماتِ خَيْرِ الْأَتْقِياءِ ، واحَسْرَتاه ! لانْقِطاعِ الْوَحْيِ مِنَ السَّماءِ ، فَقَدْ حُرِمْتُ الْيَوْمَ كَلامَكَ ».

وتصدّع قلب النبيّ ﷺ وراح يعزّي حبيبته ويسلّيها قائلاً:

« لا تَبْكِي فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لُحُوقاً بِي ... »[1].

ولمّا مثل ملك الموت أمام النبيّ ﷺ قال له:

« يا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ اللهَ تَعالىٰ أَرْسَلَني إِلَيْكَ وَأَمَرَنِي أَنْ أُطِيعَكَ فِي كُلِّ ما تَأْمُرُنِي بِهِ ، إِنْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَقْبِضَ نَفْسَكَ قَبَضْتُها ، وَإِنْ تَأْمُرْنِي أَنْ أَتْرُكَها تَرَكْتُها ».

---

(١) درّة الناصحين : ٦٦.

وبهر النبيّ صلى الله عليه وآله وراح يقول:

«**أَتَفْعَلُ يا مَلَكَ الْمَوْتِ ذلِكَ ؟**».

«**بِذٰلِكَ اُمِرْتُ أَنْ اُطِيعَكَ فِي كُلِّ ما أَمَرْتَنِي...**».

وهبط جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له:

«**يا أَحْمَدُ، إِنَّ اللهَ تَعالىٰ قَدِ اشْتاقَ إِلَيْكَ**»(١).

ولمّا علمت بضعة الرسول أنّ أباها سيفارقها في تلك اللحظات أذهلها الخطب، وبلغ بها الحزن إلى قرار سحيق، وألقى السبطان بأنفسهما على جدّهما وهما يذرفان أحرّ الدموع، فجعل يقبّلهما وهما يقبّلانه، وأراد أمير المؤمنين أن ينحيهما عنه، فقال له:

«**دَعْهُما يَتَمَتَّعانِ مِنّي، وَأَتَمَتَّعُ مِنْهُما، فَسَتُصيبُهُما بَعْدي إِثْرَةٌ...**»(٢).

والتفت النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الحاضرين فقال لهم:

«**إِنّي خَلَّفْتُ فيكُمْ كِتابَ اللهِ وَعِتْرَتي أَهْلَ بَيْتي، فَالمُضَيِّعُ لِكِتابِ اللهِ كَالْمُضَيِّعِ لِسُنَّتي، وَالْمُضَيِّعُ لِسُنَّتي كَالْمُضَيِّعِ لِعِتْرَتي، إِنَّهُما لَنْ يَفْتَرِقا حَتّى اللِّقاءِ عَلَى الْحَوْضِ..**»(٣).

والتفت النبيّ صلى الله عليه وآله إلى أخيه وباب مدينة علمه، فقال له:

---

(١) الطبقات الكبرى / ابن سعد: ٤٨/٢.

(٢) حياة الإمام الحسن عليه السلام: ١٣٤/١.

(٣) مقتل الحسين / الخوارزمي: ١٦٤/١.

«ضَعْ رَأْسِي فِي حِجْرِكَ ، فَقَدْ جاءَ أَمْرُ اللهِ ، فَإِذا فاضَتْ نَفْسِي فَتَناوَلْها ، وَامْسَحْ بِها وَجْهَكَ ، ثُمَّ وَجِّهْنِي إِلَى الْقِبْلَةِ ، وَتَوَلَّ أَمْرِي ، وَصَلِّ عَلَيَّ أَوَّلَ النَّاسِ ، وَلَا تُفارِقْنِي حَتّى تُوارِيَنِي فِي رَمْسِي وَاسْتَعِنْ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ»(١).

وأخذ الإمام رأس النبيّ ﷺ فوضعه في حجره ، ومدّ يده اليمنى تحت حنكه ، وشرع ملك الموت بقبض روحه العظيمة ، والرسول يتلو آيات الله تعالى ، حتّى فاضت نفسه العظيمة ، فمسح الإمام بها وجهه الشريف ثمّ نعاه إلى الحاضرين.

لقد مادت الأرض ، وخبا نور العدل ، وارتفع ذلك اللطف الإلـهي إلى مقرّه بعد أن أضاء الطريق للإنسان وهداه إلى سواء السبيل.

وطاشت أحلام المسلمين أمام هذا الخطب المروّع ، فما بعد النبيّ للنّاس من عزاء.

لقد غاب النبيّ ﷺ عن هذه الدنيا ، وغرب نور محياه ، يا له من يوم خالد في دنيا الأحزان.

وهرعت السيّدات من خدورهنّ وهنّ يلدمن الوجوه ، ووضعن اُمّهات المؤمنين الجلابيب عن رؤوسهنّ يلدمن صدورهنّ ، وأمّا نساء الأنصار فقد ذبحت حلوقهنّ من الصياح(٢).

وأعظم المصابين بوفاة النبيّ ﷺ بضعته سيّدة نساء العالمين ، فقد ألقت بنفسها على جثمان أبيها ، وهي تبكي أمرّ البكاء ، وتندب أباها بأشجى ندبة قائلة :

«وا أَبَتاهْ ! إِلَى جَبْرَئِيلَ أَنْعاهُ.

---

(١) حياة الإمام الحسن عليه السلام : ١/١٣٥.

(٢) أنساب الأشراف : ١ / القسم الأوّل / ٥٧٤.

وَا أَبَتَاهْ! جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ.

وَا أَبَتَاهْ! أَجَابَ رَبّاً دَعَاهُ»(١).

ووجم المسلمون، ومادت بهم الأرض، وهم ما بين واجم، ونائح، وودّوا أنّ الحياة قد فارقتهم.

وقام الإمام بتجهيز جثمان النبيّ ﷺ فغسّله(٢)، وهو يقول بذوب روحه:

«بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يا رَسُولَ اللهِ، طِبْتَ حَيّاً وَمَيِّتاً»(٣).

وبعد الفراغ من الغسل أدرجه في أكفانه، ووضعه على السرير، وأوّل من صلّى على الجثمان العظيم هو الله تعالى من فوق عرشه، ثمّ جبرئيل، ثمّ ميكائيل، ثمّ إسرافيل، ثمّ الملائكة زمراً زمراً»(٤).

ودخل المسلمون فألقوا على الجثمان المقدّس نظرة الوداع وأدّوا فريضة الصلاة.

مواراة الجثمان المقدّس

وبعد ما أدّى المسلمون فريضة الصلاة على الجثمان العظيم قام الإمام فوارى الجثمان في مقرّه الأخير، وقد وارى أعظم شخصيّة خلقها الله تعالى في الأرض، ووقف الإمام على حافّة القبر وهو يروّي ترابه من دموع عينيه قائلاً:

«إِنَّ الصَّبْرَ لَجَمِيلٌ إِلَّا عَنْكَ، وَإِنَّ الْجَزَعَ لَقَبِيحٌ إِلَّا عَلَيْكَ، وَإِنَّ الْمُصَابَ بِكَ

---

(١) تاريخ الخميس: ١٩٢/٢.

(٢) وفاء الوفاء: ٢٢٧/١.

(٣) الطبقات الكبرى / ابن سعد: ٢ / القسم الثاني / ٦٣.

(٤) حلية الأولياء: ٧٧/٤.

لَجَلِيلٌ ، وَإِنَّهُ قَبْلَكَ وَبَعْدَكَ لَجَلَلٌ »(١).

لقد انطوت في ذلك اليوم ألوية العدل ، وغاب ذلك النور الذي غيّر مجرى حياة الإنسان من واقع مظلم لا بصيص فيه من النور إلى حياة آمنة مطمئنّة تتلاشى فيها آهات المظلومين وأنين المحرومين.

فزع أهل البيت عليهم السلام

وقد فزع أهل البيت عليهم السلام كأشدّ ما يكون الفزع ، وداخلهم خوف رهيب من الأُسر القرشيّة ؛ لأنّ الإمام قد وترهم بسيفه في سبيل الإسلام ، وجاء في حديث الإمام الصادق عليه السلام :

« لَمّا ماتَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله باتَ أَهْلُ بَيْتِهِ كَأَنْ لا سَماءَ تُظِلُّهُم ، وَلا أَرْضَ تُقِلُّهُم ؛ لِأَنَّهُ وَتَرَ الْأَقْرَبَ وَالْأَبْعَدَ... »(٢).

لقد انصبّت عليهم المحن والخطوب ، فقد قامت قريش بإبعادهم عن مراكزهم ، وحالت بينهم وبين ما أراده الله لهم ، فلم تمض إلّا خمسون عاماً بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وإذا بعترته قد أُبيدت في صعيد كربلاء ، ورؤوسهم على أطراف الرماح ، وبناته سبايا يتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد.

---

(١) حياة الإمام الحسن عليه السلام : ١ / ١٣٧.

(٢) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ٢ / ٧٦.

الفِتنة الكُبرى

لا أعتقد أنّ حادثاً سياسياً مروّعاً في تاريخ الإسلام السياسي كحادثة السقيفة التي لعبت دوراً خطيراً في أحداث العالم الإسلامي ، وامتدّت موجاتها بعواصف مدمّرة ، وهي تفرّق الصفوف ، وتشقّ الكلمة ، وتحمل شارات الفناء والدمار للمسلمين.

إنّ حادثة السقيفة كانت وليدة الإعصار الهائل بعد انتقال النبيّ ﷺ إلى حظيرة القدس ، الذي عبّر القرآن الكريم عن مدى خطورته ، قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحمَّدُ إِلَّا رَسُولُ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[١].

لقد كان تصويراً هائلاً للأزمات الحادّة ، والنكبات السود التي تُمنى بها الأُمّة بعد وفاة منقذها العظيم الذي فجّر ينابيع العلم والحكمة في الأرض.. إنّه انقلاب على الأعقاب ، وارتداد عن الدين ، وتدمير لشريعة الله تعالى ، وأي زلزال مدمّر مثل هذا الزلزال ؟

النبيّ ﷺ سجّي في فراش الموت لم يغيّبه عن عيون القوم مثواه ، وقد حدثت

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

الانقسامات الخطيرة في صفوف المسلمين، فقد تهالكوا على الإمرة والسلطان، والظفر بخيرات البلاد، وقد تحدّث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن خطورة الأمر بقوله:

«حَتَّىٰ إذَا قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَىٰ الْأَعْقَابِ، وَغَالَتْهُمُ السُّبُلُ، وَاتَّكَلُوا عَلَىٰ الْوَلَائِجِ[1]، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ»[2].

لقد سارع القوم في نقل السلطة في غير موضعها، والجرح لمّا يندمل، والرسول لم يقبر، وتركوا أهل بيت نبيّهم يتجرّعون الغصص، ويتوسّدون الأرق، تساورهم الهموم والأحزان، قد أخلدوا لهم الكوارث والخطوب، فقد تحوّلت السلطة إلى شرار خلق الله تعالى من الأمويّين والعبّاسيّين، فأمعنوا في ظلم أهل البيت، ورحم الله كاشف الغطاء؛ إذ يقول:

تـالله مـا كـربَلا لولا سَـقيفَتُهُم ... وَمِثل هذا الفَرعِ ذاكَ الأَصلُ أَنْتَجَهُ

إنّ الأحداث الجسام التي أرهقت المسلمين، كمجزرة كربلاء، وإباحة مدينة النبيّ صلى الله عليه وآله، وحرق الكعبة، وتسلّط الأشرار على رقاب المسلمين، أمثال السفّاح بسر بن أرطاة، والمغيرة بن شعبة، وزياد بن أبيه، وولاة معاوية كسرى العرب، كلّ هذه المآسي ناجمة عن تحوّل الخلافة عن أهل بيت النبوّة عدلاء الذِّكر الحكيم.

وعلى أي حال، فلنعد إلى موضوع البحث وهو السقيفة، وسوف نتناول هذا الموضوع بدقّة وتجرّد عن العواطف التقليديّة التي هي بعيدة عن المنطق العلمي

---

(١) الولائج: جمع وليجة، وهي بطانة الإنسان وخاصّته.

(٢) نهج البلاغة: ٢/٤٨.

الذي يجب أن يسود في أمثال هذه البحوث التي هي من صميم العقيدة الإسلاميّة، ونحن لا نحيد عنها.

السقيفة

كانت السقيفة مجمعاً للأنصار، وداراً لندوتهم، وقد عقدوا فيها بعد وفاة النبيّ ﷺ اجتماعاً سرّياً أحاطوه بكثير من الكتمان، وحضر معهم في الندوة شيخ الخزرج سعد بن عبادة[١]، فتناولوا موضوع الخلافة وأهمّيتها، وما لها من دور إيجابي في مصيرهم السياسي والاجتماعي، كما ذكروا جهادهم وجهودهم في نصرة الإسلام ومكافحة الشرك وغير ذلك من الأُمور.

خطاب سعد

كان سعد قد ألمّ به المرض، فلم يتمكّن أن يسمع الحاضرون خطابه، وإنّما كان يقول: ويبلغ مقالته بعض أقربائه، وهذا نصّ خطابه:

«يا معشر الأنصار، لكم سابقة في الدين، وفضيلة في الإسلام، ليست لقبيلة

---

(١) سعد بن عبادة: سيّد الخزرج، وزعيم الأنصار، اعترف له قومه بالسيادة، وقد اشتهر بالجود والسخاء هو وأبوه وجدّه وابنه قيس، ويقال: لم يكن في الأوس والخزرج بيت واحد فيه أربعة أشخاص أسخياء متتالون إلّا بيت سعد، وهو أحد النقباء الذين شهدوا مع النبيّ ﷺ العقبة وبدراً، تخلّف عن بيعة أبي بكر، وخرج مغاضباً، فتبعه خالد بن الوليد مع شخص، فكمنا له ليلاً، فطعناه وألقياه في البئر، وزعم خالد أنّ الجنّ هي التي قتلته، وأنشدوا على لسانها:

نَحنُ قَتلنا سيّدَ الخَزرجِ سعدَ بن عَباده ... ورَميناهُ بسَهمينِ فلَمْ نُخطِئْ فُؤادَه

كانت وفاته بحوران من أرض الشام سنة ١٥ من الهجرة، ترجم له في الإصابة والاستيعاب وأُسد الغابة وغيرها.

من العرب ، إنّ محمّداً ﷺ لبث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن ، وخلع الأنداد والأوثان ، فما آمن به من قومه إلّا القليل ، وما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله ﷺ ، ولا أن يعزّوا دينه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيماً عمّوا به ، حتّى إذا أراد الله تعالى بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة ، وخصّكم بالنعمة ، فرزقكم الله تعالى الإيمان به وبرسوله ، والمنع له ولأصحابه ، والإعزاز له ولدينه ، والجهاد لأعدائه ، فكنتم أشدّ النّاس على عدوّه ، وأثقله على عدوّه من غيركم ، حتّى استقامت العرب لأمر الله تعالى طوعاً وكرهاً ، وأعطى البعيد المقادة صاغراً داخراً ، حتّى أثخن الله عزّ وجلّ لرسوله بكم الأرض ، ودانت بأسيافكم له العرب ، وتوفّاه الله تعالى وهو عنكم راضٍ قرير العين. استبدوا بهذا الأمر دون سائر النّاس ، فإنّه لكم دون النّاس».

ولمّا انتهى خطابه سارع الأنصار إلى تأييده وطاعته قائلين:

«وفّقت في الرأي ، وأصبت في القول ، ولن نعدوا ما رأيت ، نولّيك هذا الأمر ، فإنّك فينا مقنع ، ولصالح المؤمنين رضى»(١).

لقد ألقى الأنصار قيادتهم لسيّد الخزرج ، وأعربوا عن رضاهم في ترشيحه لقيادة الأمّة.

محتويات الخطاب

أمّا محتويات خطاب زعيم الأنصار فهي كما يلي:

أوّلاً: الإشادة بالأنصار ، فهم الذين نصروا الإسلام في أيّام محنته وغربته ،

---

(١) تاريخ الطبري: ٣/٢٠٧.

وأبلوا بلاءً حسناً في نصرته ، فهم أحقّ بالخلافة ؛ لأنّ الغنم بالغرم.

ثانياً: أنّهم أوْلى بمركز الخلافة من القرشيّين الذين ناهضوا النبيّ وقادوا الحروب لإطفاء نوره.

هذا ما حواه خطاب زعيم الأنصار ، ولم يعرض إلى العترة النبويّة ، وأنّ سيّدها الإمام أوْلى بالخلافة ، وأحقّ بها من غيره ، فإنّه أهمل ذلك ، ولم يعرض له مطلقاً.

أضواء على الموقف

والشيء الذي يدعو إلى التساؤل: لماذا سارع الأنصار إلى عقد مؤتمرهم بهذه السرعة الخاطفة ، والنبيّ ﷺ لم يغيّبه عن عيونهم مثواه ؟ وفيما أحسب أنّ أسباب ذلك هو ما يلي:

أوّلاً: إنّ الأنصار قد استبان لهم بصورة واضحة لا خفاء فيها على تصميم المهاجرين من قريش على الاستيلاء على الحكم وصرفه عن الإمام أمير المؤمنين ، ويدعم ذلك:

١ ـ إنّ المهاجرين أعلنوا رفضهم الكامل لبيعة الإمام في غدير خمّ ، وقالوا: «لقد حسب محمّد أنّ هذا الأمر قد تمّ لابن عمّه ، وهيهات أن يتمّ» ، وتناقلت الأوساط في المدينة حديثهم.

٢ ـ امتناع أعلام المهاجرين من الالتحاق بجيش اُسامة خوفاً أن يتمّ الأمر للإمام بعد وفاة النبيّ ﷺ ، ولم يكن يخفى على الأنصار ذلك.

٣ ـ قيام بعض المهاجرين بعنف للحيلولة بين النبيّ ﷺ وبين ما رامه من الكتابة التي تضمن لاُمّته النجاح والسلامة على امتداد التأريخ ، فقد قالوا له أوّلاً:

« حسبنا كتاب الله ».

وقالوا ثانياً:

«إنّ الرجل ليهجر».

وهل في الكتابة هجر لولا أنّهم يعلمون أنّه يوصي بالخلافة للإمام؟

ثانياً: إنّ الأنصار كانوا على يقين لا يخامره شكّ أنّ المهاجرين من قريش كانوا حاقدين على الإمام، ومن ألدّ أعدائه؛ لأنّه قد وترهم، وحصد رؤوس أعلامهم، وقد أعلن ذلك عثمان بن عفّان عميد الأمويّين، فقد قال للإمام:

«ما أصنع إن كانت قريش لا تحبّكم، وقد قتلتم منهم يوم بدر سبعين رجلاً، كأنّ وجوههم شنوف الذهب، تصرع آنافهم قبل شفاههم»[1].

أرأيتم كيف صوّر عثمان لوعة القرشيّين وأساهم على قتلاهم الذين أبادهم الإمام بسيفه في يوم بدر.

وكانت قريش تطالب الإمام بذحلها وثأرها. يقول الكناني، وهو من شعراء قريش محرّضاً لها على الوقيعة بالإمام:

فـي كُـلِّ مَجمَعِ غـايةٍ أَخزاكُـمُ ... جذعٌ أبـرُّ عَـلَى المَـذاكـي القُـرَّحِ
للهِ دَرُّكُـمُ ألمّـا تـذكُروا ... قَد يـذكرُ الحـرُّ الكَـريمُ ويَسْتَحي
هذا ابْنُ فـاطمَةَ[2] الَّـذي أفْـناكُـمُ ... ذَبْـحاً بـقَتلةِ بـعضهِ لَـم يـذبَحِ
أعْـطوهُ خَـرْجاً واتَّـقوا تَـضْريبَهُ ... فـعلَ الذَّليـلِ وبـيعَة لمْ تـربَحِ
أيـنَ الكُـهولُ وأيـنَ كُـلُّ دعـامَةٍ ... في المُعضِلاتِ وأينَ زينُ الأبْطَحِ[3]

---

(١) شرح النهج: ٢٣/٩.

(٢) يعني فاطمة أُمّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

(٣) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ١٠٢/٢ ـ ١٠٤.

وهذا تصوير دقيق لأحقاد القرشيّين وأضغانهم على الإمام، فهو يطلب منهم أن يثأروا لقتلاهم، وينتقموا من الإمام، وكان عمر بن الخطّاب ـ فيما يرويه ابن أبي الحديد ـ إذا أقبل الإمام إلى الجامع يلتفت إلى حضّار مجلسه من القرشيّين فيذكّرهم بأنّ الإمام هو الذي قتل آباءهم واخوانهم وأعمامهم، ونفر الإمام من ذلك وصاح به:

«**أَعَلَيَّ تُحَرِّضُ النّاسَ يابْنَ الْخَطّابِ، إِنَّما هذِهِ الدِّماءُ الَّتي أَرَقْتُها إِنَّما هِيَ في سَبيلِ الْإِسْلام**» الذي باسمه اعتلى منصب الخلافة.

وعلى أي حال، فقد كانت قريش تبغض الإمام وتعاديه، وقد روى ابن طاووس اليماني عن أبيه أنّه سأل الإمام زين العابدين عليه السلام، قال له:

«ما بال قريش لا تحبّ عليّاً؟».

فأجابه الإمام:

«**لِأَنَّهُ أَوْرَدَ أَوَّلَهُم النّارَ، وَأَلْزَمَ آخِرَهُم الْعارَ...**»(١).

إنّ بغض القرشيّين للإمام مكشوف لا غبار عليه، وهم الذين حالوا بينه وبين ما أراده الله ورسوله من زعامة الأُمّة وقيادتها. ولمّا بويع بعد مقتل عثمان بن عفّان قامت قيامتهم، وأعلنوا على حكومته التمرّد والعصيان، فكانت واقعة الجمل وصفّين، حتّى أطاحوا بحكومته.

وعلى أي حال، فقد خاف الأنصار من المهاجرين إذا استولوا على قيادة الحكم أن ينزلوا بهم الضربات القاصمة؛ وذلك لمودّتهم للإمام، ولاشتراكهم بقتلى بدر وغيرها.

---

(١) معجم ابن العربي: ٢٩/٤.

ثالثاً: أنّ القرشيّين كانوا يحقدون على الأنصار لأنّهم العمود الفقري في الجيش الإسلامي الذي أشاع الحزن والحداد في بيوتهم، وقد خاف الأنصار منهم، فلذا سارعوا في عقد مؤتمرهم خشية منهم. يقول الحباب بن المنذر، وهو من مفكّري الأنصار مخاطباً لهم في السقيفة:

«لكنّنا نخاف أن يليها ـ أي الخلافة ـ بعدكم من قتلنا أبناءهم وآباءهم وإخوانهم...»(١).

وفعلاً تحقّق ما كان يخشاه الحباب على قومه، فإنّه لم يكد ينتهي حكم الخلفاء القصير الأمد حتّى آل الحكم إلى الأمويّين، فسعوا جاهدين في إذلالهم وقهرهم، وقد أمعن معاوية الذي سمّوه كسرى العرب في التنكيل بهم وظلمهم، ولمّا ولي الأمر بعده ابنه وخليفته يزيد جهد في الوقيعة بهم، فأباح دماءهم وأموالهم وأعراضهم في واقعة الحرة التي لم يشاهد التأريخ لها مثيلاً في قسوتها وفظاعتها.

رابعاً: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخبر الأنصار بما يعانونه من الظلم من بعده قائلاً:

«سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتّىٰ تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ...»(٢).

وقد خافوا على ما سيجري عليهم، فلذا بادروا إلى عقد مؤتمرهم ليكون بمأمن من الاثرة والجور، وفيما أحسب أنّ هذه العوامل هي التي أدّت بالأنصار إلى عقد مؤتمرهم في سقيفة بني ساعدة.

المؤاخذة على سعد

ولم يحفل خطاب سعد السالف بالمصيبة العظمى التي دهمت المسلمين،

---

(١) حياة الإمام الحسين: ١/٢٣٥.

(٢) بحار الأنوار: ٣٣/١٧٤.

وهي موت زعيم الإنسانيّة ومنقذها العظيم النبيّ ﷺ ، فلم يشر إليها في خطابه بقليل ولا بكثير ، كما تناسى في خطابه العترة الطاهرة التي هي عديلة القرآن الكريم ، كما لم يرفع تعازيه إلى أخي النبيّ وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، الذي كان من النبيّ بمنزلة هارون من موسى ، فقد تجاهله سعد ، ونسي بيعته له في يوم غدير خم ، ونسي ذلك كلّه ، ودعا لنفسه وقومه.

لقد أخطأ سعد إلى حدّ بعيد ، ولا مبرّر لعقد مؤتمره بهذه السرعة ، فقد أخلد الفتن والمصاعب للمسلمين ، وألقاهم في شرّ عظيم.

ومن ذلك المؤتمر عانت العترة الطاهرة ألواناً مروعة وقاسية من الكوارث والخطوب ، فقد آلت الخلافة إلى الطلقاء وأبنائهم ، فاتّخذوها مغنماً ووسيلة لنيل شهواتهم ورغباتهم ، ومن بعد الأمويّين آلتْ الخلافة الإسلاميّة إلى العبّاسيّين أخدان الأمويّين وشركائهم فيما اقترفوه من الظلم والجور حتّى قال الشاعر:

لا يَنقَضي الجورُ وعَلىٰ ... الأُمّةِ والٍ مِنْ آلِ عَبّاسِ

وعلى أي حال ، فقد لاقى سعد مصيره على يد خالد بن الوليد ، فقد قتله ورمى بجسده في البئر حسب ما ذكره الرواة.

إنكار عمر موت النبيّ ﷺ

وشيء خطير بالغ الأهمّية قام به عمر بطل الانقلاب لتجميد الأوضاع وتخدير الأفكار ، وإيقاف أية عمليّة تؤدّي إلى الاسراع في انتخاب خليفة على المسلمين ، فإنّ صاحبه أبا بكر لم يكن في المدينة عند وفاة النبيّ ﷺ ، وإنّما كان في السنح(١) ،

(١) السُّنح : ويقال : السُّنُح : وهي إحدى محالّ المدينة كان بها منزل أبي بكر ـ معجم البلدان : ٢٦٥/٣.

فبعث خلفه من يأتي به على وجه السرعة، وانطلق يجوب في شوارع المدينة وأزقّتها، وخلفه الصبيان والسذّج، وهو شاهر سيفه ينادي بصوت عالٍ:

«إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله ﷺ قد مات، والله ما مات، ولكنّه ذهب إلى ربّه، كما ذهب موسى بن عمران. والله! ليرجعنّ رسول الله ﷺ فليقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم ممّن أرجفوا بموته».

وذهل النّاس، وساورتهم موجات من الشكوك والأوهام، أيصدّقون مزاعم عمر بحياة النبيّ ﷺ، وهي من أعزّ أمانيهم، وأغلى أحلامهم، أم يصدّقون ما عاينوه من جثمان النبيّ ﷺ مسجّى بين أهله لا حراك فيه.

وجعل عمر لا يمرّ بأحد يقول: مات رسول الله ﷺ إلّا خبطه بسيفه، وهو يرعد ويبرق حتّى أزبد شدقاه، ويتوعّد من أرجف بموته بقطع الأيدي والأرجل.

نظرة وتأمّل

ولا بدّ لنا من وقفة قصيرة أمام هذه البادرة العمريّة، فإنّها تدعو إلى التساؤل من عدّة جهات، وهي:

أوّلاً: هل صحيح أنّ عمر لم يؤمن بموت الرسول ﷺ والقرآن الكريم قد أعلن أنّ كلّ إنسان لا بدّ أن يتجرّع كأس الحمام. قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (٢).

---

(١) سورة الرحمن: الآيتان ٢٦ و ٢٧.

(٢) سورة القصص: الآية ٨٨.

وقال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾(١).

وقال تعالى في خصوص نبيّه ﷺ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَيِّتُونَ ﴾(٢)

وقال تعالى: ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾(٣)، وهي صريحة في أنّه ﷺ لا بدّ أن يفارق الحياة، وهل خفيت عليه هذه الآيات؟

ثانياً: إنّ النبيّ ﷺ نعى نفسه للمسلمين في حجّة الوداع، ونعى نفسه في المدينة بعد مجيئه من الحجّ، ومن المؤكّد أنّه سمعها كما سمعها غيره.

ثالثاً: إنّ عمر كان يقول لأُسامة أمير الجيش قبل وفاة رسول الله ﷺ: «مات رسول الله وأنت عليَّ أمير؟».

وهذه الدلائل توجب القطع أنّ إنكار عمر لوفاة النبيّ ﷺ إنّما كان لغرض سياسي.

رابعاً: إنّ عمر هدّد من أرجف بموت النبيّ ﷺ أن ينكّل به بقطع يده ورجله، ولماذا هذا التنكيل؟ هل هو ارتداد عن الدين وخروج عن حضيرة الإسلام؟ وليت الخليفة أوضح لنا ذلك.

مجيء أبي بكر

وقفل أبو بكر راجعاً من السّنح، فانطلق معه عمر إلى بيت النبيّ ﷺ،

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨٥.

(٢) سورة الزُّمر: الآية ٣٠.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

فكشف الرداء عن وجهه الشريف وإذا به جثّة هامدة، فخرج وهو يفنّد مزاعم عمر قائلاً:

«مَن كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً قد مات، ومن كان يعبد الله تعالى، فإنّ الله حيّ لا يموت»، وتلا قوله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾.

وتلقّى عمر مقالة أبي بكر بالتصديق، وراح يقول:

«فوالله! ما هو إلّا أن سمعتها، فعقرت، حتّى وقعت على الأرض ما تحملني رجلاي، وقد علمت أنّ رسول الله ﷺ قد مات»(١).

إنّ حماس عمر البالغ في إنكار موت النبيّ ﷺ وسكون ثورته حينما جاء أبو بكر كلّ ذلك يدلّ بوضوح لا خفاء فيه على أنّ التآمر على صرف الخلافة عن أهل بيت النبوّة كان قد وضع قبل وفاة النبيّ ﷺ.

ويذهب المستشرق (لامنس) إلى أنّه كانت مؤامرة بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة الجرّاح في صرف الخلافة عن أهل البيت قبل وفاة النبيّ ﷺ، قال:

«إنّ الحزب القرشي الذي يرأسه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجرّاح لم يكن وضع حاضر، ولا وليد مفاجأة أو ارتجال، وإنّما كان وليد مؤامرات سرّيّة، حيكت أُصولها، وربت أطرافها بكلّ إحكام، وأنّ أبطال هذه المؤامرة أبو بكر وعمر بن الخطّاب، وأبو عبيدة بن الجرّاح، ومن أعضاء هذا الحزب عائشة وحفصة».

إنّ الإمعان في تتبّع مخطّطات القوم يقضي بقِدم المؤامرة، وأنّهم حاكوا أُصولها في

---

(١) الكامل في التاريخ: ٢/٢١٩.

حياة النبيّ ﷺ ، فإنّ تثاقلهم من الالتحاق بسرية أُسامة والردّ على النبيّ فيما رامه من الكتابة وغير ذلك يؤكّد تآمرهم على صرف الخلافة عن الإمام منذ وقت قديم.

بقي علينا أن نشير إلى أنّ خطاب أبي بكر: «مَن كان يعبد محـمّداً فـإنّ محـمّداً قد مات ، ومَن كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت» ، فيواجهه أنّه لم يؤثر من أي أحد من المسلمين أنّه كان يعبد محـمّداً ﷺ ، أو اتّخـذه ربّـاً مـن دون الله تـعالى ، وإنّما أجمع المسلمون على أنّه عبد الله ورسوله ، اختاره لوحـيه ، واصـطفاه لأداء رسالته ، وكان الأجدر به أن يعزّيهم بفقده ، ويعرض لهم مدى الخسارة العظمى التي مُني بها المسلمون.

تخاذل الأنصار

ولم تكن للأنصار إرادة صلبة ، ولا عزم ثابت ، فقد منوا بالضعف والتـخاذل ، فكانوا بعد خطاب زعيمهم سعد يقول بعضهم لبعض:

«فإن أبى المهاجرون من قريش ، وقالوا نحن المهاجرون وأصـحابه الأوّلون ، وعشيرته وأولياؤه ، فعلَام تنازعون هذا الأمر بعده ؟».

وقالت طائفة أُخرى منهم:

«فإنّا نقول: منّا أمير ومنكم أمير ، ولن نرضى بدون هذا أبداً».

وأظهرت هذه المحاورة انهيار عزائمهم أمام المهاجرين ، ولمّا رأى سعد ما مني به قومه من الوهن والتخاذل قال:

«هذا أوّل الوهن...»[1].

---

(١) الكامل في التاريخ: ٢/٢٢٢.

أجل ، إنّه الوهن بعينه أوّلاً وآخراً ، وأنّهم لا يملكون أي وعي سياسي ، وظلّوا في نزاعهم غارقين.

اختلاف الأنصار

وشيء آخر أدّى إلى انهزام الأنصار وعدم سيطرتهم على الموقف هو ما منوا به من الصراع القبلي بين الأوس والخزرج ، فقد كانت بينهما منذ القِدم أحقاد وأضغان أدّت إلى الصراع المسلّح بينهما ، وكان آخر أيّام حروبهم هو (يوم بغاث) ، وهو قبل أن يهاجر إليهم النبيّ ﷺ ، ولمّا هاجر إليهم جهد على نشر المحبّة والوئام فيما بينهم ، ولكن لم تزل الأحقاد قائمة في نفوسهم ، وقد ظهرت بشكل سافر يوم السقيفة ، فإنّ بعضهم لمّا عزم على مبايعة سعد حقد عليه أُسيد بن حضير زعيم الأوس وقال لقومه:

«لئن ولّيتموها ـ أي الخلافة ـ سعداً عليكم مرّة واحدة لا زالت لهم بذلك الفضيلة ، ولا جعلوا لكم فيها نصيباً أبداً ، قوموا فبايعوا أبا بكر...»[١].

وحكى ذلك مدى الحقد الكامن في نفوس بعضهم على بعض ، ومضافاً إلى ذلك فإنّ بعض أبناء الخزرج الذين هم من أُسرة سعد كانوا يحقدون عليه ، فهذا بشير بن سعد الخزرجي انبرى فبايع أبا بكر ، وقد استغلّ الحزب القرشي هذا الضعف والتخاذل في الأنصار ، فاستولوا على الحكم مع قلّتهم.

مداهمة الأنصار

وبينما كان الأنصار يدبّرون أمرهم ، ويتداولون الرأي في أمر الخلافة ، ويحدّدون

---

(١) تاريخ ابن الأثير: ٢/٣٣١.

موقفهم من المهاجرين من قريش؛ إذ خرج من مؤتمرهم ـوهم لا يشعرون ـ عُوَيْم بن ساعدة الأوسي ومعن بن عدي حليف الأنصار، وهما من حزب أبي بكر، وهرعوا جميعاً إلى أبي بكر وعمر، فأخبروهما باجتماع الأنصار في السقيفة، وأنّهم قد أجمعوا على تولية سعد بن عبادة، فذهل أبو بكر، وقام مسرعاً ومعه عمر وأبو عبيدة الجرّاح وسالم مولى أبي حذيفة ولحقهم[1] آخرون فكبسوا الأنصار في ندوتهم، فلمّا رآهم سعد غاض لونه وساد الوجوم على الأنصار.

وأراد عمر أن يتكلّم فنهره أبو بكر لعلمه بشدّته وغلظته وهما لا ينجحان في هذا الموقف الخطير الملبّد بالضغائن والأحقاد، ويجب أن تستعمل فيه البراعة السياسيّة والكلمات الناعمة والتودّد إلى القوم لكسب الموقف.

خطاب أبي بكر

وافتتح أبو بكر ندوة الأنصار بكلّ لباقة، وكلمات ناعمة، وقابلهم ببسمات فيّاضة بالبشر قائلاً:

«نحن المهاجرون أوّل النّاس إسلاماً، وأكرمهم أحساباً، وأوسطهم داراً، وأحسنهم وجوهاً، وأمسّهم برسول الله ﷺ رحماً، وأنتم اخواننا في الإسلام، وشركاؤنا في الدين، نصرتم وواسيتم، فجزاكم الله خيراً، فنحن الأُمراء وأنتم الوزراء، لا تدين العرب إلّا لهذا الحيّ من قريش، فلا تنفسوا على إخوانكم المهاجرين ما فضّلهم الله تعالى به، فقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ـيعني عمر بن الخطّاب وأباعبيدة بن الجرّاح ـ»[2].

---

(١) تاريخ الطبري: ٣/٤٥٦.

(٢) العقد الفريد: ٣/٦٢.

دراسة وتحليل

وحفل خطاب أبي بكر بكثير من التساؤلات، كان منها:

أوّلاً: إنّه لم يعن بصورة مطلقة بوفاة المنقذ العظيم ﷺ، فهي أعظم كارثة مني بها المسلمون، فكان الأوْلى به أن يعزّي المسلمين بوفاة النبيّ ﷺ الذي برّ بدين العرب ودنياهم، وأنقذهم من حياة التيه في الصحراء، ثمّ بعد ذلك يدعوهم إلى عقد مؤتمر عامّ يضمّ جميع القطاعات الشعبيّة لانتخاب من يرضونه خليفة لهم على فرض أنّ رسول الله ﷺ لم يعهد بالخلافة لأحد من بعده، ولم يعيّن الإمام أمير المؤمنين إماماً وقائداً لأُمّته في غدير خم.

ثانياً: إنّ هذا الخطاب كخطاب سعد المتقدّم قد حفل بالتهالك على السلطة، وطلب برجاء من الأنصار أن يتنازلوا عنها إلى المهاجرين من قريش، ومنّاهم عوض ذلك بالوزارة، إلّا أنّه من المؤسف أنّه لمّا تمّ له الأمر لم يقلّدهم أي منصب من مناصب الدولة، وأقصاهم عن جميع جهاز الحكم.

ثالثاً: أنّ أبا بكر قد تجاهل بالمرّة حقّ الأُسرة النبويّة التي هي عديلة القرآن الكريم، أو كسفينة نوح مَن ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق وهوى، وأنّ سيّد العترة الإمام أمير المؤمنين من النبيّ ﷺ كهارون من موسى حسبما تواترت الأخبار بذلك.

رابعاً: إنّ الأجدر بأبي بكر التريّث بالأمر حتّى يتمّ تجهيز النبيّ ﷺ، ويؤخذ بالدرجة الأُولى رأي العترة الطاهرة حتّى تحمل الخلافة طابعاً شرعيّاً، ولا يحدث انقسام بين صفوف المسلمين، ولا توصم بيعته بأنّها فلتة وقى الله تعالى المسلمين شرّها، كما وصفها بذلك عمر بن الخطّاب.

وعلّق الإمام الأعظم شرف الدين على إهمال أبي بكر لرأي العترة الطاهرة في البيعة وعدم الاعتناء بها، قال:

«لو فرض أنّ لا نصّ بالخلافة على أحد من آل محمّد ﷺ، وفرض كونهم غير مبرزين في حسب أو نسب أو أخلاق أو جهاد أو علم أو عمل أو ايمان أو إخلاص، ولم يكن لهم السبق في مضامير كلّ فضل، بل كانوا كسائر الصحابة، فهل هناك مانع شرعي أو عقلي أو عرفي يمنع من تأجيل عقد البيعة إلى فراغهم من تجهيز رسول الله ﷺ، ولو بأن يوكل حفظ الأمن إلى القيادة العسكرية مؤقّتاً حتى يستتبّ أمر الخلافة.

أليس هذا المقدار من التريّث كان أرفق بأُولئك المفجوعين وهم وديعة النبيّ لديهم، وبقيّته فيهم، وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1]؟ أليس من حقّ هذا الرسول الذي يعزّ عليه عنت الأُمّة، ويحرص على سعادتها، وهو الرؤوف بها، الرحيم لها، أن لا تعنت عترته فلا تفاجأ بمثل ما فوجئت به، والجرح لمّا يندمل، والرسول لما يقبر[2].

خامساً: إنّ أبا بكر استند في خطابه على أحقّيّة المهاجرين من قريش للخلافة دون الأنصار أنّهم أمسّ النّاس رحماً برسول الله ﷺ وأقربهم إليه، وتغلّب عليهم بذلك، وممّا لا ريب فيه أنّ هذا الملاك متوفّر في أهل البيت عليهم السلام، فهم ألصق النّاس به، وأمسّهم رحماً به، وقد عرضت حجّة المهاجرين على الأنصار على الإمام

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

(٢) النصّ والاجتهاد: ٧.

أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

«**احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ، وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ**».

وخاطب الإمام أبا بكر بقوله:

فَإِنْ كُنْتَ بِالشُّورَىٰ مَلَكْتَ أُمُورَهُمْ ... فَكَيْفَ بِهٰذَا وَالْمُشِيرُونَ غُيَّبُ
وَإِنْ كُنْتَ بِالْقُرْبَىٰ حَجَجْتَ خَصِيمَهُمْ ... فَغَيْرُكَ أَوْلَىٰ بِالنَّبِيِّ وأَقْرَبُ

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في حديث له:

«**وَاللهِ! إِنِّي لَأَخُوهُ** ـأي أخو النبيِّـ، **وَوَلِيُّهُ، وَابْنُ عَمِّهِ، وَوارِثُ عِلْمِهِ، فَمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنِّي...؟**».

ونظر المتكلّمون من الشيعة إلى هذا الاستدلال من أبي بكر على أحقّيّته للخلافة؛ لأنّه من قريش التي ينتسب لها النبيّ صلى الله عليه وآله فعلّقوا عليها. يقول شاعر الإسلام الكميت:

بِحقِّكُم أمسَتْ قريشٌ تَقودُنا ... وبالقَذِّ منها والرَّديفَيْنِ نَركبُ
وَقالوا ورِثْناها أَبانا وأُمَّنا ... وَما ورثَتهُم ذاكَ أُمٌّ ولا أَبُ
يَرونَ لهُم فَضلاً علَى الناسِ واجِباً ... سِفاهاً وحقُّ الهاشِميّينَ أوْجَبُ(١)

يقول الأُستاذ محمّد الگيلاني:

«إنّه احتجّ عليهم ـأي على آل النبيّـ بقرابة المهاجرين للرسول، ومع ذلك فقد كان واجب العدل يقضي بأن تكون الخلافة لعليّ بن أبي طالب ما دامت

---

(١) الهاشميّات: ٣١.

القرابة اتّخذت سنداً بحيازة ميراث الرسول ، لقد كان العبّاس أقرب الناس إلى النبيّ ، وكان أحقّ الناس بالخلافة ، ولكنّه تنازل بحقّه هذا لعليّ ، فمن هنا صار لعليّ الحقّ وحده في هذا المنصب »[١].

وعلى أيّ حال ، فقد أعرض القوم عامدين أو غير عامدين عن أهل بيت النبوّة ومراكز العلم والحكمة في الإسلام ، فواجهت أعقد ألوان المشاكل ، وأقسى أنواع الخطوب.

سادساً: إنّ أبا بكر فرض نفسه قائداً للأُمّة ووليّاً لأمرها فرشّح للخلافة عمر بن الخطّاب ، وأبا عبيدة الجرّاح ، مع العلم أنّه كان جنديّاً في سرية أُسامة ، وقد جرّد نفسه من الأطماع السياسيّة ، وكان ذلك منه التفاتة بارعة ، فقد غزا نفوس الأنصار وملك عواطفهم ومشاعرهم ، وقد أجابه عمر بقوله : « لا يكون هذا وأنت حيّ ، ما كان أحد ليؤخّرك عن مقامك الذي أقامك فيه رسول الله ﷺ ».

وعلّق بعض المحقّقين على ذلك بقوله : « لا نعلم متى أقام رسول الله ﷺ أبا بكر في مقام الخلافة أو دلّل عليه ، مع العلم أنّه وبقيّة المهاجرين من قريش كانوا جنوداً في سريّة أُسامة ، ولو كان قد رشّحه للخلافة لأقامه معه في يثرب ، وما أخرجه إلى ساحات الجهاد ... »[٢].

هذه بعض الملاحظات التي تواجه خطاب أبي بكر.

مهاترات ومصادمات

وتحوّل مؤتمر السقيفة إلى صراع عنيف بين مؤيّدي سعد وبين المهاجرين

---

(١) أثر التشيّع في الأدب العربي : ٥.

(٢) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ١١٥/٢.

ومؤيّديهم من الأنصار ، فقد خيّمت عليهم الأطماع السياسيّة والأهواء والعصبيات القبليّة ، وقد احتدم النزاع فيما بينهم كأشدّه ، وهذه صورة منه.

دور عمر

وانبرى عمر فوجّه خطاباً لاذعاً للأنصار قائلاً بعنف:

«هيهات ! لا يجتمع اثنان في قرن ، والله ! لا ترضى العرب أن يؤمروكم ، ونبيّها من غيركم ، ولكنّ العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوّة فيهم ، ووليّ أُمورهم منهم ولنا بذلك على مَن أبى من العرب الحجّة الظاهرة والسلطان المبين.

مَن ذا ينازعنا سلطان محمّد وامارته ، ونحن أولياؤه وعشيرته ، إلّا مدل بباطل ، أو متجانف لإثم ، أو متورّط في هلكة...»[١].

وكانت الحجّة التي استند إليها عمر في تغلّبه على خصمه هي أنّ العرب لا ترضخ لشخص ولا تدين له بالسلطان إذا لم يكن من الأُسرة النبويّة ، وهي حجّة واهية ، فإنّ الإسلام العظيم ليس ديناً للعرب فحسب ، وإنّما هو للنّاس جميعاً ، فلا علاقة لرضا العرب أو سخطها في هذا الأمر الذي يشترك فيه جميع المسلمين.

وأيضاً فهذا مردود عليه ، فانّ المهاجرين من قريش ليسوا من صميم الأُسرة النبويّة والذي هو ألصق بالنبيّ ﷺ إنّما هو أخوه وابن عمّه وأبو سبطيه الإمام أمير المؤمنين ، وقد سبق مثل هذا الكلام إلى أبي بكر.

الحباب بن المنذر

وقام الحباب بن المنذر فردّ على عمر ، قائلاً:

---

(١) تاريخ الطبري: ٣/٢٤٠ ، الإمامة والسياسة: ١/٩.

«يا معشر الأنصار، املكوا عليكم أمركم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموهم فاجلوهم عن هذه البلاد، وتولّوا عليهم هذه الأمور، فأنتم ـ واللهِ! ـ أحقّ بهذا الأمر منهم؛ فإنّه بأسيافكم، دان الناس لهذا الدين من دان ممّن لم يكن يدين، أنا جذيلها المحكّك، وعذيقها المُرجَّب، أنا شبل في عرينة الأسد واللهِ! لو شئتم لنعيدنها جذعة، والله! لا يرد أحد عليّ ما أقول إلّا حطّمت أنفه بالسيف..»[١].

حكى هذا الخطاب العنف والثورة، فقد دعا قومه إلى ما يلي:

أوّلاً: إجلاء المهاجرين عن المدينة أن أبوا أن تكون الخلافة بأيدي الأنصار.

ثانياً: الدعوة إلى الحرب إن أبى المهاجرون دعوة الأنصار.

ثالثاً: إنّه أشاد بنفسه، وأنّه من الأبطال الذين يخوضون أعنف المعارك، وأنّ مَن ينازعه في رأيه أو يردّ عليه، فإنّه يحطّم أنفه بالسيف.

وردّ عليه عمر بغيظ قائلاً: «إذاً يقتلك الله..».

فأجابه الحباب: «بل إيّاك يقتل..».

وجرت بين القوم مشادّة كلاميّة حادّة، وكادت تقع الفتنة وتسفك الدماء.

فوز أبي بكر بالحكم

وكسب أبو بكر الموقف بلباقته ولين كلامه، والتودّد إلى الأنصار، وبادر أعضاء حزبه بسرعة خاطفة فبايعوه، وأوّل من بايعه باني دولته عمر بن الخطّاب، ثمّ بايعه بشير وأسيد بن حضير، وعويم بن ساعدة، وأبو عبيدة الجرّاح،

---

(١) الكامل في التاريخ: ٢/٣٣٠. تاريخ ابن خلدون: ٢/٤٨٨.

وسالم مولى أبي حذيفة ، وخالد بن الوليد وباقي حزبه ، واشتدّ هؤلاء على حمل النّاس بالقوّة لبيعة أبي بكر ، وكان أشدّهم اندفاعاً عمر بن الخطّاب ، فقد لعبت درّته شوطاً في الميدان ، فقد أرغم الممتنعين على البيعة ، وقد سمع الأنصار يقولون :

« قتلتم سعداً ... » .

فاندفع يقول بعنف :

« اقتلوه قتله الله ، فإنّه صاحب فتنة »(١) .

ولمّا تمّت البيعة لأبي بكر بهذه الصورة التي حفّ بها الارهاب أقبل به حزبه يزفّونه إلى مسجد رسول الله ﷺ .

وكان النبيّ ﷺ مسجّى في فراش الموت لم يغيبه عن عيون القوم مثواه ، قد انشغل الإمام بتجهيزه ، فلمّا أخبر بالبيعة لأبي بكر تمثّل بهذا البيت :

وأصبحَ أقوامٌ يَقولونَ ما اشْتَهوا ... ويَطغَونَ لمّا غال زيداً غوائلُهْ(٢)

لقد بويع أبو بكر بهذه السرعة والمباغتة . تحفّ بها الشبه والمؤاخذات .

رأي عمر في بيعة أبي بكر

وجه عمر نقداً لاذعاً لبيعة أبي بكر ، وقال فيها كلمته المشهورة :

« إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرّها ، فمن دعاكم لمثلها فاقتلوه »(٣) .

---

(١) العقد الفريد : ٣/٦٢ .

(٢) صحيح البخاري : ١٠/٤٤ . مسند أحمد بن حنبل : ١/٥٥ . تمام المتون : ١٣٧ .

(٣) شرح نهج البلاغة : ٦/١٤ .

وحفلت هذه الكلمة بأقسى ألوان النقد والتشهير، فقد وصمها بما يلي:

١ ـ إنّ بيعة أبي بكر فلتة، ومعنى الفلتة الشرّ والخطيئة والزلّة أو المفاجأة والمباغتة، فإنّها من أعظم ما تكون في ميدان القدح والذمّ.

٢ ـ إنّه دعا الله تعالى أن ينقذ المسلمين من شرّها، ومن مضاعفاتها السيّئة.

٣ ـ إنّه حكم بقتل من دعا لمثل هذه البيعة.

لقد طعن عمر في بيعة أبي بكر لأنّها لم تعتمد على الأُسس السليمة، والمنطق الصحيح.

مؤاخذات على البيعة

وتواجه بيعة أبي بكر جملة من المؤاخذات كان منها:

أوّلاً: إنّها لم يؤخذ فيها رأي العترة الطاهرة التي هي عديلة القرآن الكريم، فقد أُبعدت وأُهملت ولم يعن القوم بها.

ثانياً: إنّها لم تكن جامعة لأهل الحلّ والعقد الذين يعتبر رأيهم شرطاً في مشروعيّة الانتخاب.

ثالثاً: إنّ البيعة لأبي بكر كانت في مكان خفي، ولم تكن في الأمكنة العامّة. يقول عبدالوهاب النجّار:

«يرى المطّلع على الشكل الذي حصلت به بيعة أبي بكر أنّ الاستشارة في أمرها كانت ناقصة نقصاً ظاهراً؛ لأنّ المعقول في مثل هذه الحال أن يتّخذ المسلمون مكاناً يجتمعون فيه، وأن يؤذن النّاس به من قبل...»(١).

---

(١) الخلفاء الراشدون: ١٦.

رابعاً: إنّ كثيراً من المسلمين قد أُرغموا على البيعة لأبي بكر، ولم تكن بيعتهم عن إرادتهم واختيارهم، فقد لعبت درّة عمر في تحقيقها وإيجادها.

خامساً: إنّ المبايعين لأبي بكر لم يشترطوا في ضمن بيعتهم أن يسير على كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه ﷺ التي هي شرط في صحّة البيعة.

هذه بعض المؤاخذات التي تواجه بيعة أبي بكر.

هزيمة الأنصار

وأفل نجم الأنصار، وعراهم الذلّ والهوان، وقد حكى حسّان بن ثابت هزيمتهم بهذه الأبيات:

نَصَرنا وآوَينا النَّبيَّ ولمْ نَخَفْ — صُروفَ اللَّيالي والبلاءَ على رَجْلِ
بذَلْنا لهُمْ أنصافَ مالِ أكُفِّنا — كقِسْمةِ أيْسارِ الجَزورِ مِنَ الفَضْلِ
فكانَ جَزاءُ الفَضْلِ منّا عليهِمُ — جَهالتَهُم حُمْقاً وما ذاكَ بِالْعَدْلِ[1]

وتعرّضت الأنصار للمحن والخطوب في كثير من عهود الخلفاء والملوك، ومن المؤكّد أنّ ذلك جزاء لهم على ما اقترفوه من حقّ العترة الطاهرة من الظلم ونكران حقّهم، فهم الذين فتحوا الباب للاعتداء عليهم.

ابتهاج القرشيّين

وابتهج القرشيّون بحكومة أبي بكر، واعتبروها فوزاً ساحقاً لهم؛ لأنّها امتداد لنفوذهم، وضمان لمصالحهم. يقول أبو عبرة القرشي:

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٦/٢٥.

شُكراً لمَنْ هُوَ بِالثَّناءِ حَـقيقُ ذَهبَ اللِّجاجُ وبُويعَ الصِّدّيقُ
مِنْ بَعدِ ما زلَّتْ بِسَعدٍ نَـعلُهُ ورَجـا رَجـاءً دونَـهُ العَـيُّوقُ
إنَّ الخلافةَ في قُريشٍ ما لَكُم فيها ورَبِّ مُحمّدٍ مَـعْرُوقُ[١]

وحكى هذا الشعر سرور القرشيّين بما حقّقوه من نصر حاسم عـلى الأنـصار، كما أظهر شماتة عمرو بن العاص وفرحه بخيبة الأنصار وضياع أملهم. يقول:

ألا قُـــل لأَوْسٍ إذا جِـئتَها وَقُلْ كـلّما جِئتَ للـخَزْرجِ
تَـمنَّيْتُمُ الْـمُلكَ فـي يَـثْرِبٍ فَأُنزِلَتِ القِدرُ لَـم تَـنْضَجِ[٢]

لقد عمّت الفرحة الكبرى جميع القرشيّين بحكومة أبي بكر وحرمان الأنصار.

موقف أبي سفيان

أعلن أبو سفيان معارضته لحكـومة أبي بكـر، ومـضى إلى الإمـام عليه السلام يحـفّزه على الثورة وإعلان الحرب على أبي بكر، ووعده بنصره، ولم تخف عـلى الإمـام دوافعه النفسيّة، فقد أراد ضرب الإسلام وإشـعال نـار الحـرب بـين المسـلمين، فلذا لم يستجب له.

وعلى أي حال، فقد راح أبو سفيان يقول:

«إنّي لأرى عجاجة لا يطفئها إلّا دم يا آل عبدمناف فيم أبوبكر من اُموركم».

وجعل يردّد:

---

(١) الموفّقيات: ٨٠. شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ٦/٢١.
(٢) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ٦/٣٠.

«أين المستضعفان ؟».

«أين الأذلّان ؟».

«ما بال هذا الأمر في أقلّ حيّ من قريش ؟».

ثمّ قال للإمام:

«ابسط يدك أُبايعك، فوالله! لئن شئت لأملأنّ عليه خيلاً ورجالاً»، ثمّ تمثّل:

ولَنْ يُقيمَ علىٰ خَسْفٍ يُرادُ بهِ إلّا الأذلّانِ عَيْرُ الحيِّ وَالوَتَدُ

هذا عَلَى الخَسفِ مَعْكوسٌ برُمَّتِهِ وذا يُشَجُّ فلا يَبكي لَهُ أحَدُ

وتمثّل أيضاً بهذا الشعر:

وأضحَتْ قُريشٌ بعدَ عزٍّ ومَنْعَةٍ خُضوعاً لِتَيْمٍ لا بضَربِ القَواضبِ

فيا لَهفَ نَفْسي للّذي ظَفِرَتْ بهِ وما زالَ مِنها فائِزاً بالرَّغائبِ(١)

ونهره الإمام وقال له:

«وَاللهِ! ما أَرَدْتَ بِهٰذا إِلّا الْفِتْنَةَ، وَإِنَّكَ وَاللهِ! طالَما بَغَيْتَ لِلْإِسْلَامِ شَرّاً، لَا حاجَةَ لَنا فِي نَصِيحَتِكَ»(٢).

وولّى أبو سفيان وجهه وهو ينشد:

بني هاشمٍ لا تُطمِعُوا الناسَ فيكُمُ ولا سيَّما تيمَ بنَ مُرَّةَ أو عَدِيّ

فما الأمرُ إلّا فيكُمُ وإليكُمُ وليسَ لَها إلّا أبو حَسَنٍ عَلِيّ

---

(١) الأغاني: ٦/٣٥٦. تاريخ الطبري: ٢/٤٤٩.

(٢) الكامل في التاريخ: ٢/٢٢٠.

أبا حَسَنٍ فاشدُدْ بها كفَّ حازمٍ فإنَّك بالأمرِ الَّذي يُرتَجى مليّ[١]

وليس من شكّ أنّ معارضة أبي سفيان لأبي بكر لم تكن عن إيمان بحقّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وإنّما كانت لإثارة الفتن والشغب بين المسلمين.

ومن المؤكّد أنّ أبا سفيان لم يؤمن بالقيم الإسلاميّة، وإنّما كان يبغي المنافع والأرباح.

وتنصّ بعض المصادر على أنّ هناك اتّفاقاً بين أبي بكر وأبي سفيان أن يمنح أبناءه ولايتي الشام والطائف، وفعلاً فقد عيّن أبو بكر يزيد بن أبي سفيان والياً على الشام، ومشى خلفه ويزيد راكباً، وبعد هلاكه عيّن عمر معاوية محلّ أخيه على ولاية الشام[٢].

كما أنّ من بنود الاتّفاق أن يكون لبني أُميّة سهم في الخلافة[٣].

وعلى أي حال، فإنّ علاقة أبي سفيان بأبي بكر وعمر كانت وثيقة للغاية، فقد روى البخاري أنّ أبا سفيان اجتاز على جماعة من المسلمين فيهم أبو بكر وسلمان وصهيب وبلال فقال بعضهم:

«أما أخذت سيوف الله من عنق عدوّ الله مأخذها؟».

ومضى أبو بكر مسرعاً إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فأخبره بمقالتهم في أبي سفيان، فردّ عليه النبيّ صلى الله عليه وآله قائلاً:

«يا أَبابكرٍ، لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُم، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُم لَقَدْ أَغْضَبْتَ اللهَ...»[٤].

---

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ١٧/٦.

(٢) أخبار المدينة / ابن شبة: ٢٩٥/١.

(٣) السقيفة انقلاب أبيض: ٣٢٢، نقلاً عن نسب قريش.

(٤) صحيح البخاري: ٣٦٢/٢.

كما كانت الصلة بين عمر وأبي سفيان وثيقة ، فقد أفرد عمر في داره غرفة فرشها بأحسن فرش ، ولم يسمح لأحد بالدخول فيها سوى أبي سفيان ، وقد سئل عن ذلك فأجاب :

« هذا شيخ قريش »(١).

كما منح عمر أموالاً لهند زوجة أبى سفيان أن تتّجر بها لئلا يصيبها الفقر.

وعلى أي حال ، فإنّ النبيّ ﷺ قد حطّم الأمويّين ، وألبسهم ثوب الخزي والعار ، فقد رأى النبيّ أبا سفيان راكباً ناقة ويزيد آخذ بخطامها ، ومعاوية يسوقها ، فقال ﷺ :

« **اللّهُمَّ الْعَنِ الرّاكِبَ والقائِدَ وَالسائِق** »(٢).

وخطب معاوية امرأة من المسلمين ، فاستشارت النبيّ ﷺ في الزواج منه ، فنهاها عن ذلك وقال :

« **لا تَتَزَوَّجي بِهِ فَإِنَّهُ صُعْلوكٌ** »(٣).

إنّ الأمويّين في زمان النبيّ ﷺ كانوا بأقصى مكان من الذلّ والهوان ، ولكن في زمن الشيخين علا نجمهم ، وصاروا من أجهزة الدولة ، فقد عيّن عمر عثمان عميد الأمويّين خليفة من بعده ، وسلّطه على رقاب المسلمين ، وهذا أمر واضح لا خفاء فيه على من درس نظام الشورى.

وعلى أي حال ، فإنّ موقف أبي سفيان من خلافة أبي بكر المتّسم بالكراهية

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٣٤١/٣.

(٢) تاريخ الطبري : ٣٥٧/١١. وقعة صفّين : ٣٤٤.

(٣) حياة الإمام الحسن بن عليّ عليه‌السلام : ٣٢/١ ، نقلاً عن تاريخ الخميس : ٢٩٦/٢.

إنّما هو أمر صوري لا واقع له ، ولذا لم يعن به الإمام عليه السلام ، وامتنع عن إجابته.

موقف الأُسرة النبويّة من بيعة أبي بكر

وأجمع المؤرّخون والرواة على رفض الأُسرة النبويّة لبيعة أبي بكر ، وأنّها اتّسمت بكراهيّتهم وعدم رضاهم ، وأنّهم أحقّ بالخلافة منه؛ لأنّهم ألصق برسول الله صلى الله عليه وآله ، وأمسّهم رحماً به من غيرهم ، وهذا عرض لموقفهم:

١ ـ العبّاس بن عبدالمطّلب

أمّا العبّاس بن عبدالمطّلب عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله فقد كان على يقين أن ابن أخيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أحقّ بالخلافة وأوْلى بها من أبي بكر ، فقد بادر إليه قائلاً:

« يابن أخي ، امدد يدك أُبايعك ، فيقول النّاس: عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله بايع ابن عمّ رسول الله فلا يختلف عليك اثنان ».

فأجابه الإمام:

« **مَنْ يَطْلُبُ هـٰذَا الْأَمْرَ غَيْرُنا...** »[١].

وعلّق الدكتور طه حسين على موقف العبّاس من بيعة أبي بكر بقوله:

« نظر العباس في الأمر فرأى ابن أخيه أحقّ منه بوراثة السلطان ؛ لأنه ربيب النبيّ ، وصاحب السابقة في الإسلام ، وصاحب البلاء الحسن الممتاز في المشاهد كلّها ؛ ولأنّ النبيّ كان يدعوه أخاه حتى قالت له أُمّ أيمن ذات يوم مداعبة: تدعوه أخاك وتزوّجه ابنتك ؟ ولأنّ النبي قال له:

« **أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسىٰ إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي** ».

---

(١) الإمامة والسياسة: ١/٤.

وقال للمسلمين يوماً آخر: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**»، من أجل ذلك أقبل العبّاس بعد وفاة النبيّ على ابن أخيه وقال له: ابسط يدك أُبايعك...»[١].

ومن الجدير بالذكر أنّ المغيرة بن شعبة اقترح على أبي بكر أن يعرض على العبّاس بعض المناصب ويمنّيه بالأموال ليضمّه إليه، ويكون من حزبه، واستجاب أبو بكر لرأيه فذهب إليه ومعه عمر وأبو عبيدة، والمغيرة بن شعبة، وقال له:

«إنّا نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً، ويكون لمن بعدك من عقبك».

والتفت العبّاس إلى غايتهم في فصله عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فأجابهم:

«إنّ الله بعث محمّداً كما وصف نبيّاً وللمؤمنين وليّاً، فمنّ على أُمّته به، حتّى قبضه الله إليه، واختار له ما عنده، فخلّى على المسلمين أُمورهم ليختاروا لأنفسهم، مصيبين الحقّ لا مائلين بزيغ الهوى. فإن كنت برسول الله صلى الله عليه وآله أخذت، فحقّنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين فنحن منهم، فما تقدّمنا في أمرك فرطاً ولا حللنا وسطاً».

وأضاف قائلاً:

«فأمّا ما قلت: إنّك تجعله لي، فإن كان حقّاً للمؤمنين فليس لك أن تحكم فيه، وإن كان لنا فلم نرض ببعضه دون بعض، وعلى رسلك فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله من شجرة نحن أغصانها، وأنتم جيرانها...»[٢].

وهذا الكلام الحاسم قد ترك في نفوس القوم شجى، وقاموا ولم يظفروا بنتيجة تبرّر موقفهم من الاستيلاء على الحكم بغير مشورة الأُسرة النبويّة.

---

(١) عليّ وبنوه: ١٩.

(٢) الإمامة والسياسة: ١/١٥.

٢ ـ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

والشيء المحقّق أنّ موقف الإمام من بيعة أبي بكر كان متّسماً بالكراهية وعدم الرضا، فهو أحقّ بالخلافة وأوْلى بها منه؛ لأنّه ألصق النّاس برسول الله صلى الله عليه وآله، فهو اخوه وابن عمّه وأبو سبطيه، وهو صاحب المواهب والعبقريات، وباب مدينة علم النبيّ صلى الله عليه وآله، ولا يملك أحد من المسلمين مثل يملكه من النزعات الكريمة والصفات الشريفة، إلّا أنّ القوم قد استهانوا به، وتنكّروا له، وهذا عرض موجز لموقفه مع أبي بكر:

امتناعه عن البيعة

وامتنع الإمام عن بيعة أبي بكر، وأعلن سخطه البالغ عليه؛ لأنّ محلّه من الخلافة محلّ القطب من الرحى، وأنّ شخصيّته العظيمة أعظم شخصيّة في الإسلام، فهو كالجبل الشاهق ينحدر عنه السيل، ولا يرقى إليه الطير ـ على حدّ تعبيره ـ فكيف يبايع من لا يساويه في علمه وفضله وجهاده وسائر مواهبه.

الهجوم على الإمام

وأجمع رأي الجهاز الحاكم على إرغام الإمام وقسره على البيعة لأبي بكر، فأرسلوا له حفنة من الشرطة والمرتزقة تحت قيادة عمر بن الخطّاب وهو يرعد ويبرق، وبيده قبس من نار يريد أن يحرق بيت الوحي ومركز الإيمان في الإسلام، فخرجت إليه بقيّة النبوّة زهراء الرسول فصاحت به:

«ما الَّذِي جِئْتَ بِهِ يابْنَ الْخَطّاب؟».

فأجابها بعنف وقسوة وعدم مبالاة:

«الذي جئت به أقوى ممّا جاء به أبوك...».

وصاح ثانية:

«والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنّها على مَن فيها».

فقال قوم يخافون الله، ويحترمون قدسيّة أهل البيت:

«يا أبا حفص، إنّ فيها فاطمة».

فلم يحفل بذلك وقال:

«وإن! وإن!»(١).

وأخرج الإمام بعنف وقسوة إلى أبي بكر فصاح به حزبه:

«بايع أبا بكر».

فأجابهم الإمام وهو رابط الجأش، ثابت الجنان، غير حافل بجبروتهم وطغيانهم:

«أَنا أَحَقُّ بِهٰذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ، لَا أُبايِعُكُمْ وَأَنْتُمْ أَوْلىٰ بِالْبَيْعَةِ لِي، أَخَذْتُمْ هٰذَا الْأَمْرَ مِنَ الْأَنْصارِ، وَاحْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِالْقَرابَةِ مِنَ النَّبيِّ ﷺ، وَتَأْخُذونَهُ مِنّا

---

(١) إنّ هذه الحادثة ثبتت بالنصوص المتواترة، ودوّنها أجمع المؤرّخون والرواة على تهديد عمر للإمام بإحراق داره، فقد جاءت في كلّ من الإمامة والسياسة: ١/١٢ ـ ١٣. شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ١/٣٤. تاريخ الطبري: ٣/٢٠٢. تاريخ أبي الفداء: ١/١٥٦. تاريخ اليعقوبي: ٢/١٠٥. أعلام النساء: ٣/٢٠٥. الأموال / أبوعبيد: ٣١. مروج الذهب: ١/٤١٤. أنساب الأشراف / البلاذري: ١/٥٨٦. الإمام عليّ عليه السلام / عبدالفتّاح عبدالمقصود، ونظمها شاعر النيل حافظ إبراهيم فقال:

وَقَولةٍ لِعليٍّ قالَها عُمَرٌ ... أَكْرِمْ بِسامِعِها أَعْظِمْ بِمُلْقيها
حَرَّقْتُ دارَكَ لا أُبْقي عليكَ بِها ... إنْ لَمْ تُبايِعْ وبنتُ الْمُصطفىٰ فيها
ما كانَ غَيرَ أبي حَفصٍ بِقائِلِها ... أمامَ فارِسِ عَدْنانٍ وَحاميها

أَهْلَ الْبَيْتِ غَصْباً ، أَلَسْتُم زَعَمْتُم لِلأَنْصارِ أَنَّكُمْ أَوْلىٰ بِهذا الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَمّا كانَ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْكُمْ فَأَعْطَوكُمُ الْمَقَادَةَ وَسَلَّمُوْا إِلَيْكُمُ الْإمارَةَ ؟ وأَنا أَحْتَجُّ عَلَيْكُم بِمِثْلِ ما احْتَجَجْتُم بِهِ عَلَى الْأَنْصارِ ، نَحْنُ أَوْلىٰ بِرَسُولِ اللهِ حَيّاً وَمَيِّتاً فَأنْصِفُونا إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ وَإِلَّا فَبُوءوا بِالظُّلْمِ وَأَنْتُم تَعْلَمُونَ ».

حكى هذا الخطاب الحجّة التي تمسّك بها المهاجرون من قريش على أحقّيتهم للخلافة من أنّهم أقرب إلى النبيّ ﷺ ، وتغلّبوا بها على الأنصار ، وهي متوفّرة بالإمام دون غيره ، فهو أخوه وابن عمّه وأبو سبطيه ، ومن كان منه بمنزلة هارون من موسى ، ولم يجدِ هذا المنطق مع القوم ، فصاح به عمر :

« بايع ».

« **وَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ ؟** ».

« والله الذي لا إلـه إلّا هو لنضرب عنقك ».

ونظر الإمام إلى مَن حوله فلم يجد له معيناً ولا ركناً شديداً يأوي إليه ، فقال بصوت حزين النبرات :

« **إِذَنْ تَقْتُلُونَ عَبْداً للهِ وَأَخا رَسُولِهِ** ».

واندفع ابن الخطّاب بثورة قائلاً :

« أمّا عبد الله فنعم ، وأمّا أخو رسوله فلا ».

وتناسى ابن الخطّاب أنّ الإمام نفس رسول الله ﷺ كما دلّت على ذلك آية المباهلة ، وأنّه باب مدينة علمه ، وألصق الناس به ، والتفت عمر إلى أبي بكر قائلاً :

« ألا تأمر فيه بأمرك ؟ ».

وخاف أبو بكر من الفتنة ، فقال :

«لا أُكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جانبه».

وحاول أبو عبيدة الجرّاح أن يخدع الإمام فقال له:

«يابن عمّ، إنّك حدث السنّ، وهؤلاء مشيخة قومك، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأُمور، ولا أرى أبا بكر إلّا أقوى منك على هذا الأمر، وأشدّ احتمالاً واضطلاعاً به، فسلّم لأبي بكر هذا الأمر، فإنّك إن تعش، ويطل بك بقاء، فأنت بهذا الأمر خليق، وبه حقيق في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك»(١).

وأثارت هذه المخادعة كوامن الألم في نفس الإمام، فاندفع يخاطب المهاجرين من قريش الذين غرّتهم الدنيا قائلاً لهم:

«اللهَ اللهَ يا مَعْشَرَ الْمُهاجِرينَ! لَا تُخْرِجُوا سُلْطانَ مُحَمَّدٍ فِي الْعَرَبِ عَنْ دارِهِ، وَقَعْرِ بَيْتِهِ إِلىٰ دُورِكُمْ وَقُعُورِ بُيُوتِكُمْ، وَلَا تَدْفَعُوا أَهْلَهُ عَنْ مَقامِهِ فِي النّاسِ وَحَقِّهِ.. فَواللهِ يا مَعْشَرَ الْمُهاجِرينَ! لَنَحْنُ أَحَقُّ النّاسِ بِهِ، وَنَحْنُ أَحَقُّ بِهٰذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ، ما كانَ فِينا إِلّا الْقارِئُ لِكِتابِ اللهِ، الْفَقِيهُ فِي دِينِ اللهِ، الْعالِمُ بِسُنَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، الْمُضْطَلِعُ بِأَمْرِ الرَّعِيَّةِ، الدّافِعُ عَنْهُم الْأُمُورَ السَّيِّئَةَ، الْقاسِمُ بَيْنَهُمْ بِالسَّوِيَّةَ، وَاللهِ! إِنَّهُ لَفِينا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوىٰ فَتَضِلُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَتَزْدادُوا مِنَ الْحَقِّ بُعْداً»(٢).

لقد كان منطق الجرّاح في تقديم أبي بكر على الإمام لأنّه أكبر سنّاً منه،

---

(١) حياة الإمام الحسن عليه السلام: ١/١٥٦ ـ ١٥٨، نقلاً عن الإمامة والسياسة: ١/١١.

(٢) الإمامة والسياسة: ١/١١ و ١٢.

وهذا عنده مقياس الصواب ، وفصل الخطاب ، وهو منطق مهزول أمام الإسلام ، فإنّ المقياس عنده في قيم الرجال ما يتمتّعون به من الكفاءات والمواهب والعبقريات والتقوى والحريجة في الدين والدراية التامّة بما تحتاج إليه الأُمّة في مجالاتها الإداريّة والسياسيّة ، وغير ذلك من شؤون الحكم ، وهذه الجهات لم تتوفّر ـ بإجماع المسلمين ـ عند أحد بعد وفاة النبيّ ﷺ إلّا عند سيّد العترة الطاهرة ، وإمام الهدى الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام ، فهو أحقّ بالأمر وأوْلى به من غيرهم.

٣ ـ مع الزهراء عليها‌السلام

أمّا سيّدة نساء العالمين فهي بقيّة النبوّة ، يرضى الله تعالى لرضاها ويسخط لسخطها ، وقد أولاها أبوها اهتمامه البالغ ، وفضّلها على جميع نساء العالمين ، وقد وقفت بصلابة أمام التيّار القرشي الذي صمّم على صرف الخلافة عن الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام رافعين شعارهم : « لا تجتمع النبوّة والخلافة في بيت واحد ».

وقد جهدت سلام الله عليها على إرجاع الحقّ إلى معدنه الذي رسمه أبوها لصيانة أُمّته من الانحراف ، والتردّي في مجاهل الحياة ، إلّا أنّ القوم قد تجاهلوا حقّها ، ورجعوا إلى جاهليّتهم الأُولى ـ على حدّ تعبير الأُستاذ عبدالفتاح عبدالمقصود ـ فاقترفوا ضدّها ما حرّمه الله تعالى ، ولم يراعوا حقّ النبيّ ﷺ فيها.

وعلى أي حال ، فإنّا نعرض ـ بإيجاز ـ إلى بعض شؤون سيّدة النساء مع القوم.

احتجاجها الصارم

احتجّت بضعة رسول الله ﷺ على القوم بحجج بالغة لانحرافهم عن الخطّ الرسالي الذي رسمه أبوها لأُمّته ، فعيّن لها القائد والهادي من بعده ، وهو الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام.

قالت سلام الله عليها:

«وَيْحَهُمْ أَنَّىٰ زَحْزَحُوها ـ أي الخلافة ـ عَنْ رَواسِي الرِّسَالَةِ، وَقَواعِدِ النُّبُوَّةِ، وَمَهْبِطِ الرُّوحِ الْأَمِينِ! وَالطَّبِنِ[١] بِأُمُورِ الدُّنْيا وَالدِّينِ، أَلَا ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ، وَمَا الَّذِي نَقَمُوا مِنْ أَبِي الْحَسَنِ؟ نَقَمُوا وَاللهِ! مِنْهُ نَكِيرَ سَيْفِهِ، وَقِلَّةَ مُبَالَاتِهِ لِحَتْفِهِ، وَشِدَّةَ وَطْأَتِهِ، وَنَكَالَ وَقْعَتِهِ، وَتَنَمُّرَهُ فِي ذَاتِ اللهِ.

وَتَاللهِ لَوْ مَالُوا عَنِ الْمَحَجَّةِ اللَّائِحَةِ، وَزَالُوا عَنْ قَبُولِ الْحُجَّةِ الْوَاضِحَةِ، لَرَدَّهُمْ إِلَيْهَا، وَحَمَلَهُمْ عَلَيْهَا، ولَسَارَ بِهِمْ سَيْراً سُجُحاً[٢]، لَا يُكْلَمُ خُشَاشُهُ[٣]، وَلَا يَكِلُّ سَائِرُهُ، وَلَا يَمَلُّ رَاكِبُهُ، وَلَأَوْرَدَهُمْ مَنْهَلاً نَمِيراً صَافِياً رَوِيّاً، تَطْفَحُ ضِفَّتَاهُ[٤]، وَلَا يَتَرَنَّقُ جَانِبَاهُ، وَلَأَصْدَرَهُمْ بِطَاناً[٥]، وَنَصَحَ لَهُمْ سِرّاً وَإِعْلَاناً.

أَلَا هَلُمَّ فَاسْمَعْ، وما عِشْتَ أراكَ الدَّهرُ عَجَباً!

أَمَا لَعَمْرِي، لقد لَقَحَتْ، فَنَظِرَةٌ رَيْثَمَا تُنْتِجُ، ثُمَّ احْتَلِبُوا مِلْءَ الْقَعْبِ دماً عَبِيطاً، وذُعَافاً[٦] مُبِيداً، هُنَالِكَ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ، ويَعْرِفُ التَّالُونَ غِبَّ مَا

---

(١) **الطبن**: الخبير.

(٢) أي سهلاً.

(٣) **الخشاش**: عود يجعل في أنف البعير يشدّ به الزمام.

(٤) **تطفح ضفتاه**: أي يمتلئ ويفيض جانباه.

(٥) **أصدرهم بطاناً**: أي أشبعهم وأفاض عليهم بالخير.

(٦) **الذعاف**: الطعام الذي يجعل فيه السم.

أَسَّسَ الْأَوَّلُونَ. ثُمَّ طِيبُوا عَنْ دُنْيَاكُمْ أَنْفُساً، وَاطْمَئِنُّوا لِلْفِتْنَةِ جَأْشاً، وأَبْشِرُوا بسَيفٍ صَارِمٍ، وَسَطْوَةِ مُعْتَدٍ غَاشِمٍ، وَبَهْرَجٍ شَامِلٍ، وَاسْتِبْدادٍ مِنَ الظَّالِمِينَ، يَدَعُ فَيْئَكُم زَهِيداً، وَجَمْعَكُمْ حَصِيداً.

فَيَا حَسْرَةً لَكُمْ، وَأَنَّىٰ بِكُمْ، ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾[١].

اِسْتَبْدَلُوا وَاللهِ! الذُّنَابَى بِالْقَوَادِمِ، وَالْعَجُزَ بِالْكَاهِلِ[٢]، فَرَغْماً لِمَعَاطِسِ قَوْمٍ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً. أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ، وَيْحَهُمْ ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لاَ يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٣] ؟[٤]

نظرة تأمّل

ولا بدّ لنا من وقفة قصيرة للنظر في هذه الخطبة التي شجبت بها سيّدة نساء العالمين حكومة أبي بكر، فقد حفلت بأُمور بالغة الأهمّية:

أوّلاً: أنّها ذكرت أهمّ الأسباب التي أدّت إلى زهد المهاجرين من قريش في خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام، وهي:

١ ـ نكير سيف الإمام الذي حصد به رؤوس المشركين من قريش وأمثالهم

---

(١) سورة هود: الآية ٢٨.

(٢) **الكاهل**: سيّد القوم ومعتمدهم.

(٣) سورة يونس: الآية ٣٥.

(٤) بلاغات النساء: ٢٣. أعلام النساء: ٣/٢١٩ و ٢٢٠.

من العتاة المردة، فقد وتر سلام الله عليه الأقربين والأبعدين من أجل إقامة الإسلام والذبّ عن النبيّ ﷺ، وقد أدّى ذلك إلى كراهيته في نفوس القرشيّين.

٢ ـ شدّة وطأة الإمام، فقد كان حتف الكافرين والمنافقين، لم تأخذه في الله تعالى لومة لائم، وهو القائل:

«أَيُّهَا النَّاسُ، أَعِينُوني عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَايْمُ اللهِ لَأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ، وَلَأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ، حَتَّىٰ أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهاً».

وقد قال مرّة أُخرى:

«ما تَرَكَ الْحَقُّ لي مِنْ صَديق».

٣ ـ تنمّره في ذات الله تعالى، فقد وهب حياته لله تعالى، ورصد جميع طاقاته لإحياء دين الله تعالى، وقد قذف نفسه في لهوات الحروب، وخاض الغمرات من أجل إقامة الإسلام، فما أعظم جهاده في سبيل الله.

ثانياً: إنّ الإمام لو تقلّد الخلافة بعد وفاة النبيّ ﷺ لظفرت الأُمّة بالمكاسب التالية:

١ ـ إنّ الإمام عليه السلام يسير في سياسته بتطبيق العدل بجميع رحابه ومفاهيمه بين النّاس، ويحكم فيهم بما أنزل الله تعالى في كتابه.

٢ ـ إنّ الإمام يورد المسلمين على النهج الواضح، ويقودهم إلى شاطئ الأمن والسلام، ويوزّع عليهم خيرات الله تعالى، فلا يختصّ بها فريق دون فريق، فلا ظلّ في حكمه للبؤس والفقر والحرمان.

٣ ـ إنّ الإمام عليه السلام يقوم بدور إيجابي في نصح المسلمين، ويهديهم للتي هي أقوم.

٤ ـ إنّ الإمام لو تقلّد الحكم لحمل نفسه رهقاً، فلا يتحلّى من الدنيا بطائل، ولا يستأثر بأي شيء من أموال المسلمين، وفعلاً لمّا آلت إليه أُمور المسلمين

بعد مقتل عثمان بن عفّان عميد الأمويّين شاهد النّاس من سيرته ما لا يوصف من التنكّر لذاته ، فقد اكتفى من دنياه بطمريه ، ومن طعامه بقرصيه ، وما وضع لبنة على لبنة ، وواسى الفقراء في فقرهم وهو القائل :

«أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ : هٰذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ وَجُشُوبَةِ الْعَيْشِ !» .

ولم يحفل التأريخ الإسلامي بحاكم مثله في زهده وورعه وتحرّجه في الدين ، وقد بقيت سيرته من أروع الأمثلة للحكم الإسلامي .

٥ ـ إنّ الإمام لو تولّى أُمور المسلمين بعد وفاة أخيه رسول الله ﷺ لانتشرت الخيرات ، وعمّت البركات ، وأكل النّاس من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم ، ولكنّ المسلمين فاتتهم هذه السعادة ، فقد استبدلوا الذُّنابى بالقوادم ، والعجز بالكاهل ، وتركوا أعظم مصلح اجتماعي في الأرض .

ثالثاً : إنّ بضعة الرسول ﷺ أنبأت عن الكوارث والخطوب التي تعتري الأُمّة من جرّاء انحرافهم عن الخطّ الرسالي وأنّها سوف تمنى بما يلي :

١ ـ انتشار الفتن بين المسلمين ، وانشقاق صفوفهم .

٢ ـ التنكيل والارهاق من السلطات الجائرة للمسلمين التي سوف تحكمهم بغير ما أنزل الله تعالى .

٣ ـ استبداد الظالمين بشؤونهم .

وفعلاً ، فقد تحقّقت هذه النتائج الخطيرة على مسرح الحياة الإسلاميّة ، فإنّه لم يكن ينتهي حكم الخلفاء القصير الأمد حتّى استولى على المسلمين معاوية بن أبي سفيان ، فأمعن في ظلمهم وإرهاقهم ، وولّى عليهم عصابة من الارهابيّين ،

أمثال: سمرة بن جندب، وبسر بن أرطاة، وزياد بن أبيه، ففي عهده بالغ في الجور والظلم حتّى كان النّاس بعضهم يقول لبعض: «انج سعد فقد هلك سعيد»، وتولّى بعد معاوية ابنه يزيد، فاقترف كلّ ما حرّم الله تعالى، فأباد العترة الطاهرة، وأباح مدينة الرسول ﷺ، وأحرق الكعبة، وهكذا أخذت الخلافة تنتقل من ظالم إلى آخر، سواء في العهد الأموي أو العبّاسي، حتّى قال الشاعر في ظلم ولاة بني العبّاس:

لا ينقَضي الجورُ وعَلىٰ　　　الأُمّةِ والٍ من آلِ عبّاسِ

لهذه الأسباب دعت بضعة رسول الله ﷺ المسلمين للإطاحة بحكومة أبي بكر، وإرجاع الخلافة إلى وصيّ رسول الله ﷺ وباب مدينة علمه.

الاجراءات المؤسفة

واتّخذ أبو بكر الاجراءات المؤسفة ضدّ العترة النبويّة التي كانت تشكّل خطراً على حكومته، وقد استهدف سيّدة نساء العالمين زهراء الرسول عليها السلام بالذات، فقابلها بكلّ جفوة، ومن بين ما جرى عليها منه:

١ ـ التهديد بإحراق دار فاطمة عليها السلام

وتسالم المؤرّخون والرواة على تهديد سيّدة النساء بإحراق دارها، ومن هؤلاء المؤرّخين:

الطبري

نقل الطبري أنّ عمر بن الخطّاب أتى منزل عليّ عليه السلام وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال:

« والله لأحرقن عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة » ، فخرج عليه الزبير مصلتاً سيفه ، فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه منه[١].

ابن عبد ربّه

قال ابن عبدربّه : «الذين تخلّفوا عن بيعة أبي بكر عليّ والعبّاس والزبير وسعد بن عبادة ، أمّا عليّ والعبّاس والزبير فقعدوا في بيت فاطمة حتّى بعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطّاب ليخرجوا من بيت فاطمة ، وقال له : «إن أبوا فقاتلهم» ، فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار ، فلقيته فاطمة فقالت :

« **يابْنَ الْخَطّابِ ، أَجِئْتَ لِتُحْرِقَ دارَنا ؟** » .

قال : «نعم ، أو تدخلوا بما دخلت فيه الأُمّة »[٢].

ابن أبي الحديد

قال ابن أبي الحديد : جاء عمر إلى بيت فاطمة عليها السلام في رجال من الأنصار ونفر قليل من المهاجرين فقال :

« والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ إلى البيعة أو لأحرقنّ الدار عليكم »[٣].

الشهرستاني

نقل الشهرستاني عن النظام أنّ عمر كان يصيح : احرقوا دارها بمن فيها ، وما كان في الدار غير عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام[٤].

---

(١) تاريخ الطبري : ١٩٨/٣ .

(٢) العقد الفريد : ١٢/٥ .

(٣) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ١٢٤/١ .

(٤) الملل والنحل : ٥٦/١ .

كحّالة

قال عمر رضا كحّالة: تفقّد أبو بكر قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليّ بن أبي طالب، كالعباس والزبير وسعد بن عبادة، وقد قعدوا في بيت فاطمة عليها السلام، فبعث أبو بكر عمر بن الخطّاب، فجاءهم عمر فناداهم وهم في دار فاطمة عليها السلام، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال:

«والذي نفس عمر بيده لتخرجنَّ أو لأحرقنّها على من فيها».

فقيل له:

«يا أبا حفص، إنّ فيها فاطمة».

قال: «وإنْ»[١].

المسعودي

ذكر المسعودي أنّ العبّاس صار إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، فأقام أمير المؤمنين ومن معه من شيعته في منزله بما عهد إليه رسول الله صلى الله عليه وآله، فتوجّهوا إلى منزله فهجموا عليه، وأحرقوا بابه، واستخرجوه منه كُرهاً، وضغطوا سيّدة النساء بالباب[٢].

هؤلاء بعض المؤرّخين الذين ذكروا هذا الحادث المؤلم الذي انتهكت فيه حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله في بضعته، وقد غاب عنهم أنّ هذا البيت هو بيت النبوّة الذي انطلقت منه كلمة التوحيد، والذي كان يقف عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ستّة أشهر، ويتلو قول

(١) أعلام النساء: ١١٤/٤.

(٢) إثبات الوصيّة: ١٢٣.

الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[١].

العصابة التي اقتحمت بيت الزهراء عليها السلام

أمّا الذين استعان بهم عمر على الهجوم على آل رسول الله صلى الله عليه وآله، فهم:

١ ـ أُسيد بن حضير

فقد حمل الحطب لإحراق بيت النبوّة ومركز الوحي والعلم في الإسلام[٢].

٢ ـ محمّد بن مسلمة الخزرجي

وكان شديد النصب للإمام، وقد اعتزل الخوارج معه، ومن المساهمين في حرق بيت الزهراء عليها السلام[٣].

٣ ـ المغيرة بن شعبة

المنافق الضالّ، ساهم في حرق بيت النبوّة واعتدى على سيّدة نساء العالمين[٤].

٤ ـ قنفذ

وهو ابن عمير التميمي مولى أبي بكر ضرب سيّدة النساء بالسوط، وساهم في حرق دار الصدّيقة.

وكان عمر يكنّ له الولاء، فقد أخذ من عمّاله نصف أموالهم سوى قنفذ،

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٢) شرح النهج: ٦/٤٧.

(٣) الإصابة: ٣/٣٨٣.

(٤) السقيفة / سليم بن قيس: ١٣٤.

فلم يغرمه، وشكر له مساهمته في بيعة أبي بكر.

٥ ـ بشير بن سعد الخزرجي

فهو من المهاجمين لبيت الزهراء عليها السلام، وكان منحرفاً عن الإمام وابنه النعمان بن بشير والي الكوفة في أيّام يزيد بن معاوية.

هؤلاء بعض الذين اقتحموا دار سيّدة نساء العالمين بقيادة عمر بن الخطّاب وأمر أبي بكر.

ندم أبي بكر

وندم أبو بكر كأشدّ ما يكون الندم على ما اقترفه من الهجوم على دار سيّدة نساء العالمين، فقد قال في مرضه الذي توفّي فيه:

«إنّي لاآسى على شيء من الدنيا إلّا على ثلاث فعلتهنّ، وددت أنّي تركتهنّ»، وكان من هذه الثلاثة قوله:

«فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء»(١).

وقال مرّة أُخرى: «إنّي لاآسى على شيء إلّا على ثلاث: وددت أنّي لم أفعلهنّ: وددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة وتركته، وإن أُغلق على الحرب»(٢).

لقد كانت نفسه غير آمنة ولا مطمئنّة بما أقدم عليه من الهجوم على دار بضعة الرسول صلى الله عليه وآله، فقد ظلّ ذلك يراوده بأسى وحزن في اللحظات الأخيرة من حياته.

---

(١) تاريخ الطبري: ٢/٦١٩. ميزان الاعتدال: ٢/٢١٥. كنز العمّال: ٥/٦٣١.

(٢) لسان الميزان: ٤/١٨٩.

٢ ـ إسقاط الجنين

إنّ ما يحزّ في نفس كلّ مسلم الاعتداء الصارخ على بضعة الرسول ﷺ في إسقاط جنينها الذي سمّاه رسول الله ﷺ بالمحسن، وهو ممّا أجمع الرواة على ذكره، ونحن نذكر بعض النصوص التأريخية من دون أن نعلّق عليها:

ابن حجر

قال ابن حجر العسقلاني في ترجمة أحمد بن محمّد بن السري بن يحيى بن دارم المحدّث أبو بكر الكوفي، قال محمّد بن أحمد الكوفي الحافظ بعد أن أرّخ موته:

«كان مستقيم الأمر عامّة دهره، ثمّ في آخر أيّامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب، حضرته ورجل يقرأ عليه: إنّ عمر رفس فاطمة حتّى أسقطت بمحسن»[١].

الشهرستاني

روى الشهرستاني عن إبراهيم بن سيّار، أنّ عمر ضرب فاطمة حتّى ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح: «احرقوا دارها بمن فيها»[٢].

المسعودي

قال المسعودي: «وضغطوا سيّدة النساء بالباب حتّى أسقطت محسناً»[٣].

الذهبي

روى الذهبي بسنده عن محمّد بن أحمد بن حمّاد الكوفي... قال: «حضرته

---

(١) لسان الميزان: ١/٢٦٨.

(٢) الملل والنحل: ١/٥٧.

(٣) إثبات الوصيّة: ١٤٣.

ورجل يقرأ عليه أنّ عمر رفس فاطمة حتّى أسقطت بمحسن »[١].

ابن قتيبة

قال ابن قتيبة: «إنّ محسناً فسد من زخم ـ أي دفع ـ قنفذ العدوي »[٢].

الصفدي

ذكر الصفدي ما نصّه: «إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتّى ألقت المحسن »[٣].

الطبري

قال الطبري: «وكان سبب وفاتها ـ أي سيّدة النساء ـ أنّ قنفذ مولى الرجل لكزها بنعل السيف بأمره فأسقطت محسناً، ومرضت من ذلك مرضاً شديداً »[٤].

الطبرسي

روى الطبرسي احتجاج الإمام الزكي الحسن عليه السلام على عصابة من أعداء أهل البيت فيهم المغيرة بن شعبة، قال له الإمام:

« وَأَمَّا أَنْتَ يا مُغِيرَةُ، فَإِنَّكَ للهِ عَدُوٌّ، وَلِكِتابِهِ نابِذٌ، وَلِنَبِيِّهِ مُكَذِّبٌ، وَأَنْتَ الزّانِي، وَقَدْ وَجَبَ عَلَيْكَ الرَّجْمُ، وَأَنْتَ الَّذِي ضَرَبْتَ فاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله حَتّىٰ أَدْمَيْتَها، وَأَلْقَتْ ما فِي بَطْنِها، اسْتِذْلالاً مِنْكَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله،

---

(١) ميزان الاعتدال: ١/١٣٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣/٣٥٨.

(٣) الوافي بالوفيات: ٥/٣٤٧.

(٤) دلائل الإمامة: ١٣٤، ورواه عنه في بحار الأنوار: ٤٣/١٧٠.

وَمُخالَفَةً مِنْكَ لِأَمْرِهِ، وَانْتِهاكاً لِحُرْمَتِهِ، وَقَدْ قالَ لَها رَسُولُ اللهِ ﷺ: يا فاطِمَةُ، أَنْتِ سَيِّدَةُ نِساءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

واللهُ مُصَيِّرُكَ إِلَى النّارِ، وَجاعِلٌ وَبالَ ما نَطَقْتَ بِهِ عَلَيْكَ»(١).

المجلسي

روى الشيخ المجلسي عن إرشاد القلوب بسنده عن سيّدة النساء سلام الله عليها أنّها قالت:

«فَأَخَذَ عُمَرُ السَّوْطَ مِنْ يَدِ قُنْفُذٍ - مَوْلىٰ أَبِي بَكْرٍ - فَضَرَبَ بِهِ عَضُدِي، فَالْتَوَى السَّوْطُ عَلىٰ عَضُدِي حَتّىٰ صارَ كَالدُّمْلُجِ، وَرَكَلَ الْبابَ بِرِجْلِهِ فَرَدَّهُ عَلَيَّ وَأَنا حامِلٌ فَسَقَطْتُ لِوَجْهِي، وَالنّارُ تَسْعَرُ وَتَسْفَعُ وَجْهِي، فَضَرَبَنِي بِيَدِهِ حَتّىٰ انْتَثَرَ قُرْطِي مِنْ أُذُنِي، وَجاءَنِي الْمَخاضُ فَأَسْقَطْتُ مُحْسِناً قَتِيلاً بِغَيْرِ جُرْمٍ»(٢).

هذه بعض المصادر التي دوّنت اعتداء القوم على بضعة رسول الله ﷺ وإسقاطها المحسن، وقد اثرت كوكبة من أحاديث أئمّة الهدى عليهم السلام في ذلك.

٣ ـ إسقاط الخمس

من الإجراءات القاسية التي اتّخذها أبو بكر ضدّ العترة الطاهرة أنّه أسقط الخمس عنهم، وهو حقّ مفروض نصّ عليه القرآن الكريم.

---

(١) الاحتجاج: ١/١٣/٤.

(٢) بحار الأنوار: ٣٠/٣٤٨ ـ ٣٤٩.

قال تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهِ ﴾ (١).

وقد أجمع الرواة على أنّ النبيّ ﷺ كان يختصّ بسهم من الخمس، ويخصّ أقاربه بسهم آخر منه، وكانت هذه سيرته إلى أن اختاره الله تعالى لجواره، ولمّا ولي أبو بكر أسقط سهم النبيّ ﷺ وسهم ذوي القربى، ومنع بني هاشم من الخمس، وجعلهم كغيرهم (٢).

وقد أرسلت إليه سيّدة نساء العالمين عليها السلام تسأله أن يدفع إليها ما بقي من خُمس خيبر، فأبى أن يدفع إليها شيئاً منه (٣)، وقد ترك أهل البيت في ضائقة اقتصاديّة حادّة، فقد حجب عنهم أهمّ مواردهم المعاشية، وترك شبح الفقر ماثلاً فيهم.

ولعلّ السبب في هذا الاجراء لئلا تقوى شوكة الإمام على منازعة أبي بكر، وهذا من ألوان الحصار الاقتصادي الذي تفرضه بعض الدول على خصومها.

٤ ـ تأميم فدك

من الإجراءات القاسية التي اتّخذها أبو بكر ضدّ زهراء الرسول وبضعته تأميمه لفدك، ومصادرته لبيت المال، ونعرض ـ بإيجاز ـ لبعض شؤونها:

موقعها الجغرافي

فدك قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة أيّام، وهي قرية من قرى

(١) سورة الأنفال: الآية ٤١.

(٢) تفسير الكشّاف: ٢/٢٢١ (في تفسير آية الخمس).

(٣) صحيح البخاري: ٣/٣٦. صحيح مسلم: ٢/٧٢.

اليهود بينها وبين خيبر دون مرحلة[١].

فدك ملك للنبيّ صلى الله عليه وآله

أمّا فدك فلم تفتحها قوّة عسكرية ، وهي ممّا أفاء الله تعالى بها على عبده ورسوله في السنة السابعة ، ولم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ليثبت فيها الخمس ، وهي كاملة للنبيّ صلى الله عليه وآله .

إنّ المسلمين لمّا فتحوا حصون خيبر قذف الله تعالى الرعب في قلوب اليهود من أهالي فدك ، فخفّوا مسرعين إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فصالحوه على نصف أراضيهم له ، فكانت فدك خالصة له .

النبيّ صلى الله عليه وآله وهبها لفاطمة عليها السلام

ولمّا صارت فدك تحت قبضة الرسول صلى الله عليه وآله وتصرّفه نزلت عليه الآية : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾[٢] ، فدعا النبيّ صلى الله عليه وآله سيّدة نساء العالمين فأعطاها فدكاً والعوالي ، وقال لها : « **هٰذا قِسْمٌ قَسَمَهُ اللهُ لَكِ وَلِعُقْبِكِ** »[٣] .

وتصرّفت فيها سيّدة النساء عليها السلام تصرّف الملّاك في أملاكهم ، ولم يكن لأهل بيت النبوّة عليهم السلام مورد اقتصادي غيرها ، حسبما يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

« **بَلىٰ ، كانَتْ فِي أَيْدِينا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ ما أَظَلَّتْهُ السَّماءُ** » .

وقد بادر أبو بكر إلى مصادرتها وضمّها إلى بيت المال ، ويعود السبب في ذلك

---

(١) مجمع البحرين : ٥/٢٨٣ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٢٦ .

(٣) شواهد التنزيل : ١/٤٤١ . الدرّ المنثور : ٢/١٥١ . كنزالعمّال : ٢/١٥٨ . روح المعاني : ٥/٥٨ .

إلى إضعاف الإمام اقتصاديّاً، وشلّ حركته.

يقول ابن أبي الحديد:

«سألت عليّ بن الفارقي مدرّس المدرسة العربية ببغداد فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟

نعم.

فَلِمَ لم يدفع إليها أبو بكر فدكاً، وهي عنده صادقة؟

فتبسّم وقال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحرمته وقلّة دعابته، ثمّ قال:

«لو أعطاها اليوم فدكاً بمجرّد دعواها لجاءت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشيء؛ لأنّه يكون قد سجّل على نفسه أنّها صادقة فيما تدّعي كائناً ما كان، من غير حاجة إلى بيّنة ولا شهود»[١].

وعلى أيّ حال، فقد عمدت السلطات الحاكمة بعد حكومة أبي بكر إلى التصرّف فيها حسب الأهواء، فقد وهبها الشيخ عثمان إلى مروان بن الحكم، وكان ذلك من أسباب النقمة عليه[٢]، وبعد هلاك مروان توارثها أبناؤه إلى أن تولّى عمر بن عبدالعزيز فانتزعها من المروانيّين وردّها صدقة[٣].

مطالبة الزهراء عليها السلام بفدك

وبادرت سيّدة نساء العالمين إلى أبي بكر فطالبته بردّ فدك إليها، فطلب منها

---

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ١٩٨/١.

(٢) العقد الفريد: ٢٨٣/٤.

(٣) تاريخ أبي الفداء: ١٦٨/١.

شهوداً على أنّ النبيّ ﷺ قد منحها لها ، فأقامت الشهود على ذلك ، كان منهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والسيّدة الفاضلة اُمّ أيمن ، التي قال لها النبيّ ﷺ : « **إنّها من أهل الجنّة** » ، فكتب لها أبو بكر بردّ فدك إليها ، إلّا أنّ عمراً أخذ الكتاب فبصق فيه وخرّقه[١].

وقيل إنّ أبا بكر لم يحفل بشهادة الإمام لأنّه يجرّ النّار إلى قرصه ، وأنّ اُمّ أيمن امرأة أعجمية لا تفصح.

وعلّق المتكلّمون من الشيعة على هذه الحادثة بعدّة اُمور منها :

أوّلاً : إنّ أبا بكر طلب من سيّدة نساء العالمين إقامة البيّنة على أنّ فدكاً منحها النبيّ لها ، وبحسب القواعد الشرعيّة البيّنة عليه لأنّه المدّعي ، ومع عدم توفّرها عنده فلا حقّ له سوى اليمين عليها عملاً بالقاعدة المشهورة : « البيّنة على المدّعي ، واليمين على المنكر ».

ثانياً : إنّ أبا بكر تجاهل مكانة بضعة رسول الله ﷺ ، فهي سيّدة نساء هذه الاُمّة ، وأنّ الله تعالى يرضى لرضاها ، ويغضب لغضبها ، وقد فرض الله تعالى على المسلمين مودّتها. قال تعالى : ﴿ **قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ** ﴾[٢] ، وكان من مودّتهم لها أنّهم أسقطوا جنينها ، وهجموا على دارها ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وعلى أي حال ، فقد استولى أبو بكر على فدك ، وضمّها إلى ممتلكات الدولة.

فقد خرجت سيّدة النساء عليها السلام وهي تتعثّر بأذيالها من الخيبة ، قد ألمّ بها الأسى

---

(١) الاحتجاج : ١/١٢٢.

(٢) سورة الشورى : الآية ٢٣.

والحزن، وكان الأجدر بأبي بكر أن يرعى عواطفها تكريماً لرسول الله ﷺ، ووفاءً لتضحية أُمّها أُمّ المؤمنين خديجة بكلّ ما تملك للإسلام وهي أثرى قريش في حينها.

يقول الإمام الأعظم شرف الدين نضّر الله مثواه:

«فليته ـ أي أبا بكر ـ اتّقى فشل الزهراء في موقفها بكلّ ما لديه من سبل الحكمة، ولو فعل ذلك لكان أحمد في العقبى، وأبعد عن مظانّ الندم، وأنأى عن مواقف اللوم، وأجمع لشمل الأُمّة، وأصلح له بالخصوص.

وقد كان في وسعه أن يربأ بوديعة رسول الله ﷺ ووحيدته عن الخيبة ويحفظها عن أن تنقلب عنه، وهي تتعثّر بأذيالها، وماذا عليه إذا احتلّ محلّ أبيها لو سلّمها فدكاً من غير محاكمة، فإنّ للإمام أن يفعل ذلك بولايته العامّة، وما قيمة فدك في سبيل هذه المصلحة، ودفع هذه المفسدة»[١].

لقد كان أبو بكر باستطاعته أن يفعل الجميل ويقرّ يد بضعة رسول الله ﷺ وسيّدة نساء العالمين على فدك، ولا يقابلها بتلك القسوة التي تركت بصماتها في قلوب المؤمنين.

الخطاب التأريخي للزهراء عليها السلام

وضاقت الدنيا على زهراء الرسول، ووديعته في أُمّته من الاجراءات الصارمة التي اتّخذها أبو بكرها ضدّها، فرأت أن تلقي عليه الحجّة وتحمّله مسؤوليّة ما حدث ضدّها، وفي نفس الوقت تحفّز المسلمين للاطاحة بحكومته.

ولا أكاد أعرف خطاباً بالغ الخطورة في مثل هذا الموقف الحسّاس، فإنّه كان جديراً بأن يؤدّي إلى الانقلاب والإطاحة بحكومة أبي بكر، إلّا أنّه استطاع بما يملك

(١) النصّ والاجتهاد: ٣٧.

من لباقة ودبلوماسيّة أن يسيطر على الموقف ، ويقي حكومته من الانقلاب .

لقد خرجت وديعة النبوّة فلاثت خمارها ، واشتملت بجلبابها ، وأقبلت وبخدمتها حشد من نساء قومها ، تطأ ذيولها ، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ ، حتّى دخلت على أبي بكر وهو في الجامع الأعظم ، وقد أنيطت دونها مُلاءَةٌ ـ وهي الحجاب ـ تكريماً لها ، فأنّت أنّة حسرة وبكاء ، فأجهش القوم بالبكاء ، فقد رأوا في شخصيّتها شخصيّة أبيها الذي برّ بدينهم ودنياهم ، وما أدّوا حقّه تجاه بضعته ووديعته ، ولمّا سكن نشيجهم وهدأت فورتهم ، افتتحت خطابها الخالد بحمد الله تعالى والثناء عليه ، وانحدرت في خطابها كالسيل ، فلم يسمع قبلها ولا بعدها من هو أفصح وأبلغ منها ، وهي في ذلك الوقت في ريعان الشباب ، فقد كان عمرها الشريف لا يتجاوز الثامنة عشرة ، وحسبها أنّها ابنة رسول الله ﷺ الذي أُوتي الحكمة وفصل الخطاب .

وتحدّثت في خطابها عن معارف الإسلام ، وفلسفة تشريعاته ، وعلل أحكامه ، ثمّ عرضت إلى حالة الأُمم قبل أن يشرق عليها نور الإسلام من ضحالة الفكر ، ووهن العقول ، خصوصاً الجزيرة العربيّة التي كانت غارقة في الجهل ، وغارقة في آثام الحياة ، وكانت حياتها الاقتصاديّة بالغة في التردّي ، فالأكثريّة الساحقة كانت تقتاد القدّ وتشرب الطرق ، وكانت على شفا حفرة من النّار ، مذقة الشارب ، ونهزة الطامع ، وقبسة العجلان ، وموطئ الأقدام إلى أن منّ الله تعالى عليها بنبيّه ، فأنقذها من الذلّ والهوان والبؤس والحرمان ، وأقام لها حضارة ومجداً وشموخاً وجعلها في طليعة الأُمم وعياً وحضارة فما أعظم عائدته عليها .

وعرضت سيّدة نساء العالمين في خطابها التأريخي الخالد إلى فضل ابن عمّها وعظيم جهاده في سبيل الله والذبّ عن رسول الله ﷺ ، وكلّما أوقد الأوغاد نار

الحرب عليه انبرى إليهم الإمام فوطأ صماخهم بأخمصه ، وخمد نار حروبهم بسيفه في حين كان المهاجرون من قريش في رفاهية وادعين آمنين لم يكن لهم أي ضلع في نصرة الإسلام والذبّ عنه ، وإنّما كانوا ينكصون عند النزال ، ويفرّون من القتال.

وتصفّحوا في السيرة النبويّة ، فهل تجدون للمهاجرين من قريش وجود يذكر أو اقتحام في ميادين القتال وساحات الحروب ، وإنّما كان العلم البارز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بطل الإسلام ، فهو المجاهد الأوّل في الإسلام.

ومن خطابها أنّ المهاجرين من قريش كانوا يتربّصون بأهل بيت نبيّهم الدوائر ، ويبغون لهم الغوائل ، ويتوقّعون فيهم نزول القواصم.

كما عرضت سيّدة النساء عن أسفها البالغ على ما مني به المسلمون من الزيغ والانحراف عن الخطّ الرسالي ، واستجابتهم الكاملة لدواعي الهوى وحبّ الدنيا الذي هو رأس كلّ خطيئة ، كما تنبّأت صلوات الله عليها إلى ما سيواجهه المسلمون من الأخطار والكوارث نتيجة ما اقترفوه من الأخطاء والبعد عمّا أمر الله تعالى به ورسوله من التمسّك بالعترة الطاهرة التي هي عديلة القرآن العظيم.

وبعد ما أدلت حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه الأُمور عرضت إلى حرمانها المؤسف من إرث أبيها قائلة:

« وَأَنْتُمْ الآنَ تَزْعُمُونَ أَلاّ إِرْثَ لي مِنْ أَبي ، ﴿أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [1]. أَفَلا تَعْلَمُونَ ؟ بَلىٰ قَدْ تَجَلّىٰ لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضّاحِيَةِ أَنّي ابْنَتُهُ . أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، أَأُغْلَبُ عَلىٰ إِرْثِي ؟ ».

---

(١) سورة المائدة : الآية ٥٠.

ثمّ وجّهت خطابها لأبي بكر قائلةً:

« يَابْنَ أَبِي قُحَافَةَ ، أَفِي كِتَابِ اللهِ أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ وَلَا أَرِثُ أَبِي ؟

لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيّاً ، أَفَعلىٰ عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتَابَ اللهِ وَنَبَذْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ إِذْ يَقُولُ: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾(١).

وَقَالَ فِيمَا اقْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيّا إِذْ قَالَ: ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾(٢).

وَقَالَ: ﴿ وأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ ﴾(٣).

وَقَالَ: ﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُم لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾(٤).

وَقَالَ: ﴿ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾(٥).

وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَا حِظْوَةَ لِي ، وَلَا إِرْثَ مِنْ أَبِي ، وَلَا رَحِمَ بَيْنَنا ، أَفَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ مِنْها أَبِي ؟

أَمْ هَلْ تَقُولُونَ: إِنَّ أَهْلَ مِلَّتَيْنِ لَا يَتَوَارَثَانِ ؟ أَوَلَسْتُ أَنا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ ؟

---

(١) سورة النمل: الآية ١٦.

(٢) سورة مريم: الآيتان ٥ و ٦.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٧٥. سورة الأحزاب: الآية ٦.

(٤) سورة النساء: الآية ١١.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٨٠.

أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمِّي ؟».

حكى هذا المقطع من خطابها الخالد أوثق الأدلّة على استحقاقها لميراث أبيها ، فقد احتجّت :

أوّلاً : إنّ الأنبياء كبقيّة النّاس خاضعون للمواريث ، واستندت في ذلك إلى سليمان وداود ويحيى بن زكريا ، فإنّ هؤلاء الأنبياء مثل غيرهم في المواريث ، كما هو صريح الآيات.

ثانياً : استدلّت بعموم آيات المواريث وعموم آية الوصيّة ، وهي شاملة لأبيها ، وخروجه عنها يحتاج إلى مخصّص وهو مفقود ، فيجب الأخذ بالعموم ، وهو حجّة.

ثالثاً : إنّ الذي يخرج من آية المواريث الاختلاف في الدين بأن يكون الأب مسلماً والولد كافراً ، فإنّه لا يرثه ، وهذه الجهة مفقودة في المقام ، فالرسول الأعظم ، وابنته من جوهر الإسلام ، فكيف تمنع من إرثها ، وقد حكمت أبا بكر وليس له أي منفذ يخرج منه ، ثمّ التفتت إليه قائلة :

«فَدُونَكَها مَخْطُومَةً مَرْحُولَةً تَلْقَاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ وَنَشْرِكَ. فَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ ، وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ ، وَالْمَوْعِدُ الْقِيَامَةُ ، وَعِنْدَ السَّاعَةِ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ، وَلَا يَنْفَعُكُمْ إِذْ تَنْدَمُونَ ، وَ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ ، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾.

يا له من تقريع أمضى من السيف ، إنّه المحاكمة أمام العدل الذي لا يفوته ظلم ظالم.

ثمّ وجّهت سيّدة نساء العالمين خطابها إلى الحاضرين تستنهض هممهم للإطاحة

بحكومة أبي بكر قائلة:

«يَا مَعاشِرَ النَّقِيبَةِ[١]، وَأَعْضَادَ الْمِلَّةِ، وَحَضَنَةَ الْإِسْلَامِ، مَا هٰذِهِ الْغَمِيزَةُ[٢] فِي حَقِّي، وَالسِّنَةُ[٣] عَنْ ظُلَامَتِي؟ أَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَبِي يَقُولُ: «الْمَرْءُ يُحفَظُ فِي وُلْدِهِ»، سُرْعَانَ مَا أَحْدَثْتُمْ، وَعَجْلَانَ ذَا إِهَالَةً[٤]، وَلَكُمْ طَاقَةٌ بِمَا أُحَاوِلُ، وَقُوَّةٌ عَلَىٰ مَا أَطْلُبُ وَأُزَاوِلُ؟

أَتَقُولُونَ: مَاتَ مُحَمَّدٌ؟ فَخَطْبٌ جَلِيلٌ اسْتَوْسَعَ وَهْنُهُ[٥]، وَاسْتَنْهَرَ[٦] فَتْقُهُ، وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ، وَأُظْلِمَتِ الْأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ، وَكُسِفَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَانْتَثَرَتِ النُّجُومُ لِمُصِيبَتِهِ».

وأضافت بعد ذلك تحفّز الأنصار على الإطاحة بحكومة أبي بكر قائلةً:

«أَيْهاً بَنِي قَيْلَةَ، أأُهْضَمُ تُراثَ أَبِي وَأَنْتُمْ بِمَرْأىٰ مِنِّي وَمَسْمَعٍ وَمُنْتَدىٰ وَمَجْمَعٍ، تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وَتَشْمَلُكُمُ الْخُبْرَةُ، وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالْأَدَاةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمُ السِّلَاحُ وَالْجُنَّةُ، تُوَافِيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلَا تُجِيبُونَ، وَتَأْتِيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلَا تُغِيثُونَ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفَاحِ، مَعْرُوفُونَ بِالْخَيْرِ

---

(١) النقيبة: الفتية.

(٢) الغميزة: ضعفة في العمل.

(٣) السِّنة: النوم الخفيف.

(٤) إهالة: دسم اللحم، وسرعان في إهالة مثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته.

(٥) الوهن: الخرق.

(٦) استنهر: اتّسع.

وَالصَّلاحِ ، وَالنُّخْبَةُ الَّتِي انْتُخِبَتْ ، وَالْخِيَرَةُ الَّتِي اخْتِيرَتْ لَنا أَهْلَ الْبَيْتِ .

قَاتَلْتُمُ الْعَرَبَ ، وَتَحَمَّلْتُمُ الْكَدَّ وَالتَّعَبَ ، وَنَاطَحْتُمُ الْأُمَمَ ، وَكَافَحْتُمُ الْبُهَمَ ، فَلَا نَبْرَحُ[١] وَتَبْرَحُونَ ، نَأْمُرُكُمْ فَتَأْتَمِرُونَ ، حَتّىٰ إِذَا دَارَتْ بِنَا رَحَى الْإِسْلَامِ ، وَدَرَّ حَلَبُ الْأَيَّامِ ، وَخَضَعَتْ نُعْرَةُ الشِّرْكِ ، وَسَكَنَتْ فَوْرَةُ الْإِفْكِ ، وَخَمَدَتْ نِيرَانُ الْكُفْرِ ، وَهَدَأَتْ دَعْوَةُ الْهَرَجِ ، وَاسْتَوْسَقَ نِظَامُ الدِّينِ ، فَأَنَّىٰ جِرْتُمْ[٢] بَعْدَ الْبَيَانِ ، وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الْإِعْلَانِ ، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الْإِقْدَامِ ، وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الْإِيْمَانِ ؟

﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٣]» .

ولمّا رأت سيّدة نساء العالمين وهن الأنصار وتخاذلهم ، وعدم استجابتهم لنداء الحقّ وجّهت إليهم اللوم والعتاب قائلة :

«أَلَا وَقَدْ قُلْتُ مَا قُلْتُ هٰذا عَلىٰ مَعْرِفَةٍ مِنِّي بِالْخَذْلَةِ الَّتِي خَامَرَتْكُمْ ، وَالْغَدْرَةِ الَّتِي اسْتَشْعَرَتْهَا قُلُوبُكُمْ ، وَلٰكِنَّهَا فَيْضَةُ النَّفْسِ ، وَنَفْثَةُ الْغَيْظِ ، وَخَوَرُ الْقَنَا ، وَبَثَّةُ الصُّدُورِ ، وَتَقْدِمَةُ الْحُجَّةِ ، فَدُونَكُمُوهَا فَاحْتَقِبُوهَا[٤] دَبِرَةَ الظَّهْرِ ، نَقِبَةَ الْخُفِّ ، بَاقِيَةَ الْعَارِ ، مَوْسُومَةً بِغَضَبِ اللهِ الْجَبَّارِ ، وَشَنَارِ الْأَبَدِ ، مَوْصُولَةً

---

(١) لا نبرح : لا نزال .

(٢) جرتم : أي ملتم .

(٣) سورة التوبة : الآية ١٣ .

(٤) احتقبوها : أي احملوها على ظهوركم .

بِنَارِ اللهِ الْمُوقَدَةِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ، فَبِعَيْنِ اللهِ مَا تَفْعَلُونَ ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ ، وَأَنا ابْنَةُ نَذِيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ، ﴿فَاعْمَلُوا إِنَّا عَامِلُونَ ، وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ »[١].

وانتهى هذا الخطاب الخالد الذي أعرب عن عظمة سيّدة النساء ومدى قدراتها العلميّة التي هي امتداد لعلوم أبيها مفجّر العلم والحكمة في الأرض.

وقد وجلت من خطابها القلوب ، وخشعت الأبصار ، وبخعت النفوس ، وأوشك الحقّ أن يرجع إلى نصابه ، إلّا أنّ أبا بكر استطاع بقابليّاته الدبلوماسيّة أن يسيطر على الموقف ، فقد أظهر لها المزيد من الاحتفاء والتكريم ، وقدّمها على ابنته عائشة إلى غير ذلك من الأعذار التي تسلّح بها ، وكان منها أنّه لم يتّخذ معها الاجراءات الصارمة عن رأيهالخاصّ ، وإنّما كان عن رأيالمسلمين واتّفاقهم ، والحالأنّه لاضلع للمسلمين في ذلك ، فقد تخلّف عن بيعته أعلام المسلمين الذين سنذكرهم ، كما كره بيعته معظم الأنصار ، وكانت بيعته فلتة على حدّ تعبير وزيره عمر بن الخطّاب.

شكوى الزهراء عليها‌السلام لأبيها

وقفلت بضعة الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله وسيّدة نساء العالمين إلى مرقد أبيها تشكو إليه ما ألمّ بها من الخطوب التي عانتها من القوم قائلة له بهذه الأبيات الحزينة :

قَدْ كانَ بَعْدَكَ أَنْباءٌ وَهَنْبَثَةٌ ... لَوْ كُنْتَ شاهِدَها لَمْ تَكثُرِ الْخُطَبُ

---

(١) بلاغات النساء : ٤١٤. شرح نهج البلاغة : ١٦/٢١٠. بحار الأنوار : ٢٩/٢١٦. وقد ذكرنا نصّ خطابها الشريف مع التعليق عليه في كتابنا حياة سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها‌السلام ، وذكرت قطعاً من خطابها في لسان العرب : ٢/٢٣١ ، والنهاية في غريب الحديث : ٤/٢٧٣ ، وكحالة في أعلام النساء : ٤/١١٦ ـ ١١٩ ، ومروج الذهب : ٢/٣١١.

إنّـا فَـقَدْناكَ فَـقْدَ الْأَرْضِ وابِـلَها وَاخْتَلَّ قَوْمُك فَاشْهَدْهُمْ وَلَا تَـغِبُ
أَبْدَتْ رِجالٌ لَنا نَـجْوىٰ صُـدُورِهُمُ لَمّا مَضَيْتَ وَحـالَتْ دُونَكَ التُّـرُبُ
تَـجَهَّمَتْنا رِجــالٌ وَاسْــتُخِفَّ بِـنا لَمّا فُقِدْتَ وَكُـلُّ الْإِرْثِ مُـغْتَصَبُ

ويلمس في هذه الأبيات مدى لوعتها وحزنها العميق على ما جرى عليها من النكبات بعد رحيل أبيها إلى حظيرة القدس ، فإنّ القوم عاملوها بكلّ قسوة وعنف ، ولم يراعوا حقّ نبيّهم التي هي أوْلى بالرعاية من كلّ شيء.

أضواء على موقف الإمام

والشيء الذي يدعو إلى التساؤل هو أنّ الإمام لم يفتح باب الحرب على حكومة أبي بكر مع هذه الأحداث الدامية التي جرت عليه وعلى بضعة رسول الله ﷺ ، فقد أعرض عن ذلك ، وخلد إلى الاعتزال ، وقد تحدّث الإمام عن بعض الأسباب التي دعته لإلقاء الستار على حقّه ، وهي :

أوّلاً : فقده للقوّة العسكريّة

ولم تتوفّر عند الإمام عليه‌السلام أيّة قوّة عسكريّة يستطيع بها القيام على إعلان الحرب على أبي بكر ، وقد صرّح بذلك في كثير من المناسبات منها :

١ ـ قال عليه‌السلام في خطبته الشقشقيّة :

« وَطَفِقْتُ أَرْتَئي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَىٰ طَخْيَةٍ[1] عَمْيَاءَ ، يَهْرَمُ فيهَا الكَبيرُ ، وَيَشيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّىٰ يَلْقَى رَبَّهُ !

(١) الطخية : الظلمة.

فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَىٰ ، فَصَبَرتُ وَفي العَيْنِ قَذىً . وَفي الحَلْقِ شَجاً(١) **، أرىٰ تُرَاثِيَ نَهْباً »**(٢).

حكى هذا المقطع من خطابه عدم استطاعته على الثورة لأنّه لم تكن عنده قوّة تحميه ولم يكن يأوي إلى ركن شديد لمناهضة أبي بكر عسكريّاً ، فصبر على ما في الصبر من قذى في العين ، وشجا في الحلق .

٢ ـ قال عليه‌السلام :

« فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي ، فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ المَوْتِ ، وَأَغْضَيْتُ عَلَىٰ القَذَىٰ ، وَشَرِبْتُ عَلَىٰ الشَّجَا ، وَصَبَرْتُ عَلَىٰ أَخْذِ الكَظْمِ ، وَعَلَىٰ أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ العَلْقَمِ »(٣).

إنّه لم يكن مع الإمام سوى أُسرته القليلة ، ومن المؤكّد أنّه لو فتح باب الحرب مع أبي بكر لقضي عليها ، بالإضافة إلى ما ستواجهه الأُمّة من النكبات والخطوب .

٣ ـ عدم إجابة الأنصار وغيرهم للأخذ بحقّه ، فقد طاف بسيّدة النساء عليهم يسألهم النجدة ومناهضة أبي بكر ، فكانوا يقولون لبضعة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله :

« يا بنت رسول الله ، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل » .

فردّت عليهم سيّدة النساء :

« أَفَتَدَعونَ تُراثَ رَسولِ اللهِ صلى‌الله‌عليه‌وآله يَخْرُجُ مِنْ دارِهِ إِلىٰ غَيْرِ دارِهِ » .

---

(١) **الشجا** : ما يعرض في الحلق من عظم ونحوه .

(٢) نهج البلاغة : ١/٣١ .

(٣) نهج البلاغة : ١/٦٨ .

فيعتذرون قائلين:

«لو أنّ زوجك سبق إلينا قبل أبي بكر لما عدلنا به».

ويجيبهم الإمام قائلاً:

«أَفَكُنْتُ أَدَعُ رَسولَ اللهِ ﷺ في بَيْتِهِ لَمْ أَدْفِنْهُ، ثُمَّ أَخْرُجُ أُنازِعُ النّاسَ سُلْطانَه!».

وتدعم سيّدة النساء مقالة الإمام قائلة:

«ما صَنَعَ أَبو الحَسَنِ إلَّا ما كانَ يَنْبَغي لَهُ، وَصَنَعوا ما اللهُ حَسيبُهُمْ عَلَيْهِ»[١].

إنّ الإمام لم تكن عنده أيّة قوّة عسكريّة حتّى يخوض الحرب مع أبي بكر، ولو كانت عنده لما جاز له السكوت.

الزهراء عليها السلام مع معاذ بن جبل

وقصدت سيّدة نساء العالمين معاذ بن جبل تطلب نصرته، فقالت له:

«جِئْتُكَ مُسْتَنْصِرَةً، وَقَدْ بايَعْتَ رَسولَ اللهِ ﷺ عَلىٰ أَنْ تَنْصُرَهُ وَذُرِّيَّتَهُ، وَتَمْنَعَهُ مِمّا تَمْنَعُ مِنْهُ نَفْسَكَ وَذُرِّيَّتَكَ، وَأَنَّ أَبا بَكْرٍ قَدْ غَصَبَني فَدَكاً، وَأَخْرَجَ وَكيلي مِنْها».

فأجابها:

«معي غيري؟».

«ما أَجابَني أَحَدٌ».

---

(١) الإمامة والسياسة: ١٢/١.

فردّها قائلاً:

«فأين أبلغ أنا من نصرتك ؟».

فغضبت وقالت له:

«**لَأُنازِعَنَّكَ الْفَصيحَ مِنْ رَأْسي حَتّىٰ أَرِدَ عَلىٰ رَسولِ اللهِ...**».

وخرجت مهضومة قد ملئ قلبها أسى وحسرات ، وأقبل ابـنه الشريـف فـقال لأبيه:

«ما جاء بابنة محمّد ؟».

«طلبت منّي نصرتها على أبي بكر».

«ما أجبتها ؟».

«ما يبلغ من نصرتي وحدي».

«أبيت أن تنصرها !».

«نعم».

«أي شيء قالت لك».

«لا كلّمتك الفصيح من رأسي حتّى أرد على رسول الله».

وسار الألم يعصف في قلب ابنه فقال له:

«أنا والله لا كلّمتك الفصيح مـن رأسي حـتّى أرد عـلى رسـول الله إذ لم تجب ابنته»[1].

---

(١) الاختصاص / الشيخ المفيد: ١٨٤.

ثانياً: المحافظة على الإسلام

ومن المؤكّد أنّ الإمام لو فتح باب الحرب على أبي بكر لواجه الإسلام ضربة قاضية ، فإنّ المنافقين وعلى رأسهم أبو سفيان وغيره من الذين وترهم الإسلام من قريش كانوا يترقّبون الفرص لمحق الإسلام وإعادة الجاهلية إلى مسرح الحياة ، والإسلام لم يكن قائماً في نفوس أكثر المسلمين في ذلك الوقت؛ لأنّ الكثيرين منهم أسلموا وهم ما بين شاب وكهل وشيخ ، وروح الجاهليّة كامنة في نفوس بعضهم ، فإذا قامت الحرب فإنّهم سوف يخلعون الإسلام ويرجعون إلى أوثانهم وأصنامهم؛ ولذلك أرادت قريش في مكّة أن تخلع الإسلام وترجع إلى جاهليّتها ، وفيما أعتقد أنّ هذا السبب من أوثق الأسباب التي أدّت إلى سكوت الإمام وإحجامه عن حقّه.

ثالثاً: المحافظة على وحدة المسلمين

وثمّة سبب ثالث دعى الإمام إلى الإحجام والسكوت وهو الحرص على وحدة المسلمين ، وعدم تصدّع شملهم ، وقد أدلى الإمام بذلك حينما عزم القوم على البيعة لعثمان بن عفّان ، قال عليه السلام :

« **لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا** ـأي الخلافة ـ **مِنْ غَيْرِي ؛ وَوَاللهِ ! لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ ؛ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِا جَوْرٌ إلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً ، الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذٰلِكَ وَفَضْلِهِ ، وَزُهْداً فِيما تَنافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ** »[١].

من أجل الحفاظ على وحدة المسلمين وجمع كلمتهم ، سالم الإمام عليه السلام القوم وألقى الستار على ما يكنّه في أعماق نفسه من الألم المبرح على ضياع حقّه. هذه بعض

---

(١) نهج البلاغة: ١/١٢٤.

الأسباب التي أدّت إلى سكوت الإمام وتسلّحه بالصبر.

اعتذار مرفوض

وجهد أبو بكر ووزيره عمر أن يسترضيا سيّدة نساء العالمين، ليضفيا على خلافتهم صفة شرعيّة، فأستأذنا بالدخول عليها، فأبت أن تسمح لهما بذلك، ثمّ استأذنا ثانياً فامتنعت من إجابتهما، فاتّجها صوب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وطلبا منه مقابلة وديعة النبوة، فخفّ إليها وعرض عليها ذلك، فأجابته، فدخلا عليها، فأزاحت بوجهها الشريف عنهما احتقاراً لهما، وتقدّما يطلبان منها الرضا والعفو، فقالت لهما:

«نَشَدْتُكُما اللهَ أَلَمْ تَسْمَعا رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: رِضا فاطِمَةَ مِنْ رِضايَ، وَسَخَطُ فاطِمَةَ مِنْ سَخَطِي، فَمَنْ أَحَبَّ فاطِمَةَ ابْنَتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَرْضىٰ فاطِمَةَ فَقَدْ أَرْضانِي، وَمَنْ أَسْخَطَ فاطِمَةَ فَقَدْ أَسْخَطَنِي؟».

فأجابا بالتصديق قائلَين: «أجل سمعناه يقول ذلك».

فرفعت كفّها إلى السماء وراحت تقول بحرارة وألم:

«فإِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ أَنَّكُما أَسْخَطْتُمانِي وَما أَرْضَيْتُمانِي، وَلَئِنْ لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ لَأَشْكُوَنَّكُما إِلَيْهِ».

والتفتت إلى أبي بكر قائلةً:

«وَاللهِ! لَأَدْعُوَنَّ عَلَيْكَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ أُصَلِّيها»(١).

---

(١) الإمامة والسياسة: ١٤/١. أعلام النساء: ١٢١٤/٣. الإمام عليّ بن أبي طالب / عبدالفتّاح عبدالمقصود: ٢١٨/١.

فما كان أشدّها من كلمات عليهما أخفّ من وقعها ضربات السيوف ، فقد مادت الأرض تحتهما ودارت كالرحى ، وغادرا البيت ولم يفوزا برضاها عليها السلام ، لقد حسبا أنّ أمرهما هيّن ، وأنّها سوف تسمح لهما بذلك ، وما علما أنّ الأمر عظيم غير قابل للرضا والعفو ، ولو كان من الأمور البسيطة لسمحت لهما وديعة الرسول صلى الله عليه وآله بذلك .

الوصيّة الأخيرة لفاطمة عليها السلام

وألمّت الأمراض ببضعة الرسول ووديعته في أُمّته ، فقد طافت بها الآلام ، وأخذت تذوي كما تذوي الأزهار عند الضماء ، ومشى لها الموت سريعاً وهي في شبابها الغضّ الأهّاب ، ولمّا بدت لها طلائع الرحيل أوصت بوصيّتها الخالدة إلى ابن عمّها سيّد الأوصياء وإمام المتّقين ، وكان من بنود وصيّتها :

أوّلاً : أن يواري جثمانها المقدّس في غلس الليل البهيم ، ولا يحضر جنازتها أحد من الذين هضموها ؛ لأنّهم أعداؤها وأعداء أبيها ـ على حدّ تعبيرها ـ .

ثانياً : أن يعفّي موضع قبرها ليكون رمزاً لغضبها غير قابل للشكّ والتأويل عبر الأجيال الصاعدة ، وفي ذلك يقول شريف مكّة :

قُلْ لَنا أَيُّها المُجادِلُ في القولِ	عَنِ الغاصِبَيْنِ إذْ غَصَباها
أهُما ما تَعَمَّدَاها كما قُلتَ	بِظُلْمٍ كَلَّا وَلَا اهْتَضَماها
فلِماذا إذْ جُهِّزَتْ لِلقاءِ اللهِ	عِندَ المَماتِ لم يَحْضُرَاها
شَيَّعَتْ نَعْشَها مَلائِكَةُ الرّحمنِ	رِفقاً بِها وما شَيَّعاها
كان زُهْداً في أَجْرِها أَمْ عِناداً	لِأَبِيها النَّبِيِّ لم يَتْبَعاها
أَمْ لِأَنَّ البَتُولَ أَوْصَتْ بِأَنْ لا	يَشْهَدا دَفْنَها فما شَهِداها

أَمْ أَبُــوها أَسَــرَّ ذاكَ إِلَـيْها   فَـأَطاعَتْ بِـنْتُ النَّـبِيِّ أَبَاها
كيفَ ما شِئْتَ قُلْ كَفاكَ فـهذِي   فِرْيَةٌ قد بَلَغَتَ أَقْصَى مَدَاهـا[١]

وفعلاً نفّذ الإمام عليه السلام وصيّة بضعة الرسول صلى الله عليه وآله ، فـقد قـام في الهـزيع الأخـير من الليل بمواراة الجثمان المقدّس ، ووقف على حافّة القبر يروي ثراه بدموع عينيه ، وهو يقول بلوعة وحزن:

«السَّلامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ عَنِّي ، وَعَنِ اِبْنَتِكَ النّازِلَةِ فِي جِوارِكَ ، السَّرِيعَةِ اللِّحاقِ بِكَ .

قَلَّ يَا رَسُولَ اللهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي ، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي ، إِلَّا أَنَّ فِي التَّأَسِّي لِي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ ، وَفادِحِ مُصِيبَتِكَ ، مَوْضِعَ تَعَزٍّ ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ «فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» .

لَقَدْ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ ، وَاُخِذَتِ الرَّهِينَةُ ! أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ ، وَأَمَّا لَـيْلِي فَمُسَهَّدٌ إِلَىٰ أَنْ يَخْتَارَ اللهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ. وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَظَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَىٰ هَضْمِهَا ، فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ ، وَاسْتَخْبِرْهَا الْـحَالَ ؛ هٰـذَا وَلَـمْ يَـطُلِ الْعَهْدُ ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامَ مُوَدِّعٍ ، لَا قَالٍ وَلَا سَئِمٍ ، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَـلَا عَنْ مَـلَالَةٍ ، وَإِنْ أُقِـمْ فَـلَا عَـنْ سُـوءِ ظَـنٍّ بِـمَا وَعَـدَ اللهُ الصَّابِرِينَ»[٢].

---

(١) المجالس السنيّة: ١٣٧/٢.
(٢) نهج البلاغة: ٢٠٧/٢ ـ ٢٠٨.

وطفحت هذه الكلمات بالحزن العميق ، فـقد رفـع الإمـام شكـواه إلى أخـيه وابن عمّه على عظيم رزيّته بما مني به من فقد سيّدة نساء العالمين ، فقد قلّ عـنها صبره ، وهو الصبور على محن الدنيا .

ويطلب الإمام من رسول الله ﷺ أن يلحّ في السؤال من بضعته لتخبره بما جرى عليها من الظلم والنكبات ، لتحدّثه عنها تفصيلاً .

إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن موقف بضعة الرسول تجاه أبي بكر .

٤ ـ الإمام الحسن عليه السلام

من الناقمين على أبي بكر الإمام الحسن عليه السلام ، وكان في فجر الصبا ، فـقد انـطلق إلى مسجد رسول الله ﷺ وأبو بكر على المنبر يخطب النّاس فصاح به :

«**انْزِلْ عَنْ مِنْبَرِ أَبِي وَاذْهَبْ إِلىٰ مِنْبَرِ أَبِيكَ ...**» .

وبهت أبو بكر ، وأخذته الدهشة ، وساد على الحاضرين الوجـوم ، وتـدارك أبو بكر الموقف ، فقال له بناعم القول :

« صدقت والله إنّه منبر أبيك لا منبر أبي »[١] .

رأى الإمام الحسن عليه السلام وهو في غضون الصبا أنّ المنبر يرقاه جدّه رسول الله ﷺ وهو لا يجد أحداً خليقاً به إلّا أباه أمير الحكمة والبيان الذي نافح عن رسول الله ﷺ في جميع المواقف والمشاهد .

---

(١) الرياض النضرة : ١٣٩/١ . شرح نهج البلاغة : ١٧/٢ . مقتل الحسين / الخوارزمي : ٩٣/١ . المناقب : ١٧٢/٢ ، وفي الصواعق المحرقة : ١٠٥ ، والصبّان : أنّ الإمام الحسن عليه السلام قـال ذلك لأبي بكر ووقع للحسين عليه السلام مثل ذلك مع عمر .

ناقمون ومحتجّون

ونقم على أبي بكر جمهرة من أعلام الإسلام في استيلائه على الحكم مع وجود الإمام بطل الإسلام، والفقيه والعالم والزاهد، فهو الأوْلى بمنصب الحكم؛ لأنّه أخو النبيّ ﷺ وأبو سبطيه وختنه على ابنته سيّدة نساء العالمين؛ ولأنّ النبيّ أخذ له البيعة في غدير خم، وقال:

«مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»، ولأنّه قال له: **«أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسىٰ...»**.

وعلى أي حال، فقد أنكر كوكبة من الصحابة على أبي بكر تقمّصه للخلافة، كان منهم:

١ ـ سلمان الفارسي

أمّا سلمان الفارسي فقد عنى به الرسول ﷺ فألحقه بأهل بيته، فقال:

«سَلمانُ مِنّا أَهْلَ الْبَيْتِ»، **«لا تَقولوا: سَلْمانَ الْفارِسي وَلكِنْ قولوا: سَلْمانَ الْمُحَمَّدي»**.

وحرّم عليه الصدقة كما حرّمها على أهل بيته، فقال ﷺ:

«الصَّدَقَةُ حَرامٌ عَلىٰ سَلْمان».

وقد احتجّ على أبي بكر وطالبه بالاستقالة من منصبه قائلاً له:

«يا أبا بكر، إلى من تسند أمرك إذا نزل بك ما لا تعرفه؟ وإلى مَن تفزع إذا سئلت عمّا لا تعلمه، وما عذرك في تقدّم مَن هو أعلم منك ـ يعني الإمام أمير المؤمنين ـ وأقرب إلى رسول الله ﷺ، وأعلم بتأويل كتاب الله تعالى

وسنّة نبيّه، ومَن قدّمه النبيّ ﷺ في حياته، وأوصاكم به عند وفاته، فنبذتم قوله، وتناسيتم وصيّته، وأخلفتم الوعد، ونقضتم العهد، وحللتم العقد الذي كان عقده عليكم من النفوذ تحت راية أُسامة بن زيد»[١].

وفي نصيحة سلمان لأبي بكر دعوة إلى الحقّ، ودعوة إلى جمع الكلمة، ودعوة إلى إسناد الأمر إلى من هو أعلم من في الاُمّة، وهو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ ـ عمّار بن ياسر

وهو الطيّب ابن الطيّب الذي أبلى في الله بلاءً حسناً، وكان معروفاً من بين الصحابة بنكران الذات، والتفاني في الحقّ، ولمّا رأى الخلافة قد تقلّدها أبو بكر اندفع إلى الإنكار على الذين بايعوه من المهاجرين وغيرهم قائلاً:

«يا معاشر قريش، ويا معاشر المسلمين، إن كنتم علمتم، وإلّا فاعلموا أنّ أهل بيت نبيّكم أوْلى به، وأحقّ بإرثه، وأقوم بأُمور الدين، وآمن على المؤمنين، واحفظ لملّته، وأنصح لأُمّته، فمروا صاحبكم فليردّ الحقّ إلى أهله، قبل أن يضطرب حبلكم، ويضعف أمركم، ويظهر شقاقكم، وتعظم الفتنة بكم، وتختلفون فيما بينكم، ويطمع فيكم عدوّكم، فقد علمتم أنّ بني هاشم أوْلى بهذا الأمر منكم، وعليّ أقرب إلى نبيّكم منكم، وهو من بينهم وليّكم بعهد الله ورسوله، وفرق ظاهر قد عرفتموه، في حال بعد حال، عند سدّ النبيّ ﷺ أبوابكم التي كانت إلى المسجد كلّها غير بابه، وإيثاره إيّاه بكريمته فاطمة دون ساير من خطبها إليه منكم، وقوله ﷺ: «**أنا مَدينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بابُها، وَمَنْ أَرادَ الْحِكْمَةَ فَلْيَأْتِها مِنْ بابِها**»، وأنّكم جميعاً مضطرّون فيما أشكل عليكم من أُمور دينكم إليه، وهو مستغنٍ عن كلّ

---

(١) الاحتجاج / الطبرسي: ١/٩٩ و ١٠٠.

أحد منكم، إلى ما له من السوابق التي ليست لأفضلكم عند نفسه، فما بالكم تحيدون عنه؟ وتبتزّون عليّاً حقّه، وتؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، بئس للظالمين بدلاً.

أعطوه ما جعله الله له، ولا تولّوا عنه مدبرين، ولا ترتدّوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين»[١].

لقد كانت دعوة عمّار حافلة بالدعوة إلى الصالح العامّ وإبعاد الأُمّة عن الفتن والأحداث، فقد دعا إلى تسليم القيادة العامّة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي خصّه رسول الله صلى الله عليه وآله بالفضائل فجعله باب مدينة علمه، فكيف يعدل عنه إلى مَن لا يساويه في مواهبه وعبقريّاته.

٣ ـ أبو ذرّ الغفاري

أمّا أبو ذرّ فهو من أعلام الإسلام، وصوت العدالة الاجتماعيّة، وفي طليعة المناهضين للحكم الأموي الذي اتّخذ مال الله دولاً، وعباده خولاً، وقد نقم على القوم لإقصائهم الإمام عن الخلافة، فقال مخاطباً للمهاجرين والأنصار:

«أمّا بعد يا معشر المهاجرين والأنصار، لقد علمتم وعلم خياركم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**الْأَمْرُ لِعَلِيٍّ مِنْ بَعْدِي ثُمَّ لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، ثُمَّ فِي أَهْلِ بَيْتِي مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ**»، فطرحتم قول نبيّكم، وتناسيتم ما أوعز إليكم، واتّبعتم الدنيا، وتركتم نعيم الآخرة الباقية التي لا يهدم بنيانها، ولا يزول نعيمها، ولا يحزن أهلها، ولا يموت سكانها بالحقير التافه الفاني الزائل، وكذلك الأُمم التي قبلكم التي كفرت بعد أنبيائها بدّلت وغيّرت، حذو القذّة بالقذّة، والنعل بالنعل، فعمّا قليل تذوقون

(١) الاحتجاج / الطبرسي: ١٠٢/١.

وبال أمركم، وما الله بظلّام للعبيد...»[١].

حكى خطاب هذا الثائر العظيم ما عهد به النبيّ صلى الله عليه وآله لأُمّته من أنّ الأمر من بعده إلى سيّد عترته الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومن بعده إلى سبطيه الحسن والحسين، ومن بعدهما إلى الأئمّة العظام من أبناء الحسين عليه السلام، ولكنّ الأُمّة ما استجابت لدعوة نبيّها، فقد غرّتهم الدنيا، فانحرفوا عن الحقّ، وسيعانون من جرّاء ذلك المصائب والفتن، وفعلاً فقد تحقّق ذلك على مسرح الحياة، فقد سفكت الدماء، وازهقت الأرواح في أيّام الأمويّين والعبّاسيّين، الذين عاثوا في الأرض فساداً، فأشاعوا الجور والظلم، وأغرقوا البلاد بالجور، وأرغموا المسلمين على ما يكرهون.

٤ ـ المقداد

أمّا المقداد فهو من أعلام الإسلام، ومن عيون أصحاب الإمام عليه السلام، وقد نقم على أبي بكر، وخاطبه بعنف قائلاً له:

«يا أبا بكر، ارجع عن ظلمك، وتب إلى ربّك، والزم بيتك، وابكِ على خطيئتك، وسلّم الأمر إلى صاحبه الذي هو أوْلى به منك، فقد علمت ما عقده رسول الله صلى الله عليه وآله في عنقك من بيعته..[٢]، وألزمك بالنفوذ تحت راية أُسامة بن زيد، وهو مولاه، ونبّه على بطلان وجوب هذا الأمر لك ولمن عضدك عليه، بضمّه لكما إلى علم النفاق ومعدن الشنآن والشقاق عمرو بن العاص الذي أنزل الله فيه على نبيّه ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾[٣].

وأضاف بعد ذلك قائلاً:

---

(١) الخصال: ٤٣٢. الاحتجاج: ١/١٠٠.

(٢) أشار بذلك إلى حديث الغدير الذي بايع فيه المسلمون عليّاً بالخلافة.

(٣) سورة الكوثر: الآية ٣.

«اتّق الله ، وبادر بالاستقالة قبل فوتها ، فإنّ ذلك أسلم لك في حياتك وبعد وفاتك ، ولا تركن إلى دنياك ، ولا تغرّنك قريش وغيرها ، فعن قليل تضمحلّ عنك دنياك ، ثمّ تصير إلى ربّك فيجزيك بعملك ، وقد علمت وتيقّنت أنّ عليّ بن أبي طالب هو صاحب الأمر بعد رسول الله ﷺ ، فسلّمه إليه بما جعله الله له ، فإنّه أتمّ لسترك ، وأخف لوزرك ، فقد واللهِ ! نصحت لك إن قبلت نصحي وإلى الله ترجع الأمور»(١).

وقد نصح المقداد أبا بكر ، فلو استقال من منصبه لما عانت الأُمّة الفتن والكوارث والانشقاق.

٥ ـ عتبة بن أبي لهب

ومن الناقمين على أبي بكر عتبة بن أبي لهب ، فقد عبّر عن أساه على إقصاء الإمام بهذه الأبيات :

ما كُنتُ أحسَبُ أنّ الأمرَ منصرفٌ
عَن هاشِمٍ ثمَّ مِنْهُم عنْ أبي حَسَنِ
عن أوّلِ الناسِ إيماناً وسابقةً
وَأعلَمِ الناسِ بالقرآنِ والسُّنَنِ
وآخرِ النَّاسِ عَهْداً بالنبيِّ ومَنْ
جبريلُ عَونٌ لَهُ في الْغُسْلِ وَالْكَفَنِ
مَنْ فيهِ ما فيهِمُ لا يَمتَرونَ بهِ
وَليسَ في القومِ ما فيهِ مِن الْحَسَنِ(٢)

---

(١) الاحتجاج / الطبرسي : ١ / ١٠١.
(٢) تاريخ أبي الفداء : ١٥٩/١.

حكت هذه الأبيات عن لوعة عتبة وأساه على إقصاء الخلافة عن ابن عمّه الإمام الذي هو أوّل النّاس إسلاماً وإيماناً ، وأعلمهم بكتاب الله تعالى وسنّة نبيّه ، وآخرهم عهداً به ، وأنّ المزايا الكريمة والصفات الرفيعة الماثلة فيه لا توجد عند غيره من الصحابة ، فكيف أُقصي هذا العملاق العظيم عن الخلافة ؟

٦ ـ أبو أيوب الأنصاري(١)

أبو أيّوب من ألمع أصحاب الإمام ، شهد معه مشاهده كلّها ، وهو من المؤمنين بأنّ الإمام أوْلى بالخلافة من غيره(٢) ، وقد اندفع إلى الانكار على أبي بكر فقال له ولحزبه: «اتّقوا الله عباد الله في أهل بيت نبيّكم ، وردّوا إليهم حقّهم الذي جعله الله تعالى لهم ، فقد سمعتم مثل ما سمع اخواننا في مقام بعد مقام لنبيّنا ﷺ ، ومجلس بعد مجلس يقول: «**أَهْلُ بَيْتِي أَئِمَّتُكُمْ بَعْدِي**».

ويومئ إلى عليّ ، ويقول: «**هذا أَمِيرُ الْبَرَرَةِ ، وَقاتِلُ الْكَفَرَةِ ، مَخْذُولٌ مَنْ خَذَلَهُ ، مَنْصُورٌ مَنْ نَصَرَهُ ، فَتوبُوا إِلَى اللهِ مِنْ ظُلْمِكُم إِيّاهُ ، إِنَّ اللهَ تَوّابٌ رَحِيمٌ** ،

---

(١) أبو أيّوب : اسمه خالد بن زيد الخزرجي ، شهد العقبة وبدراً وسائر المشاهد ، وعليه نزل النبيّ ﷺ حين قدم المدينة ، وشهد مع الإمام مشاهده كلّها ، وكان في واقعة النهروان يحمل راية الأمان لمن خرج من معسكر الخوارج وانضمّ لمعسكر الإمام ، وكانت له كلمات وخطب حماسيّة رائعة يحثّ فيها الجماهير على مناصرة الإمام عليه السلام .

وفد أبوه زيد على رسول الله ﷺ فقال له : يا رسول الله ، أوصني ، فقال له : «**أُوصيك بخمس : باليأس عمّا في أيدي النّاس فإنّه الغنى ، وإيّاك والطمع فإنّه الفقر الحاضر ، وصلِّ صلاة مودّع ، وإيّاك وما تعتذر منه ، وأحبّ لأخيك ما تحبّ لنفسك...**».

توفّي في القسطنطينيّة في زمن يزيد بن معاوية ، جاء ذلك في الكنى والألقاب : ١٣/١.

(٢) الكنى والألقاب : ١١/١.

وَلَا تَتَوَلَّوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ »[١].

وفي هذا الخطاب دعوة إلى الحقّ ودعوة إلى وحدة المسلمين وجمع كلمتهم إلّا أنّ القوم أعاروا خطابه أُذناً صمّاء.

٧ ـ أُبيّ بن كعب[٢]

أمّا أُبيّ بن كعب الأنصاري، فهو سيّد القرّاء، ومن أصحاب العقبة الثانية، شهد مع النبيّ ﷺ المشاهد كلّها، وكان عمر يسمّيه سيّد المسلمين[٣]، وقد أنكر على أبي بكر تقمّصه للخلافة قائلاً له:

« يا أبا بكر، لا تجحد حقّاً جعله الله لغيرك، ولا تكن أوّل من عصى رسول الله ﷺ في وصيّه وصفيّه، وصدف عنه أمره، اردد الحقّ إلى أهله تسلم، ولا تتماد في غيّك فتندم، وبادر الإنابة يخفّ وزرك، ولا تختصّ بهذا الأمر الذي لم يجعله الله لك، فتلقى وبال عملك، فعن قليل تفارق ما أنت فيه، وتصير إلى ربّك فيسألك عمّا جنيت، وما ربّك بظلّام للعبيد »[٤].

---

(١) الاحتجاج: ١/١٠٣.

(٢) أُبي بن كعب الأنصاري النجاري، سيّد القرّاء، ومن أصحاب العقبة الثانية، شهد بدراً والمشاهد كلّها مع النبيّ ﷺ، وكان من كتّاب الوحي، ومن كتّاب رسائل النبيّ ﷺ، قال له النبيّ: **« يا أَبا الْمُنْذِرِ، أَيّ آيَة مَعَكَ في كِتابِ اللهِ تَعالىٰ أَعْظَم ؟ »**، فقال: **﴿ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾** [سورة البقرة: الآية ٢٥٥]، فضرب النبيّ ﷺ صدره، وقال له: **« ليهنك العلم يا أبا المنذر »**، وكان من فقهاء الصحابة، قال النبيّ ﷺ في حقّه: **« اقرأ أُمّتي أُبي »** وكان عمر يسمّيه سيّد المسلمين، توفّي في خلافة عثمان بن عفّان سنة (٣٢هـ) على قول، وقيل: سنة (١٩)، وقيل: سنة (٢٢) جاء ذلك في الإصابة: ١/٣١ ـ ٣٢.

(٣) الإصابة: ١/٣١.

(٤) الاحتجاج: ١/١٠٢.

وفي هذه الكلمات دعوة إلى الحقّ ، ودعوة لصالح الأُمّة وجمع كلمتها.

٨ ـ النعمان بن عجلان

أمّا النعمان بن عجلان فهو لسان الأنصار وشاعرهم ، وكان من الناقين على أبي بكر ، وقد خاطب المهاجرين بهذه الأبيات[١]:

وقُلتُمْ حَرامٌ نَصْبُ سَعدٍ وَنصبُكُمُ عتيقَ بنَ عثمانٍ حلالٌ أبا بَكرِ ؟

وأهلٌ أبوبكرٍ لها خيرُ قائمٍ وأَنّ عليّاً كان أخْلَقَ بالأمرِ

وكان هواناً في عليٍّ وأنّه لأهلٌ لها يا عمرو مِنْ حَيثُ لاتدري

ومعنى هذا الشعر أنّ المهاجرين أنكروا على سعد تصدّيه للخلافة ، وحرّموها عليه ، لأنّه ليس من قريش ، وأنّهم أولى وأحقّ بالخلافة من الأنصار ؛ لأنّهم يمتّون إلى النبيّ ﷺ بصلة النسب. والحال أنّ الإمام ألصق النّاس برسول الله ﷺ وأقربهم إليه ، فهو أحقّ بالخلافة من غيره.

٩ ـ عثمان بن حنيف[٢]

أمّا عثمان فهو من خيار الصحابة ، ومن المؤمنين بحقّ الإمام عليه‌السلام ، وكان من الناقين على أبي بكر ، فقد خاطبه قائلاً:

«سمعنا رسول الله ﷺ يقول: **أَهْلُ بَيْتِي نُجُومُ الْأَرْضِ ، فَلَا تَتَقَدَّمُوهُم ،**

---

(١) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد: ٦/٣١.

(٢) عثمان بن حنيف الأنصاري ، الأوسي ، شهد مع النبيّ ﷺ أحداً والمشاهد بعدها ، استعمله عمر على مساحة سواد العراق ، فمسح عامره وغامره ، وقسط خراجه ، واستعمله الإمام عليه‌السلام على البصرة ، وسكن الكوفة ، وبقي إلى زمان معاوية ثمّ توفّي ـ أُسد الغابة: ٣/٣٧٦.

فَهُمْ الْوُلاَةُ مِنْ بَعْدِي.

فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، وأي أهل بيتك؟

فقال: **عَلِيٌّ وَالطَّاهِرُونَ مِنْ وُلْدِهِ**»[١].

حكى هذا الاحتجاج بعض النصوص الواردة في أهل بيت النبوّة ومعدن الحكمة، وهي صريحة واضحة في تعيين النبيّ ﷺ لهم ولاة من بعده.

١٠ ـ سهل بن حنيف[٢]

وأعلن سهل بن حنيف تأييده الكامل، فقد قال بعد حمد الله والثناء عليه:

«يا معشر قريش، اشهدوا عليَّ، إنّي أشهد على رسول الله ﷺ وقد رأيته في هذا المكان ـ يعني جامعه ـ وقد أخذ بيد عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول:

«أَيُّها النّاسُ، هـٰذا عَلِيٌّ إِمامُكُم مِنْ بَعْدِي، وَوَصِيِّي فِي حَياتِي وَبَعْدَ وَفاتِي، وَقاضِي دَيْنِي، وَمُنْجِزُ وَعْدِي، وَأَوَّلُ مَنْ يُصافِحُنِي عَلىٰ حَوْضِي، وَطُوبىٰ لِمَنْ تَبِعَهُ وَنَصَرَهُ، وَالْوَيْلُ لِمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ وَخَذَلَهُ»[٣].

وقد أدّى سهل شهادته التي سمعها من النبيّ ﷺ في حقّ سيّد المتّقين والعارفين

---

(١) الاحتجاج / الطبرسي: ١٠٣/١.

(٢) سهل بن حنيف الأوسي الأنصاري، أبو ثابت، شهد بدراً والمشاهد كلّها، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أُحد، وقد بايعه على الموت، وصحب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكان والياً من قِبله على البصرة، ثمّ شهد معه صفّين وولّاه على فارس، توفّي سنة (٣٨هـ) وصلّى عليه الإمام ـ تهذيب التهذيب: ٤٢٨/٤.

(٣) الاحتجاج / الطبرسي: ١٠٣/١.

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وممّا لا شبهة فيه أنّهم سمعوا تلك النصوص ووعوها ، ولكنّ الدنيا قد غمرتهم وخدعتهم فانسابوا وراء شهوة الملك والسلطان.

١١ ـ خزيمة بن ثابت[١]

من ألمع الصحابة وأوثقهم عند النبيّ صلى الله عليه وآله ، وكانت شهادته تعادل شهادة شاهدين: وذلك لما عرف عنه من الصدق والحريجة في الدين ، وقد أعلن تأييده الكامل للإمام عليّ عليه السلام ، فقال أمام الجماهير:

«أيّها الناس ، ألستم تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قَبِل شهادتي وحدي ، ولم يرد معي غيري ؟ فقالوا: بلى ، قال: فأشهد أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

أَهْلُ بَيْتِي يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْباطِلِ ، وَهُمْ الْأَئِمَّةُ الَّذِينَ يُقْتَدىٰ بِهِمْ ، وقد قلت ما علمت ، وما على الرسول إلّا البلاغ المبين»[٢].

وأدّى خزيمة شهادته التي سمعها من رسول الله صلى الله عليه وآله في شأن عترته وأنّهم أئمّة الهدى الذين يقتدى بهم.

١٢ ـ أبوالهيثم بن التيّهان[٣]

---

(١) خزيمة بن ثابت: من الأوس ، يعرف بذي الشهادتين ، جعل رسول الله صلى الله عليه وآله شهادته كشهادة رجلين ، يكنّى أبا عباد ، شهد بدراً وما بعدها ، وكان مع عليّ عليه السلام بصفّين ، فلمّا قُتل عمّار جرّد سيفه فقاتل حتّى قُتل ، وكان يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: « **تَقْتُلُ عَمّاراً الْفِئَةُ الْباغِيَةُ** » ـ الاستيعاب.

(٢) الاحتجاج / الطبرسي: ١/١٠٢.

(٣) أبو الهيثم: اسمه مالك بن التيّهان ، من الأوس ، وهو أحد الستّة الذين لقوا رسول الله صلى الله عليه وآله ، شهد العقبة الأُولى والثانية ، وهوأوّل من بايعه ليلة العقبة ، وكان نقيب بني عبدالأشهل ، ⇦

وأبو الهيثم بن التيّهان قد عرف حقّ الإمام عليه السلام ، وسموّ مكانته ، وعظيم منزلته ، وقد أدلى بشهادته أنّ عليّاً أوْلى بالخلافة من غيره ، قال:

«أنا أشهد على نبينا صلى الله عليه وآله أنّه أقام عليّاً يوم غدير خمّ .

فقالت الأنصار: ما أقامه إلّا للخلافة ، وقال بعضهم: ما أقامه إلّا ليعلم الناس أنّه مولى مَن كان رسول الله صلى الله عليه وآله مولى له ، وكثر الخوض في ذلك ، فبعثنا رجالاً منّا إلى رسول الله فسألوه عن ذلك ؟

فقال: **قُولُوا لَهُم: عَلِيٌّ وَلِـيُّ الْـمُؤْمِنِينَ بَـعْدِي ، وَأَنْـصَحُ النّـاسِ لِأُمَّـتِي** ، وقد شهدت بما حضرني فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، إنّ يوم الفصل كان ميقاتاً»(١).

حكت شهادة أبي الهيثم أنّ الرسول صلى الله عليه وآله قلّد الإمام الخلافة والإمامة من بـعده في غدير خمّ.

إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن بعض الاحتجاجات الصارمة التي أُثـرت عـن أعلام الصحابة ، المتحرّجين في دينهم على أحقّيّة الإمام عليه السلام للخلافة ، وأنّه أحقّ بها وأوْلى من غيره.

⇦ شهد بدراً والمشاهد كلّها مع النبيّ صلى الله عليه وآله ، جاء ذلك في أُسد الغـابة: ٢٧٤/٤ ، وكـان مـن أخلص أصحاب الإمام ، استشهد بصفّين سنة (٣٧هـ) ، وقد ذكره الإمام بأسى وحزن في بعض خطبه ، فقال:

«أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ ، وَمَضَوْا عَلَىٰ الْحَقِّ ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ ؟ وَأَيْنَ ابْنُ التَّيِّهَانِ ؟ وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ ؟ وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِـهِمُ الَّـذِينَ تَـعَاقَدُوا عَـلَىٰ الْـمَنِيَّةِ ، وَأُبْـرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَىٰ الْفَجَرَةِ !» ، ثمّ ضرب يده على لحيته الشريفة وأطال البكاء على تلك الصفوة التي واكبت الحقّ وعرفت مقام الإمام ومكانته.

(١) حياة الإمام الحسن بن عليّ: ١٦٧/١. الاحتجاج: ١٠٣/١.

مكافاة المؤيّدين لأبي بكر

وقام أبو بكر وعمر بمكافأة الذين أخلصوا له في استيلائه على الحكم، فقد أسدى إليهم معروفاً وعيّنهم موظّفين في مناصب عالية، وهم:

١ ـ أنس بن مالك، وهو من المساهمين والمؤيّدين لبيعة أبي بكر، استعمله والياً على البحرين.

٢ ـ قنفذ، وهو من الذين اعتدوا على سيّدة النساء، عيّنه والياً على مكّة.

٣ ـ سلمة الأنصاري، استعمله والياً على اليمامة[١].

٤ ـ المغيرة بن شعبة، عيّنوه والياً على البحرين، ثمّ والياً على البصرة، ثمّ والياً على الكوفة.

امرأة ترفض عَطاء أبي بكر

قضت سياسة أبي بكر بمنح الأموال للمعارضين له من الرجال والنساء، فقد بعث إلى سيّدة فاضلة من بني النجّار أموالاً بيد زيد بن ثابت فقالت له: «ما هذا ؟».

«قسم قسمه أبو بكر للنساء».

فرفضته وقالت:

«أترشوني عن ديني، والله لا أقبل منه شيئاً»، ورفضت أن تأخذ شيئاً من الأموال[٢].

---

(١) السقيفة انقلاب أبيض: ٣٢٣، نقلاً عن تعجيل المنفعة: ١٦٠.

(٢) أنساب الأشراف / البلاذري: ١/٥٨٠. شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ٢/٥٢.

التنكيل بالمعارضين

ونكّل أبو بكر وعمر بكلّ المعارضين لبيعته ، كان منهم :

١ ـ الحباب بن المنذر

وهو من أعلام الأنصار ، وكان من الناقمين على أبي بكر ، فأُخذ ووطئت بطنه ، وملأوا فمه تراباً ، وكسروا أنفه[1].

٢ ـ سعد بن عبادة

زعيم الخزرج ، أمر عمر بقتله ، فاغتاله خالد بن الوليد ، وقد ذكرنا ذلك في البحوث السابقة.

٣ ـ خالد بن سعيد

كان خالد بن سعيد والياً على اليمن في عهد النبيّ ﷺ وبعد وفاته امتنع من بيعة أبي بكر ، وأراد التنكيل به عمر فمنعه أبو بكر.

٤ ـ بريدة بن الحصيب

ومن الناقمين على أبي بكر في تقمّصه للخلافة بريدة بن الحصيب الأسلمي ، أمر عمر بضربه وإخراجه من المدينة[2].

---

(١) كنز العمّال : ٣/٢٣٤٦. شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ١/١٧٤.

(٢) المعارف / ابن قتيبة : ٣٠٠.

نَتَائِجُ مُؤْتَمَرِ السَّقِيفَةِ

لا أعرف حادثة في تأريخ الإسلام أضرّ على المسلمين من سقيفة بني ساعدة، فقد فرّقت الكلمة، وصدّعت الشمل، ومزّقت الوحدة، وألقت المسلمين في شرّ عظيم، ومن متاركها المروّعة ما يلي:

أوّلاً: اختلاف المسلمين

اختلف المسلمون في الخلافة كأشدّ ما يكون الاختلاف، واحتدم النزاع بين العلماء بعد اتّفاقهم على ضرورتها، وأنّها من أهمّ العناصر في الحياة الإسلاميّة لا تستقيم بدونها، ولا تستغني عنها.

وكان الاختلاف فيما بين المسلمين في الخلافة ناجماً هل أنّها بالنصّ كما تذهب لذلك الشيعة، فقد آمنت بذلك إيماناً مطلقاً، واعتقدت بها، وأنا من بينهم أنّ النبيّ ﷺ لم يهمل أمر الخلافة، وإنّما عيّن القائد والحاكم والزعيم لأُمّته وهو الإمام أمير المؤمنين رائد العدالة الاجتماعيّة في دنيا الإسلام، وقد ألمحنا في بحوث هذا الكتاب إلى كوكبة من النصوص غير قابلة للتشكيك والطعن فيها، وهي من ناحية السند قد أجمع العلماء على وثاقة رواتها وتحرّجهم في الدين، كما أنّها واضحة الدلالة لا إجمال فيها ولا إبهام أو إيهام في دلالتها، وقد نصّت على خلافة الإمام

أمير المؤمنين عليه السلام ، وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أقامه علماً لاُمّته وخليفة من بعده.

وذهبت طائفة اُخرى من المسلمين إلى أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أهمل أمر الخلافة ، وترك الأمر فيها لاُمّته ، يختارون لقيادتهم من شاؤوا ، لم يفرض عليهم النبيّ صلى الله عليه وآله خليفةمن بعده ، وترك تعيين القائد للاُمّة ، وعند التأمّل في هذا الأمر من دون تعصّب أنّ هذا الرأي لا يخلو من وهن وضعف؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله الحريص على اُمّته ، الرؤوف بها ، الذي يعزّ عليه عنتها كيف يتركها تتخبّط في ساحات من الفوضى والجهل ، وتتردّى في متاهات سحيقة من مجاهل الحياة.

إنّ تعيين الخليفة من بعد رحيله إلى حظيرة القدس أمر ضروري بالغ الأهمّيّة ، وقد ذكرنا في البحوث السابقة الأوضاع الاجتماعيّة في أواخر حياة الرسول صلى الله عليه وآله ، وما يحيط بالمسلمين من الأخطار الناجمة من المنافقين وغيرهم ، بالإضافة إلى ما يتهدّد الإسلام من قِبل الدول التي يتهدّدها الإسلام بالفتح ، وهي تناهضه بجميع ما تملك من وسائل القوّة.

وعلى أي حال ، فإنّ التأمّل بدقة في دراسة التاريخ بوعي يوحي بصورة قاطعة بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد عهد للإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة ، وقلّده الحكم ، وحديث غدير خمّ يؤكّد ذلك ، ويدلّل عليه.

ثانياً: التنكيل بعترة النبيّ صلى الله عليه وآله

ومن نتائج سقيفة بني ساعدة ما عانته العترة النبويّة من التنكيل والاضطهاد من الذين تقلّدوا الخلافة ، واستولوا على الحكم بغير وجه مشروع ، كالأمويّين ، فقد جهدوا على ظلم العلويّين وشيعتهم ، ففي أيّام الطاغية معاوية جعل سبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام واجباً إسلامياً على المنابر ، وفي خطب الجمعة والأعياد ،

وفي معاهد العلم وأماكن التعليم ، واستمرّت هذه الفريضة الأمويّة طيلة حكمهم حتّى ألغاها عمر بن عبدالعزيز ، كما عانت شيعة أهل البيت ألواناً قاسية من العذاب الأليم.

يقول الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام :

«وَقُتِلَتْ شيعَتُنا بِكُلِّ بَلْدَةٍ ، وَقُطِّعَتِ الْأَيْدي وَالأَرْجُلِ عَلَى الظِّنَّةِ ، وَكانَ مَنْ يُذْكَرُ بِحُبِّنا وَالإِنْقِطاعِ إِلَيْنا سُجِنَ أَوْ نُهِبَ مالُهُ أَوْ هُدِّمَتْ دارُه »[١].

وصوّر الشاعر الكبير عبدالله بن عامر العبلي الاضطهاد الذي عاناه بسبب ولائه لأهل البيت عليهم السلام ، يقول:

شَرَّدوا بي عندَ امْتِداحي عَلِيّاً ... ورَأوا ذاكَ فيَّ داءً دَوِيّا
فَوَرَبّي ما أبرَحُ الدَّهرَ حَتّى ... تَمْتَلي مُهْجَتي بِحُبّي عَلِيّا
وبَنيهِ لحُبِّ أحْمَد إنّي ... كُنْتُ أحْبَبتهُمُ بِحُبّي النَّبِيّا
حُبُّ دينٍ لا حُبّ دُنياً وشَرُّ ... الحُبِّ حبٌّ يَكونُ دُنيَوِيّا
صاغَني اللهُ في الذّوابَةِ منهُم ... لا ذَميماً ولا سَنيداً دَعِيّا[٢]

أرأيتم ما عاناه العبلي من الاضطهاد والتنكيل لحبّه سيّد المتّقين الإمام أمير المؤمنين وهو مع ذلك لم يحفل بما عاناه من صنوف العذاب؛ لأنّ حبّه له ليس حبّاً عاطفياً وإنّما هو من أجل الدين الذي فرض مودّته على جميع المسلمين ، وهو من أوثق ألوان الحبّ ، ومن أكثره رسوخاً وصلابة في نفوس المؤمنين.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٣/ ١٥٠.

(٢) هذه هي الشيعة: ١٤٥.

وقد أشار الشاعر النميري في بعض قصائده إلى ما عانته الشيعة من القهر والظلم لولائهم لأهل البيت عليهم السلام. يقول:

آلُ النَّـــبيِّ ومَـــنْ يُــحِبُّهُم ... يَـــتَطامَنونَ مَــخافَةَ القَـتْلِ

أمِنَ النَّـصارىٰ واليَـهودُ وهُـم ... عَنْ أُمَّـةِ التَّـوحيدِ فـي أَزلِ(١)

لقد كانت جميع الأديان بمأمن من الخوف والارهاب سوى العلويّين وشيعتهم، وقد سئل الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام فقيل له:

«كيف أصبحت يابن رسول الله ؟».

فأجاب بألم:

«أَصْبَحْتُ بِرَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله خـائِفاً، وَأَصْـبَحَ النّـاسُ كُـلُّهُمْ بِـرَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله آمِنين»(٢).

ونسبت أبيات من الشعر لبعض أئمّة أهل البيت عليهم السلام تحكي ما حلّ بهم من المحن والخطوب:

نَحنُ بَنو المُصْطفىٰ ذَوو مِحَنٍ ... يــجرَعُها فـي الأنـام كـاظِمُنا

عَــظيمةٌ فــي الأنــام مِـحْنَتُنا ... أوّلُـــنا مُـــبتَلى وآخِـــرُنا

يــفرَحُ هــذا الوَرىٰ بـعيدِهُمُ ... ونَـــحنُ أعْـــيادُنا مَــآتِمُنا

إنّ الأعياد التي يحتفل بها المسلمون، ويظهرون فيها أفراحهم وزينتهم عـادت مآتماً على أهل بيت النبوّة ومراكز الوحي والتنزيل بسبب ما عـانوه مـن حكّـام

---

(١) الأزل: الضيق والشدّة.

(٢) ميزان الاعتدال: ٤/١٦٠.

عصورهم من القتل والسجن والتشريد، وصوّر الطغرائي في هذه الأبيات محنة الشيعة في تلك العصور المظلمة. يقول:

حبُّ اليَهودِ لآلِ موسى ظاهِرٌ ... وَوَلاؤُهُمْ لبَني أخيهِ بادي
وإمامُهمْ منْ نَسلِ هارونَ الأُلىٰ ... بهِمُ اهْتَدوا ولكُلِّ قومٍ هادِ
وَكذا النَّصارىٰ يُكرِمونَ مَحبّةً ... لنَبيِّهِمْ نَجراً مِنَ الأعْوادِ
ومَتىٰ تَولّىٰ آلَ أحْمَدَ مُسْلِمٌ ... قَتلوهُ أو وصَموهُ بِالإلْحادِ
هذا هوَ الداءُ العُضالُ لِمثلهِ ... ضلَّتْ عقولُ حواضِرٍ وَبَوادِ
لمْ يحفَظوا حقَّ النَّبيِّ مُحَمّدٍ ... في آلهِ واللهُ بِالمِرصادِ[١]

عرض الطغرائي في هذه الأبيات إلى ولاء اليهود لأعقاب نبيّهم موسى، وأعقاب أخيه هارون، وكذا النصارى في ولائها العارم لكلّ من اتّصل بالسيّد المسيح حتّى إنّهم يقدّسون الأعواد التي جلس عليها المسيح.

أمّا المسلمون فقد تتبّعوا ذريّة نبيّهم قتلاً وتعذيباً. يقول الشاعر:

فليسَ حيٌّ منَ الأحْياءِ نَعرفُهُ ... مِنْ ذي يَمانٍ ومنْ بَكرٍ ومنْ مُضَرِ
إلّا وهُمْ شُرَكاءٌ في دِمائِهِمُ ... كما تَشارَكَ أيسارٌ عَلىٰ جُزُرِ

لقد عانى العلويّون ما جرى عليهم من القتل والتنكيل، فقد اشتركت في قتلهم معظم الأسر في ذلك العصر، وصوّر شاعر آخر مدى الاضطهاد الذي عانته الشيعة بقوله:

---

(١) الروض الأزهر: ٣٥٩.

إنَّ اليَـــهودَ بــحُبِّها لنَـــبيِّها أمِــنَتْ مَـعرّةَ دَهْـرِها الخَـوّانِ
وذَووالصَّليبِ بحُبِّ عيسىٰ أصْبَحوا يَــمْشونَ زَهـواً فـي قُـرىٰ نَـجرانِ
والمُــؤمِنونَ بــحُبِّ آلِ مُـحَمَّدٍ يُـــرمَون فــي الآفــاقِ بــالنّيرانِ

حكت هذه الأبيات ما يتمتّع بـه اليهـود والنـصارى مـن الأمـن والطـمأنينة إلّا شيعة أهل البيت فإنّهم يعانون أشقّ ألوان التعذيب وأشدّه.

وروى المؤرّخون أنّ الفضل بن دُكين كان يتشيّع، فجاء إليه ولده باكياً فقال له أبوه:

«ما يبكيك؟».

«يا أبتِ، إنّ النّاس يقولون: إنّك تتشيّع».

فأجابه أبوه:

ومــا زالَ بــي حــبّيكَ حتّىٰ كَـأنَّني برَجْعِ جَـوابِ السّـائلي عـنكَ أعْـجَمِ
لأسـلَم مـنْ قَـولِ الوشـاةِ وتَـسلَمي سلِمتِ وهَلْ حيٌّ عَلَى النّاسِ يسلَمِ[1]

لقد كان الاتّهام بالتشيّع في العصر الأموي جريمة لا تغفر، فإنّ الاتهام بـالكفر والمروق من الدين أهون من الاتّهام بالولاء لأهل البيت، وقد بلغ تفاقم الأوضاع على الشيعة أنّ من يسلّم على العلوي أو العلوي يسلّم عليه، فإنّه يتعرّض للبطش

(١) تاريخ بغداد: ٣٥١/١٢. بشارة المصطفى: ١٤٣.

من قِبل السلطة ، ويحدّثنا الرواة أنّ إبراهيم بن هرثمة دخل المدينة ، فأتاه علويّ فسلّم عليه ، فقال إبراهيم بعنف وشدّة :

« تنحّ عنّي لا تشط بدمي »[١].

وبلغ الأمر أنّ الحكومة الأمويّة عهدت إلى ولاتها بقتل كلّ مولود يسمّى عليّاً ، ومن طريف ما ينقل أنّ عليّ بن رباح خاف من القتل فجعل يقول : « لا أجعل في حلّ من يسمّيني عليّاً ، فإنّ اسمي عُلَى » ، أي بضمّ العين[٢].

ويقول الشيخ الطوسي : « لقد واجهت الشيعة في تلك العصور من الظلم ما لم تواجهه أيّة طائفة من طوائف العالم » ، ومن أمثلة ما جرى عليهم في عهد زياد بن أبيه الأخ اللّاشرعي لمعاوية بن أبي سفيان ، فقد قتل الشيعة تحت كلّ حجر ومدر ، وصلبهم على جذوع النخل ، وقطع أرجلهم وأيديهم ، وسمل عيونهم ، وهكذا فعل مثل فعله الإرهابي المجرم الحجّاج بن يوسف الثقفي ، فقد قتل في أيّام حكمه من الشيعة مائة وعشرين ألفاً ، وتوفّي في سجونه خمسون ألف رجل ، وثلاثون ألف امرأة منهنّ ستّة عشر ألف امرأة عارية مجرّدة من الثياب ، وقال في ظلمه وجوره عمر بن عبدالعزيز : « لو جاءت كلّ اُمّة بخبيثها وجئنا بالحجّاج لغلبناهم ».

وفي العصر العبّاسي واجهت الشيعة أعنف المشاكل وأقسى ألوان الخطوب ، وامتحنوا امتحاناً عسيراً حتّى تمنّوا رجوع الحكم الأموي على ما فيه من قسوة وعذاب . يقول الشاعر :

فليتَ جورُ بَني مَروانَ عادَلَنا ... وليتَ عَدلُ بَني العبّاسِ في النّارِ

---

(١) تاريخ بغداد : ٦/١٢٧.

(٢) تهذيب التهذيب : ٧/٣١٩.

ويقول شاعر آخر:

لَا يَنْقضي الجورُ وعَلى الأُمَّةِ والٍ مِنْ آلِ عَبّاسِ

لقد عمد العبّاسيّون بشكل متعمّد وبصورة سافرة إلى محاربة السادة العلويّين، فالمنصور الدوانيقي الذي لم يعرف الرأفة والرحمة ولم يؤمن بأيّة قيمة من القيم الإنسانيّة قد ترك خزينة ملأها برؤوس العلويّين، ادّخرها ذخراً عند ملاقاته لله تعالى.

وكذلك عمد هارون الرشيد إلى تصفية العلويّين على يد الجلّاد حميد بن قحطبة، فقد أعدم في ليلة واحدة ما يزيد على ستّين علوياً، كما أودع الإمام الأعظم موسى بن جعفر عليه السلام في زنزانات سجونه، وأوعز إلى مدير شرطته السندي بن شاهك المجوسي باغتياله، فاغتاله بالسمّ.

وأمّا المتوكّل العبّاسي فقد اقترف كلّ ما حرّم الله تعالى من إثم، فقد عمد إلى قبر سيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين عليه السلام مفخرة البشريّة في جميع مراحل التاريخ فهدمه، وأنزل العقاب الصارم بزوّار القبر الشريف الذي هو ملاذ لكلّ محروم ومظلوم، وقد انتقم الله تعالى منه على يد ولده الفاضل، فقد مزّقت جسده الملوّث بالجرائم سيوف الأتراك، وكان ثملاً قد ملئت كؤوس الخمر بلحمه القذر الذي تربّى على الفحشاء والمنكر.

وعلى أي حال، فإنّ الحكومات العبّاسيّة قد جهدت على محاربة أهل البيت عليهم السلام وتصفية أجسادهم واضطهاد شيعتهم، والتنكيل بهم، وقد انطوت أيّامهم في ملف التاريخ، وهي حافلة بالعار والخزي، وبقي العلويّون في ساحات الشرف والكرامة سادات الأُمّة وهداتها للخير والصلاح.

ثالثاً: ظلم الولاة

من متارك السقيفة ومخلّفاتها أنّ الخلافة الإسلاميّة التي هي ظلّ الله تعالى في الأرض قد استولى عليها الطغاة المستبدّون الذين لا يرجون لله تعالى وقاراً، فأمعنوا في ظلم النّاس وقهرهم، وصبّوا عليهم وابلاً من العذاب الأليم، كانوا لا يرون للرعيّة أيّة قيمة، فرعيّة النّاس ورعيّة الأغنام سواء، كما يقول الكميت في بعض روائعه، ويقول عمرو بن العاص، وهو من أجهزة الحكم الأموي، وأعمدة سياستهم: «إنّما السواد بستان قريش»، فالسواد ليس ملكاً للرعيّة، وإنّما هو ملك لقريش ينفقونه على شهواتهم ورغباتهم ليس للرعية فيه نصيب، وقد سلّط معاوية الذئاب من الولاة على الأقاليم الإسلاميّة، فنهبوا ثروات النّاس، وتركوا البؤس مخيّماً عليهم. يقول عقبة بن هبيرة الأسدي مخاطباً معاوية بهذه الأبيات:

معاويَ إنّنا بشَرٌ فأَسْجِحْ[1] ... فلَسْنا بالجبالِ ولا الحَديدِ
أكَلْتُم أرضَنا وجَرَدْتُموها ... فهَلْ من قائمٍ أوْ مِنْ حَصيدِ
ذَروا جورَ الخِلافَةِ واسْتَقيموا ... وتَأميرَ الأراذلِ والعَبيدِ[2]

ومعنى هذه الأبيات واضح، هو أنّ الأمويّين قد نهبوا خيرات البلاد وجرّدوها من ثرواتها، فكانت معظم أراضي المسلمين بأيدي الأمويّين، وقد أراد عمر بن عبدالعزيز إرجاع ما نهبوه إلى ملّاكها فقال لهم:

«يا بني مروان، إنّكم من الحسب والمال بالمحل الأرفع، وفي أيديكم نصف

---

(١) السجح: السهولة واللين.
(٢) خزانة الأدب: ٥/٢٢٥.

أموال هذه الأُمّة بل ثلثاها...»، وطلب منهم إرجاعها إلى أهلها فأجابوه.

«والله لو تفصل رؤوسنا عن أجسادنا، فلن تعود تلك الضياع إلى أربابها».

فهدّدهم عمر قائلاً:

«والله لئن لم تعينوني على ردّ هذا الحقّ لأهله لأذلّنكم وأُشهّر بكم...»[١].

وصوّر الشاعر النميري في قصيدته ما عاناه قومه من الظلم، فقد سلبهم الجباة السود لقمة عيشهم، ولم يتركوا عندهم ما يقتاتون به. يقول مخاطباً عبدالملك بن مروان:

أخَلِيفَةَ الرَّحْمنِ إنّا مَعاشرٌ ... حُنَفاءُ نَسْجدُ بُكْرَةً وَأصيلا

إنّ السُّعاةَ عصَوكَ يومَ أمرْتَهُمْ ... وَأتَوا دَواهِيَ لو عَلِمتَ وَغُولا

أخَذوا العريفَ فقَطَّعوا حَيزُومَهُ ... بالأَصْبَحِيَّةِ قائِماً مَغْلولا[٢]

حَتّى إذا لمْ يَتركوا لِعِظامِهِ ... لَحْماً ولا لِفُؤادِهِ مَعْقُولا[٣]

جاؤوا بصكّهمُ وَأَحْدَبَ أسْأَرَتْ ... منهُ السِّياطُ يَراعَةً إجْفيلا[٤]

أخَذُوا حُمُولَتَهُ فَأَصْبَحَ قاعِداً ... لا يَسْتَطِيعُ عن الدِّيارِ حَويلا

يَدْعُو أَميرَ المُؤمنينَ وَدُونَهُ ... خِرْقٌ تجرُّبِهِ الرِّياحُ ذُيُولا

كَهُداهِدٍ كَسَرَ الرُّماةُ جَناحَه ... يَدعو بِقارِعَةِ الطَّريقِ هَدِيلا

---

(١) الإدارة العربيّة: ١٤١.

(٢) **الأصبحيّة**: جمع أصبح السياط، كما أنّ الحيزوم وسط الظهر.

(٣) **المعقول**: الإدراك.

(٤) **أسأرت**: أي بقيت في الإناء بقيّة. **الإجفيل**: الخائف.

أخَـلِيفَةَ الرَّحــمٰنِ إنَّ عَشِـيرَتي — أمسى سوامُـهُمُ عُـرِينَ فُـلولا [١]
قـومٌ عـلَى الإسـلامِ لِـمّا يَـتْركوا — ما عـونَهُم وَيُـضَيِّعوا التَّـهليلا [٢]
قَــطعوا اليَـمامَةَ يُـطْرَدون كـأنَّهم — قَــوْمٌ أصــابوا ظــالمينَ قَــتِيلا
شَـهْرَي رَبِـيعٍ مـا تَـذُوقُ لَـبُونُهمْ — إلّا حُــمُوضاً وَخـمَةً وذَبـيلا [٣]
وأتــاهُمُ يــحيىٰ فَشَــدَّ عــليهِمُ — عِـقداً يَـراهُ المُسْـلِمُونَ ثَـقيلا [٤]
كُـتُباً تَـرَكْــنَ غَـنيَّهُم ذا عِـيلَةٍ — بَـعْدَ الْـغِنىٰ وَفَـقيرَهُم مَـهْزولا
فَـتَرَكْتُ قَوْمي يقْسِمُونَ أُمـورَهم — الَيْكَ أمْ يَــتَرَبَّصُونَ قَــليلا [٥]

وصوّر النميري بهذا الشعر الجور الهائل والمظالم الفظيعة التي صبّها الجباة السود على قومه المسلمين الذين يسجدون لله تعالى بكرة وأصيلاً ، ويؤدّون ما فرض الله تعالى عليهم من الزكاة ، فقد ألهبت سياط الجباة الظالمين ظهورهم ، ونهبوا ما عندهم من الثراء وتركوهم كالطيور التي كسر الرماة أجنحتها فهي ما بين الموت والحياة ، قد نهش الجوع أجسامهم وخيّم عليهم البؤس والحرمان [٦].

وانتشرت سرقة أموال الدولة عند العمّال والموظّفين ، وقد صوّر أنس بن أبي أُناس سرقة الولاة والحكّام لأموال الرعيّة، وذلك حينما عيّن زياد أو ولده عبيدالله ،

---

(١) عُرين : الجماعات .
(٢) الماعون : الزكاة .
(٣) الحموض : المرّ المالح من النبات .
(٤) يحيى : هو أحد السعاة الظالمين .
(٥) طبقات فحول الشعراء : ٤٣٩ ـ ٤٤١ . جمهرة أشعار العرب : ٣٤١ .
(٦) موسوعة الإمام الصادق عليه‌السلام : ٨٦/٧ .

حارثة بن بَدْرٍ الشاعر التميمي أميراً ووالياً على بعض مناطق العراق، فقد قال له بسخريّة:

أحارِ بنَ بدرٍ قَد وليتَ ولايةً
فَكنْ جُرَذاً ممَّنْ يَخونُ وَيَسرِقُ
وَلا تَحْقِرَنْ ياحارِ شَيْئاً تُصيبَهُ
فَحَظُّكَ مِنْ مُلكِ العِراقَيْنِ «سُرَّقُ»[1]
فإنَّ جميعَ النّاسِ إمّا مُكذِّبٌ
يَقولُ بِما يَهوىٰ وَإِمّا مُصَدِّقُ
يَقولونَ أقوالاً بظَنٍّ وَشُبْهةٍ
فإنْ قيلَ هاتُوا حَقّقُوا لَمْ يُحَقِّقوا
وَلا تَعجَزنْ وَالعَجزُ أوْطأُ مركبٍ
فما كلُّ مَنْ يُدعىٰ إلى الرِّزقِ يُرْزَقُ[2]

وشكره حارثة على وصيّته للنهب قائلاً:

جزاكَ مَليكُ النّاسِ خيرَ جزائِهِ فقَدْ قُلتَ مَعروفاً وأوْصَيتَ كافِيا
أمَرتَ بحَزمٍ لَوْ أمرْتَ بغَيرِهِ لأَلْفَيْتَني فيهِ لرأْيِكَ عاصِيا[3]

لقد انتشرت سرقة أموال الدولة عند الموظّفين بصورة هائلة، وكان ذلك

(١) سُرَّق: مدينة في إقليم الأهواز.
(٢) الأغاني: ٣٣/٢١، وقيل: إنّ الأبيات لأبي الأسود الدؤلي: ٢٤٣.
(٣) الأغاني: ٣٣/٢١.

بدعم من الملوك لأنّهم كانوا يقاسمون ولاتهم. يقول «فان فلوتن»:

«وبدل أن يتّخذ الخلفاء ـ أي خلفاء بني أُميّة ـ التدابير لمحاسبة الولاة، ومنعهم من الظلم نجدهم يقاسمونهم في فوائدهم من الأموال التي جمعوها بتلك الطريقة المفضوحة، وهذا معناه رضى الخلفاء بسوء تصرّف العمّال مع أهل البلاد، بالإضافة إلى أنّه دليل على أنّ بعضهم كان يهمّه مصالح الخزينة المركزيّة بالدرجة الأُولى»[١].

ومهما يكن الأمر فقد انتشر الظلم، وعمّ البلاء، وساد الجور.

دعاء سديف

ويصوّر لنا دعاء سديف ما عاناه المسلمون من البلاء والمحن والخطوب يقول:

«اللّهمّ قد صار فيئنا دولة بعد القسمة، وإمارتنا غلبة بعد المشورة، وعهدنا ميراثاً بعد الاختيار للأُمّة، واشتريت الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والأرملة، وحكم في أبشار المسلمين أهل الذمّة، وتولّى القيام بأمرهم كلّ فاسق محلّة، فلا ذائد يذود عن هلكة، ولا مشفق ينظر إليهم بعين الرحمة، ولا رادع يردع من آوى إليه بظلمة، ولا ذو شفقة يشبع الكبد الحرّى من السغب، فهم أهل جزع وضيعة، وحلفاء كآبة وذلّة، قد استحصد زرع الباطل وبلغ نهايته، واستجمع طريده واستوسق وضرب بجرانه.

اللّهمّ فأتح له يداً من الحقّ حاصدة تجتثّ سنامه، وتهشم سوقه، وتبدّد شمله، وتفرّق كلمته ليظهر الحقّ في أحسن صوره، وأتمّ نوره، وأعظم بركته»[٢].

---

(١) السيادة العربيّة: ٢٨.

(٢) الاختصاص: ١٣٣.

وحكى دعاء سديف السياسة الأمويّة بجميع أبعادها ، فقد تمادت بالظلم والجور على الرعيّة ، وانتهكت حقوق النّاس ، وكفرت بجميع القيم والمبادى الإسلاميّة ، وقد أعلن معظم ملوكهم الكفر والإلحاد.

يقول ابن عبّاس: «إنّ بني أُميّة وطأوا صماخ الدين ، وذبحوا كتاب الله تعالى بشفرة»[١].

رابعاً: احتقار الشعوب

وكان من معالم السياسة الأمويّة احتقار الشعوب الإسلاميّة والاستهانة بها. يقول الوليد بن يزيد الأموي:

فَدَعْ عنْكَ ادّكارَكَ آلَ سِعْدى ... فَنَحْنُ الأكثَرونَ حَصىً ومالا
ونحنُ المالِكونَ النّاسَ قَسْراً ... نَسومُهمُ المَذلّةَ والنَّكالا
ونورِدُهُمْ حِياضَ الخَسْفِ ذُلّاً ... وَما نَأْلوهُمُ إلّا خَبالا[٢]

ومعنى هذا الشعر أنّ الأمويّين قد ملكوا النّاس بقوّة السيف ، وأنّهم يسومونهم المذلّة والهوان ، وهو تعبير صادق لا مبالغة فيه أنّ السياسة الأمويّة قد بنيت على البطش وسفك الدماء ، وعدم العناية بالشعوب الإسلاميّة.

خامساً: الاستهتار بالقيم الإسلاميّة

وكان البارز في السياسة الأمويّة الاستهتار بالقيم الإسلاميّة ، وأوّل من

(١) مختصر أخبار الخلفاء: ٤.

(٢) موسوعة الإمام الصادق عليه‌السلام: ٨٣/٧.

جاهر بذلك معاوية كسرى العرب ، فقد أعلن بعد الصلح أمام الجماهير عدم وفائه بالشروط التي أعطاها للإمام الزكيّ الحسن عليه السلام قائلاً :

«إنّي أعطيت الحسن بن عليّ شروطاً ، وها هي تحت قدمي لا أفي بشيء منها»(١).

أرأيتم هذا الاستهتار بالقيم الإسلاميّة التي ألزمت الوفاء بالعهد والوعد.

إنّ حكومة معاوية وسائر بني مروان كانت من النتائج المباشرة لصرف الخلافة عن أهل بيت النبوّة ومراكز الوحي والحكمة في الإسلام.

سادساً : الإلحاد والمروق من الدين

والشيء المحقّق أنّ معظم ملوك بني أُميّة كانوا مارقين من الدين ، وأوّلهم معاوية ابن أبي سفيان الذي قتل أعلام الإسلام وفي طليعتهم سبط رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الزكي الحسن عليه السلام سيّد شباب أهل الجنّة ، وقتل الصحابي الجليل حجر بن عديّ واخوانه المؤمنين في مرج عذراء ، وأعدم الصحابي عمرو بن الحمق الخزاعي ، وفرض على المسلمين سبّ العترة الطاهرة التي هي عديلة القرآن ، وحقده البالغ على ذكر الرسول الأعظم في الأذان خمس مرّات ، وغير ذلك من الجرائم والموبقات ، ومن أفحشها فرضه لولده يزيد حاكماً على المسلمين ، وهو يعلم بفسقه وفجوره وارتداده عن الإسلام ، وهو المتمثّل بعد إبادته للعترة الطاهرة بهذا البيت :

لَعِبَتْ هاشِمُ بالْمُلْكِ فَلا ... خَبَرٌ جاءَ ولا وَحْيٌ نَزَلْ

ومن ملوكهم المرتدّين عن الإسلام الوليد بن يزيد الذي اقترف كلّ ما حرّم الله

---

(١) حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام : ٢ / ٣٣٠.

تعالى ، فقد اصطنع قبّة على قدر الكعبة ، وأراد أن ينصبها فوق سطح الكعبة ، ويجلس فيها مع حاشيته المارقة من الإسلام ، واستصحب معه الخمور وآلات الملاهي ، فلمّا وصل إلى مكّة هاب أن يفعل ذلك خوفاً من النّاس[١].

وهو الذي زنى بابنته وأزال بكارتها فأنكرت عليه مربّيتها ، فقالت له: « هذا دين المجوس » ، فقال لها:

مَنْ راقبَ النّاسَ ماتَ غمّاً ... وفازَ باللَّذَّةِ الجَسور[٢]

وقد نكح أُمّهات أولاد أبيه[٣].

ومن بوادر إلحاده أنّه تفاءل بالمصحف الكريم فخرجت الآية: ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾[٤] ، فمزّق المصحف وأنشأ يقول:

أتوعدُ كلَّ جَبّارٍ عَنيدٍ ... فها أنا ذاكَ جَبّارٌ عَنيدُ

إذا ما جِئْتَ ربّكَ يَومَ حَشْرٍ ... فَقُلْ: يا ربِّ مَزَّقَني الوليدُ[٥]

وقد أنكر عليه هشام فقال له:

« والله ما أدري على الإسلام أنت أم لا ؟ فإنّك لم تدع شيئاً من المنكرات إلّا أتيته غير متحاش ولا متستّر ».

فأجابه الوليد:

---

(١) تاريخ ابن الأثير: ٣٥٦/٤.

(٢) تاريخ الخميس: ٣٣٠/٢.

(٣) تاريخ الخميس: ٣٣٠/٢.

(٤) سورة إبراهيم: الآية ١٥.

(٥) مروج الذهب: ١٤٩/٣ ، وجاء فيه أنّه نصب المصحف وجعل يرميه.

يا أيُّها السّائِلُ عـنْ ديـنِنا   ديني علىٰ دين أبي شاكِرِ
نَشْرَبُها صِرْفاً ومَـمْزوجَةً   بالسُّخْنِ أَحْياناً وبِالفاتِرِ[١]

وهكذا كان معظم ملوك بني أُميّة قـد ارتـدّوا عـن الإسـلام وأعـلنوا الكـفر والإلحاد.

وممّا لا ريب فيه أنّ حكومة هؤلاء كانت امتداداً لمن أقصى عترة رسول الله ﷺ عن الحكم.

وقال: «لا تجتمع الخلافة والنبوّة في بيت واحد».

سابعاً: الخلفاء والمجون

ومعظم ملوك الأمويّين والعبّاسيّين قد انصرفوا إلى اللهو والدعـارة والمجـون، فقد كان يزيد بن عبدالملك مسرفاً في المجون والفسق، وكان من فسقه أنّه ثمل فقال: «دعوني أطير»، فسخرت منه حبّابة فقالت له بسخرية:

«على من تدع الأُمّة ؟».

«عليك».

وكان لا يستطيع فراقها، فخرجت معه إلى الأردن يتنزّهان فرماها بحبّة عنب فدخلت في حلقها، فشرقت ومرضت ثمّ ماتت، فتركها ثلاثة أيّام لم يدفنها حتّى جافت وهو يشمّها ويقبّلها، وينظر إليها ويبكي، وكلّمه بعض خواصه في دفـنها فأذن في مواراتها، وبعد دفنها عاد إلى قصره كئيباً حزيناً.

ويقول المسعودي: «إنّه أقام على قبرها وهو يقول:

---

(١) موسوعة الإمام الصادق عليه السلام: ٦٤/٧.

فإِنْ تَسْلُ عنكِ النَّفْسُ أَوْ تدَعِ الْـهوىٰ
فَبِالْيأْسِ تَسْلو النَّـفسُ لا بـالتَّجَلُّدِ»[١]

وقيل: إنّه نبشها بعد الدفن حتّى شاهدها[٢].

ومن ملوكهم الذين انصرفوا إلى الدعارة الوليد بن يزيد، فقد قال عـنه ابـن عساكر: «إنّه كان منهمكاً في شرب الخمر واللذات، ورفض الآخرة وراء ظهره، وأقبل على القصف واللهو والتلذّذ مع الندماء، وكـان يـضرب بـالعود، ويـقرع بالطبل، وقد انتهك محارم الله تعالى حتّى قيل له بالفاسق»[٣].

أمّا ملوك بني العبّاس فقد أسرفوا إلى حدّ بعيد في المجون والدعارة، فقد انغمس المهدي العبّاسي في شرب الخمر والمعازف وغيرها من آلات اللـهو، ويسـتنهض بعض الشعراء الأمويّين بالثورة على العبّاسيّين، ويصف المهدي بالخلاعة والمجون. يقول:

بَـنو أُمَـيَّةَ هُـبّوا طـالَ نَـومُكُمُ ... إنَّ الخَـليفَةَ يَـعقوبَ بـنَ داودِ
ضاعَتْ خِلافَتُكُمْ يا قَوْمِ فَـالتَمِسوا ... خَـليفَةَ اللهِ بَـيْنَ النّـايِ والعـودِ

وأمّا الهادي صاحب واقعة فخّ التي لا تقلّ في خطورتها عن كـارثة كـربلاء، فقد أنفق أموال الدولة عـلى المـاجنين والعـابثين والمـغنّين، وقـال إبـراهـيم بـن إسحاق الموصلي المغني والعازف: «لو دام لنا الهادي لبنينا قصورنا بالذهب».

وفي معظم حكم العبّاسيّين لم تنفق أموال الدولة على تطوير الحـياة، وإشـاعة

---

(١) مروج الذهب: ١٩٨/٣. البدء والتاريخ: ٤٨/٣.
(٢) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام: ٥٦/٢.
(٣) موسوعة الإمام الصادق عليه السلام: ٦٣/٧.

العلم ، وإقصاء الفقر ، وإنّما كانت تنفق على لياليهم الحمراء ، فلم يعد في قصورهم أي ظلّ للتقوى والإيمان.

وعلى أي حال ، فإنّ التأريخ أمامنا خير شاهد يحدّثنا عن فسق ملوك بني العبّاس ومجونهم واضطهادهم لأئمّة الشيعة واعتدائهم الصارخ على أتباع العلويّين وإنزال أقصى العقوبات بهم ، وقد ذكرنا أمثلة كثيرة لذلك في موسوعة أئمّة أهل البيت عليهم‌السلام.

وكلّ هذه المآسي التي اكتوت بها الأُمّة كانت ناجمة عن فصل الخلافة عن أهل البيت عليهم‌السلام ، الذين كانوا امتداداً ذاتياً لجدّهم الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله في سيرتهم وسلوكهم ، وسائر مناحي حياتهم.

ومن المؤكّد هو أنّ الأُمّة لو سارت على المنهج المشرق الذي خطّه الله تعالى ورسوله لسادت فيها العدالة الاجتماعيّة ، وما منيت بالهفوات العنيفة والزلازل المدمّرة في جميع مناحي حياتهم ، ولأكل النّاس من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم ، وباؤوا برحمة الله تعالى ولطفه.

ثامناً : المنع من تدوين الحديث النبوي

وثمّة مشكلة أُخرى لا تقلّ خطورتها عمّا ذكرناه من متارك السقيفة ، وهي منع الحكم القائم بزعامة أبي بكر من تدوين الأحاديث النبويّة بعد أن دعا إليها المفكّرون من أعلام الصحابة ، خوفاً من الزيادة أو النقصان فيها أو الافتعال المتعمّد ، وهي دعوة ذات أهمّية بالغة ، ففيها صيانة للأحاديث النبويّة من الوضّاعين والكاذبين الذين لا يرجون لله تعالى وقاراً ، كما فيها صيانة لكرامة الإسلام من أن تضاف إليه بعض الأخبار المفتعلة التي تتنافى مع روح الإسلام وهديه.

لقد أكّد النبيّ ﷺ على كتابة أحاديثه ، ووعد بالأجر الجزيل عند الله تعالى لمن قام بهذه المهمّة ، حيث قال ﷺ :

« مَنْ كَتَبَ عَلَيَّ عِلْماً أَوْ حَديثاً لَمْ يَزَل يُكْتَبْ لَهُ الْأَجْرُ ما بَقِيَ ذلِكَ الْعِلْمُ أَوِ الْحَديث »(١).

وهي دعوة فيها كثير من الاهتمام على تدوين الحديث ؛ لأنّ فيه خدمة للفكر والعلم ، وخدمة للإسلام ، إلّا أنّ أبا بكر وعمر اتّخذا قراراً بالمنع من التدوين بحجّة الخوف على كتاب الله تعالى أن يترك المسلمون قراءته ، وينصرفوا إلى قراءة الحديث النبوي ، وهذا نصّ ما رواه عروة بن الزبير.

روي أنّ عمر بن الخطّاب أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب رسول الله ﷺ فأشاروا عليه بكتابتها ، فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً ، ثمّ أصبح يوماً فقال : إنّي كنت أُريد أن أكتب السنن ، وإنّي ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتبا ، فأكبّوا عليها وتركوا كتاب الله »(٢).

وهذا الاعتذار مرفوض ؛ لأنّ القرآن الكريم له أُسلوبه الخاصّ الذي لا يشابهه الحديث مطلقاً ، وثانياً أنّ الحديث النبوي مرتبط بالكتاب العزيز ، مخصّص لعموماته ، ومقيّد لمطلقاته ، ومبيّناً لناسخه من منسوخه ، ومبيّناً لمجمله ، فكيف لا يعنى به.

وأكبر الظنّ أنّ كوكبة كبيرة من الأحاديث النبويّة في فضل العترة الطاهرة وأهمّيتها في الإسلام ، وتدوين فضلها ممّا يتنافى مع ما صمّم عليه القرشيّون

---

(١) تاريخ الخلفاء / السيوطي : ٩٣.

(٢) الطبقات الكبرى / ابن سعد : ٣/٣٠٦. مختصر جامع بيان العلم : ٣٦.

من إقصائها عن ميدان الخلافة ، وجعلها بمعزل تامّ عن الحياة السياسيّة والاجتماعيّة ، ومعاملتها معاملة عادية.

وعلى أي حال ، فإنّ المنع من تدوين الحديث النبوي من أقسى ما عاناه المسلمون من المشاكل والأزمات التي أدّت إلى افتعال الحديث ووضعه على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله ، والكثير من الموضوعات تتنافى مع الدين الإسلامي ، وهذا ما سنتحدّث عنه إجمالاً فيما يلي:

الأخبار الموضوعة

لا أعتقد أنّ حادثة أضرّت بالإسلام وفرّقت كلمة المسلمين كالأخبار الموضوعة التي تعمّدوا وضعها من أجل مصالح سياسيّة دعا إليها الحكّام دعماً لسياستهم وسلطانهم ، ومن الموضوعات ما يلي:

١ ـ فضائل الصحابة

وافتعلت طائفة من الأحاديث في فضل الصحابة لتعارض الأخبار الصحيحة في فضائل أهل البيت عليهم السلام ، وتلقي عليها الستار ، وتقلّل من أهمّيتها ، ومن بين هذه الأخبار الموضوعة:

١ ـ من الأحاديث المزيّفة ما روي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم»[(١)].

وهذا الحديث شامل لجميع الصحابة أجمعين اكتعين ، منهم المنافق أُبيّ بن كعب ، والضالّ أبو سفيان ، ومعاوية ، ومروان وأمثالهم من الذين عانى المسلمون منهم

---

(١) ضعّف المتّقي الهندي الحديث في كنز العمّال في باب الاعتصام بالكتاب والسنّة.

البلاء والمحن والخطوب.

٢ ـ من الموضوعات في فضل الصحابة قوله ﷺ: «اطّلع الله سبحانه على أهل بدر فقال لهم: «افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم»(١).

وهذا الحديث مجافٍ لعدالة الله الذي يحاسب عباده على أعمالهم الصغيرة والكبيرة، فلو اقترف شخص من أهل بدر قتل النفس المحترمة أو ظلم إنساناً بغير حقّ أو زنا أو سرق وغير ذلك من المحرّمات، فإنّه بحسب عموم هذا الحديث الشامل لهذه الأُمور، فإنّه معفوّ عنه، مغفور له، وهذا ممّا يتصادم مع قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا ﴾(٤).

إلى غير ذلك من الأحاديث التي افتعلت لتبرير ما ارتكبه بعض الصحابة من الجرائم والموبقات.

٢ ـ فضائل الخلفاء الثلاثة

وافتعلت روايات كثيرة في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان منها هذه الرواية:

قال رسول الله ﷺ: «ما في الجنّة شجرةٌ إلّا مكتوبٌ على كلّ ورقة منها: لا إله

---

(١) صحيح البخاري: ١٩/٤. مسند أحمد بن حنبل: ٨٠/١.

(٢) سورة النجم: الآيتان ٣٩ و ٤٠.

(٣) سورة الزلزلة: الآيتان ٧ و ٨.

(٤) سورة النساء: الآية ٩٣.

إلّا الله محمّد رسول الله أبو بكر الصدّيق، عمر الفاروق، عثمان ذو النورين»[١].

وهذا الحديث من موضوعات عليّ بن جميل الرقي أخرجه الطبراني[٢]، وكثير من مثل هذه الأخبار المزوّرة وردت في فضل الخلفاء الثلاثة. وقد كذّب الجاحظ والسيوطي الكثير من مناقب الخلفاء الثلاثة.

قال ابن أبي الحديد: «روى ابن عرفة المعروف بابن نفطويه وهو من أكابر المحدّثين وأعلامهم في تأريخه أنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيّام بني أُميّة تقرّباً إليهم، بما يظنّون أنّهم يرغمون به أُنوف بني هاشم»[٣].

٣ ـ فضائل الشيخين

وافتعلت في فضائل الشيخين كثير من الأحاديث منها:

١ ـ روى أنس، قال: «آخى النبي ﷺ بين كتفي أبي بكر وعمر، فقال لهما: أنتما وزيراي في الدنيا والآخرة، ما مثلي ومثلكما في الجنّة إلّا كمثل طائر يطير في الجنّة، فأنا جؤجؤ الطائر، وأنتما جناحاه، وأنا وأنتما نسرح في الجنّة، وأنا وأنتما نزور ربّ العالمين، وأنا وأنتما نقعد في مجالس الجنّة، فقيل له: وفي الجنّة مجالس، فقال: نعم مجالس ولهو، فقيل: أي شيء لهو الجنّة؟ قال: آجامٌ من قصب من كبريت أحمر، رحلها الدرّ الرَّطب، فيخرج ريحٌ من تحت ساق العرش يقال لها الطيبة فتثور تلك الآجام فيخرج صوت ينسي أهل الجنّة أيام الدنيا وما كان فيها».

---

(١) موسوعة الغدير: ٢٩٧/٥.

(٢) تاريخ بغداد: ٤/٥.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٣٦/١. لسان الميزان: ٦٢/٢.

وهذا الحديث من موضوعات زكريا بن دريد الكندي، أخرجه ابن حبّان، وقال: موضوع[١].

٢ ـ روى أبو هريرة أنّ النبيّ ﷺ قال: «إنّ في السماء الدنيا ثمانين ألف ملك يستغفرون الله تعالى لمن أحبّ أبا بكر وعمر، وفي السماء الثانية ثمانون ألف ملك يلعنون من أبغض أبا بكر وعمر».

علّق الخطيب البغدادي على هذا الحديث أنّه من موضوعات العدوي على كامل بن طلحة[٢].

٣ ـ قال ﷺ: «إنّ سيّدي كهول أهل الجنّة أبو بكر وعمر»[٣].

وقد عرض هذا الحديث على الإمام الجواد، وهو في فجر الصبا، فتبسّم، وعلّق عليه أنّ الجنّة ليس فيها شيوخ ولا كهول، وإنّما هم شباب مرد، وقد عارض هذا الحديث المفتعل الحديث المتواتر عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة»، إلى غير ذلك من الأخبار المفتعلة في فضائل الشيخين.

روايات في فضل أبي بكر

ودوّنت في الصحاح والسنن روايات كثيرة في فضل أبي بكر، منها:

١ ـ «كان النبيّ ﷺ إذا اشتاق إلى الجنّة قبّل شيبة أبي بكر».

عدّ هذه الرواية الفيروزآبادي في سفر السعادة، والعجلوني[٤] من أشهر

---

(١) الغدير: ٥/٣٠٣.

(٢) تاريخ بغداد: ٣/٣٨٣. الغدير: ٥/٣٦.

(٣) الغدير: ٥/٣٢٢. هذه هي الشيعة: ١٢٤.

(٤) كشف الغطاء: ٢/٤١٩.

الموضوعات والمفتريات المعلوم بطلانها ببداهة العقل[١].

٢ ـ روى عبدالله بن عمر، عن النبيّ ﷺ: «أنّه لمّا ولد أبو بكر اطّلع الله تعالى على جنّة عدن، فقال: وعزّتي وجلالي، لا أُدخلك إلّا من أحبّ هذا المولود»، علّق الخطيب البغدادي على هذه الرواية أنّها باطلة وفي سندها غير واحد من المجهولين[٢].

٣ ـ روى البراء مرفوعاً: «إنّ الله تعالى اتّخذ لأبي بكر في أعلى عليّين قبّة من ياقوتة بيضاء معلّقة بالقدرة، تخرقها رياح الرحمة، للقبّة أربعة آلاف باب، كلّما اشتاق أبو بكر إلى الله تعالى انفتح منها باب ينظر إلى الله عزّ وجلّ».

وهذه الرواية من موضوعات محمّد بن عبدالله أبي بكر الأشناني، عدّه الذهبي من طامات أبي بكر الأشناني[٣].

٤ ـ روى أبو هريرة عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «لمّا عرج بي إلى السماء فما مررت بسماء إلّا وجدت بها مكتوباً: محمّد رسول الله، وأبو بكر الصدّيق من خلفي».

علّق ابن حجر على هذه الرواية: أنّ ابن حبّان قال إنّها من الأخبار الباطلة[٤].

وكثير من أمثال هذه الروايات قد وضعت للإشادة بأبي بكر.

روايات في فضل عمر

حفلت كتب الصحاح وغيرها بالأخبار الكثيرة في فضل عمر بن الخطّاب، منها:

---

(١) الغدير: ٣١٢/٥.

(٢) تاريخ بغداد: ٣٠٩/٣. الغدير: ٣٠٠/٥.

(٣) الغدير: ٣٠١/٥.

(٤) تهذيب التهذيب: ١٣٨/٥.

١ ـ قال رسول الله ﷺ: «إنّ عمر محدَّث ـ بصيغة المفعول ـ أي تحدّثه الملائكة»(١).

٢ ـ قال رسول الله ﷺ: «إنّ عمر يلقّنه الملك»(٢).

٣ ـ قال رسول الله ﷺ: «إنّ السكينة تنطق على لسان عمر»(٣).

إلى غير ذلك من الروايات التي وضعت للإشادة بفضل عمر بن الخطّاب.

روايات في فضل عثمان

ذكرت طائفة من الأخبار في فضل عثمان بن عفّان، منها:

١ ـ روى أنس مرفوعاً: «أنّ النبيّ ﷺ قال: لمّا أُسري بي دخلت الجنّة، فإذا أنا بتفّاحة تعلّقت بحوراء، قالت: أنا للمقتول ظلماً عثمان»، أخرجه الذهبي عن طريق عبّاس بن محمّد العدوي الوضّاع(٤).

٢ ـ قال رسول الله ﷺ: «إنّ الملائكة لتستحي من عثمان»(٥).

لِمَ تستحي الملائكة من عثمان لنفيه الصحابي العظيم أبي ذرّ الغفاري الذي هو شبيه السيّد المسيح في تقواه وورعه، فقد نفاه إلى الربذة ومات فيها جائعاً غريباً، وفي يد عثمان ذهب المسلمين يعطيه بلا حساب إلى مروان وأبيه وسائر أُسرته، وقال: «لو أنّ بيدي مفاتيح الجنّة لأعطيتها لبني أُميّة»؟!

أم أنّ حياء الملائكة لضربه الصحابي العظيم عمّار بن ياسر حتّى أصابه الفتق؟!

---

(١) ـ (٣) هذه هي الشيعة: ١٢٤.

(٤) ميزان الاعتدال: ٢/٢٠.

(٥) هذه هي الشيعة: ١٢٤.

أم أنّ حياء الملائكة لتنكيله بالصحابي الجليل عبدالله بن مسعود ، وحرمانه من العطاء حتّى توفّي فقيراً جائعاً ؟!

إلى غير ذلك من الأحداث التي اقترفها عثمان ، فلماذا تستحي الملائكة منه.

روايات في فضل معاوية

من الموضوعات والمفتريات الروايات على النبيّ ﷺ في فضل معاوية بن هند آكلة الأكباد ، منها :

١ ـ قال النبيّ ﷺ : « لا أفتقد أحداً من أصحابي غير معاوية بن أبي سفيان لا أراه إلّا بعد ثمانين عاماً ـ أو سبعين عاماً ـ فإذا كان بعد الثمانين أو السبعين عاماً فيقبل عليّ على ناقة من المسك الأذفر ، حشوها من رحمة الله تعالى ، قوائمها من الزبرجد ، فأقول : معاوية ، فيقول : لبّيك يا محمّد ، فأقول : أين كنت في ثمانين عاماً ؟ فيقول : كنت في روضة تحت عرش ربّي يناجيني وأُناجيه ، ويقول : هذا عوض ممّا كنت تشتم في دار الدنيا ».

هذا الحديث من موضوعات عبد الله بن حفص الوكيل. قال ابن عدي : « موضوع لا أشكّ أنّه واضعه » ، وقال الخطيب : « باطل إسناداً ومتناً » ، وعلّق عليه ابن عساكر قال : « هذا حديث منكر »(١).

أقول : لماذا يفتقد رسول الله ﷺ معاوية بن أبي سفيان ، وهو صاحب الأحداث الجسام في الإسلام ، فقد حارب وصيّ رسول الله ﷺ وباب مدينة علمه ، وأراق أنهاراً من دماء المسلمين ، واغتال بالسمّ ريحانة رسول الله ﷺ الإمام الحسن عليه‌السلام ،

---

(١) الغدير : ٥/٢٩٩.

وقتل خيار الصحابة أمثال حجر بن عدي وعمرو بن الحمق الخزاعي وغيرهم من عيون المتّقين، وأمثال ذلك من الموبقات والجرائم.

٢ ـ روى أنس: «أنّ النبيّ ﷺ قال: الأُمناء سبعة: اللوح، والقلم، وإسرافيل، وميكائيل، وجبرئيل، ومعاوية»(١).

ذكره ابن كثير، وجعله من الأحاديث المنكرة(٢) على شدّة ولائه للأمويّين، وعلّق عليه المحقّق الكبير الشيخ الأميني بقوله: «تعساً لأُمّة تروي مثل هذه المخازي، ولم تنل جبهتها حياءً. أليس عاراً على الإسلام وأهله أن يجعل معاوية الخؤون ندّاً لنبيّه وأُمناء الله المعصومين»(٣).

كما أنّ من الروايات قد وضعت لتشويه شخصيّة الرسول العظيم ﷺ كسماعه للغناء والرقص، وعائشة فوق كتفه(٤)، إلى غير ذلك من الأحاديث المنكرة التي وضعها كعب الأحبار وأمثاله من الإسرائيليّين للحطّ من شأن النبيّ العظيم الذي ملأ فم الدنيا في فضائله ومآثره التي ساد بها على جميع النبيّين.

وامتدّت الأخبار إلى الله تعالى وأنّه يأتي يوم القيامة إلى نار جهنّم فيقول لها: «هل امتلأت؟» فتقول: هل من مزيد، فيرجل رجله فيها فتقول: قطّ قطّ بعزّتك وكرمك اكتفيت.

هذه نماذج من الروايات المفتعلة التي ملئت منها الصحاح في فضل الصحابة وغيرهم، وقد افتعلت دعماً لسياسة الأمويّين والعبّاسيّين الذين انحرفوا بجميع

---

(١) و (٢) تاريخ ابن كثير: ١٢٠/٨.

(٣) الغدير: ٣٠٨/٥.

(٤) الطبقات الكبرى / ابن سعد: ١٤٥/٦. السيرة الحلبيّة: ١٢٥/١.

مخطّطاتهم عن الخطّ الإسلامي، وقد كذّب الجاحظ والسيوطي الكثير من الأخبار التي وردت في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان[١].

معاوية ووضع الحديث

والشيء المحقّق أنّ معاوية هو المسؤول أمام الله تعالى وأمام التأريخ عن وضع الأحاديث وافتعالها التي شوّهت دين الله العظيم، وأساءت إلى الإسلام وحماته، ويقول المؤرّخون: إنّه كتب إلى عمّاله وولاته هذه الرسالة:

«انظروا من قِبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه وأهل بيته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم وقرّبوهم وأكرموهم، واكتبوا إلي بكلّ مَنْ يروي، اسمه واسم أبيه وعشيرته»، ففعلوا ذلك حتّى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه.

ولمّا كان معاوية يبعث إلى الوضّاعين من الصلات والكساء والحباء والقطائع ويفيض ذلك بسخاء فكثر الوضّاعون في كلّ مصر، وتنافسوا على المال والقرب من السلطة، وسجّلت أسماؤهم في قائمة المقرّبين من الدولة[٢]، وهكذا سار معاوية في مخطّطه الهادف إلى محق الإسلام وإقصاء أهل البيت عليهم السلام عن واقع الحياة.

قال أبو جعفر الإسكافي: إنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وعروة بن الزبير[٣].

---

(١) اللالىء المصنوعة: ٢٨٦/٦.

(٢) النصائح الكافية: ٧٢.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١٥٨/١.

رسالة أُخرى لمعاوية

وكتب معاوية رسالة أُخرى إلى عمّاله وولاته جاء فيها:

«إنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلّ مصر، وفي كلّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا، فادعوا النّاس إلى الرواية في فضائل الصحابة، والخلفاء الأوّلين، ولا تتركوا خبراً من المسلمين في أبي تراب إلّا وائتوا بمناقض له في الصحابة، فإنّ هذا أحبّ إليَّ، وأقرّ لعيني، وأدحض لحجّة أبي تراب وشيعته، وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضله».

وقرأت رسالته على النّاس، وافتعلت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة لا حقيقة ولا واقع لها، وجدّ النّاس في افتعال الروايات المؤيّدة لرغبات السلطة، وتليت الأخبار الموضوعة على المنابر، وأُلقيت إلى معلّمي الكتاتيب، فعلّموا بها صبيانهم وغلمانهم، وتعلّموها كما يتعلّمون القرآن الكريم، وتغذّت بها نساؤهم وصبيانهم وخدمهم[1].

وقد أدّت هذه الأخبار الموضوعة إلى إفساد عقائد المسلمين وإلقاء الفتن فيما بينهم، وفيما أحسب أنّ أعظم ما مني به المسلمون من الأحداث الخطيرة هي الأخبار المفتعلة التي ألقت العظمة والتكريم على كثير من الشخصيات التي ليس لها رصيد إسلامي، كمعاوية وأمثاله من المنحرفين عن الخطّ الإسلامي.

رسالة خطيرة لمعاوية

وهذه رسالة خطيرة ومهمّة جدّاً لمعاوية بعثها جواباً عن رسالة محمّد بن أبي بكر

---

(١) السقيفة انقلاب أبيض: ٢٨٢، نقلاً عن الاستيعاب: ٦٥/١.

الذي دعاه إلى بيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد عزا الأحداث التي جرت بين المسلمين إلى أبي بكر وعمر ، وهذا نصّها :

«من معاوية بن صخر إلى الزاري على أبيه محمّد بن أبي بكر .

فقد أتاني كتابُك تذكر فيه ما الله أهلُه في عظمته وقدرته وسلطانه ، وما أصفى به نَبِيّه ، مع كلام كثير ألفتَه ووضعته لرأيك فيه تضعيف ، ولأبيك فيه تعنيف ، ذكرتَ فيه حقّ ابن أبي طالب ، وقديمَ سوابقه وقرابته من نبيّ الله ، ونصرته له ، ومواساته إيّاه ، في كلّ هَوْل وخوف ، فكان احتجاجك عليَّ ، وعيبك لي بفضل غيرِك لا بفضلك ، فاحمد إلٰهاً صرف ذلك الفضل عنك ، وجعله لغيرك ، فقد كُنّا وأبوك معنا في حياة من نبيّنا نعرف حقّ ابن أبي طالب لازِماً لنا ، وفضله مبرَّزاً علينا .

فلمّا اختار الله لنبيّه ما عنده ، وأتمّ له ما وَعَده ، وأظهر دعوتَه ، وأفلج حُجَّتَه ، قبضه الله إليه ، فكان أبوك وفاروقُه أوّل من ابتزّه حقّه ، وخالفه على أمره ، على ذلك اتّفقا واتّسقا ، ثمّ انّهما دعَوَاه إلى أنفسهم فأبطأ عنهما وتلكّأ عليهما ، فهمّا به الهموم ، وأرادا به العظيم ـ أي المقتل ـ .

ثمّ إنّه بايعهما وسلّم لهما ، وأقاما لا يشركانه في أمرهما ، ولا يطلعانه على سرّهما حتى قُبِضا وانقضى أمرهما ثمّ أقاما بعدهما عثمان بن عفّان يهتدي بهديهما ، ويسير بسيرتهما ، فعبتَه أنت وصاحبُكَ ، حتى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي ، وبطنتما وظهرتما ، وكشفتما له عداوتَكما وغِلَّكُما ، حتى بلغتما منه مناكما .

فخذ حِذرَك يابن أبي بكر ، فسترى وبالَ أمرك ، وقِسْ شبرك بفِتْرِك ، تقصُرْ عن أن توازي أو تساوي من يَزِنُ الجبال حلمه ، ولا تَلِينُ على قَسْرٍ قَناتُه ، ولا يُدرِك ذو مَدًى أناته ، أبوك مهّد له مِهادَهَ ، وبنَى مُلكه وشاده ، فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك أوّلهُ ، وإن يكُ جَوْراً فأبوك أسّسه ، ونحن شركاؤه ،

فبِهَدْيِهِ أخذنا ، وبفعله اقتدينا ، ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب ، ولسلّمنا إليه ، ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا ، فاحتذينا بمثاله ، واقتدينا بفعالِه ، فعِبْ أباك بما بدا لك ، أو دَعْ ذلك ، والسلام على من أنابَ ورجع من غوايته وتاب وناب»[١].

ألقت هذه الرسالة الأضواء على إعلان معاوية للعصيان المسلّح على الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام كان مستنداً إلى أبي بكر وعمر ، فهما باستيلائهما على الحكم قسراً ، وسلبه من الإمام قد مهّدا له الطريق لقيامه بمنازعة الإمام وإعلان الحرب عليه.

وعلى أي حال ، فإنّ جميع الأحداث المؤسفة التي مني بها العالم الإسلامي يستند إلى أحداث السقيفة ، فهي التي جرّت للمسلمين الويل والعطب.

كلمة آل ياسين

تحدّث سماحة الحجّة المغفور له الشيخ راضي آل ياسين عن الفتن السود التي ابتلي بها العالم الإسلامي ، وأنّها ناجمة عن فصل الخلافة عن أهل البيت عليهم‌السلام التي هي من متارك السقيفة. قال :

«فكانت عمليّة الفصل ـ أي فصل الخلافة عن عترة الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله ـ هي مثار الخلافات التاريخيّة الحمر بين عشّاق الخلافة في مختلف الأجيال ، ومبعث مآس فظيعة بين المسلمين ، ومصدر انعكاسات مزرية في مثالية الإسلام كان المسلمون في غنى عنها لو قدّر للخلافة ـ في يومها الأوّل ـ أن تأخذ طريقها اللاحب الذي لا يجوز فيه اجتهاد ، ولا تمسّه سياسة ، ولا يتصرّف فيه أحد غير الله تعالى ورسوله.

---

(١) مروج الذهب : ٦٠/٣. شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ٢٨٤/١. طبقات ابن سعد : ١٥/٣. وقعة صفّين : ١١٩.

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِن أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً ﴾[١].

وهل كان التناحر والتطاحن المديد العمر، المتوارث مع الأجيال فيما بين الأُسر البارزة في المسلمين إلّا نتيجة فسح المجال لهذا أو ذاك في الطماح إلى غزو المقام الرفيع؟ وهل كانت المجازر الفظيعة التي جابهها المسلمون في الفترات المختلفة من تاريخ الإسلام بين بني هاشم وبني أُميّة، وبين بني الزبير وبني أُميّة، وبين بني العبّاس وبين بني أُميّة، وبين بني عليّ وبني العبّاس... إلّا النتيجة المباشرة لفصم ذلك التقليد الديني الذي احتاط به رسول الله ﷺ ليكون حائلاً دون أمثال هذه المآسي، والأحداث المؤسفة في الإسلام.

وهل كانت فجائع العترة الفريدة من نوعها، ـ بالقتل والصلب والسبي والتشريد ـ إلّا أثر الخطأة الأُولى التي خولفت بها سياسة النبيّ ﷺ فيما أراده لأُمّته ولعترته، وفيما حفظ به أُمّته وعترته جميعاً، فلو أنّهم أطاعوه فيما أراد.

ولكنّهم جهلوا مغزى هذه السياسة البعيدة النظر، فكرهوا اجتماع النبوّة والخلافة في بيت واحد[٢] انصهاراً بسياسة أُخرى، وكانت هي المعذرة الظاهرة التي لم يجدوا غيرها معذرة يبوحون بها للنّاس، أمّا معذرتهم الباطنة فلا يعلم بها إلّا العالم ببواطن الأُمور، وهي على الأكثر لا تعدو الذكريات الدامية في حروب الدعوة الإسلاميّة أو الحسد الذي «يأكل الدين كما تأكل النّار الحطب»، كما في الحديث الشريف.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.

(٢) عدم اجتماع النبوّة والخلافة في بيت واحد هو الشعار الذي تبنّته أعمدة الأُسر القرشيّة التي جهدت على صرف الخلافة عن أهل البيت عليهم السلام.

وكان حبّ الرياسة وشهوة الحكم شرّ أدواء النّاس وبالاً على النّاس، وأشدّها استفحالاً في طباع الأقوياء من زعماء ومتزعّمين.

وما النبوّة ولا الإمامة بما هما ـ منصب إلهي ـ من مجالات السياسة بمعناها المعروف، وكلّ سياسة في النبوّة أو في شيء من ذيولها الإداريّة، فهو دين وإلى الدين، والمرجع الوحيد في كلّ ذلك هو صاحب الدين نفسه، وكلمته هي الفصل في الموضوع...»(١).

ورأي سماحة الحجّة آل ياسين وثيق للغاية، فإنّ الأحداث الجسام التي امتحن بها المسلمون امتحاناً عسيراً كانت من النتائج المباشرة لأحداث السقيفة التي كان من نتائجها ترويع العترة الطاهرة التي هي معدن الحكمة ومصدر الوعي والإلهام في العالم الإسلامي.

ولو أنّ الأُمّة تابعت الرسول ﷺ فيما قرّر لها من مصير مشرق على أرقى ما يكون لها ولما يأتي بعدها من أجيال في جميع الأحقاب والآباد لكانت ـ بلا شكّ ـ الرائدة الأُولى لشعوب العالم في حضارتها وأمنها ورخائها.

لقد أراد النبيّ ﷺ لأُمّته أن تكون قيادتها العامّة، ومسيرتها السياسيّة بيد أبنائه وعترته من ذوي المواهب والكفاءات العالية المتحرّجين في دينهم، والذين يؤثرون صالح الأُمّة على كلّ شيء.

ومن المؤكّد أنّ الأُمّة لو تابعت نبيّها الحريص عليها، الذي يعزّ عليه عنتها لما بليت بالطغاة المستبدّين الذين حكموها بلغة النطع والسيف، وأشاعوا فيها الجور والارهاب، واتّخذوا مال الله دولاً وعباده خولاً، وسخّروا اقتصاد الأُمّة لرغباتهم

---

(١) صلح الحسن: ٢٨ و ٢٩.

الخاصّة ولياليهم الحمراء، كما يراه أدنى متتبّع في مصادر التاريخ.

وبهذا نطوي الحديث عن دراستنا لأحداث السقيفة التي روِّع بها المسلمون منذ تأسيسها حتّى يوم النّاس هذا. آملاً أن يجد القارئ في هذه البحوث المتعة والفائدة في الاطّلاع على حقيقة ما وقع، وهو ما أتمنّاه.

المصادر

إثبات الوصية	المسعودي
الأحكام السلطانيّة	الماوردي
الاختصاص	الشيخ المفيد
الإدارة العربيّة	
الاستيعاب	ابن عبدالبرّ
أُسد الغابة	ابن الأثير
الإصابة	ابن حجر العسقلاني
أُصول الكافي	الشيخ الكليني
أعلام النساء	عمر كحالة
الأغاني	أبو الفرج الاصفهاني
الإمامة والسياسة	ابن قتيبة
أنساب الأشراف	البلاذري
بحار الأنوار	العلّامة المجلسي
البداية والنهاية	ابن كثير
البدء والتاريخ	أبو طاهر المقدسي
بلاغات النساء	أحمد بن أبي طاهر
تاريخ ابن خلدون	ابن خلدون المغربي

تاريخ أبي الفداء	إسماعيل بن عليّ عماد الدين
تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي
تاريخ الخميس	الحسين بن محمّد الدياربكري
تاريخ الطبري	الطبري
تاريخ اليعقوبي	أحمد بن أبي يعقوب
تفسير الرازي	الرازي
تفسير روح المعاني	الآلوسي
تفسير الطبري	الطبري
تفسير الكشّاف	الزمخشري
تفسير مجمع البيان	الطبرسي
تمام المتون	صلاح الدين الصفدي
تمهيد الباقلاني	الباقلاني
التنظيم الدولي	بطرس بطرس غالي
تهذيب التهذيب	ابن حجر العسقلاني
حلية الأولياء	أبو نعيم الاصفهاني
حياة الإمام الحسن عليه السلام	المؤلّف
حياة الإمام الحسين عليه السلام	المؤلّف
حياة الحيوان	الدميري
حياة سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام	المؤلّف
الخصال	الشيخ الصدوق
الخلفاء الراشدون	عبدالوهاب النجّار
الدرّ المنثور	السيوطي
درّة الناصحين	عثمان بن حسن الخوبوي

دلائل الصدق	الصدوق
ديوان الحميري	الحميري
ذخائر العقبى	محبّ الدين الطبري
الرياض النضرة	الطبري
سنن ابن ماجة	ابن ماجة
سنن البيهقي	البيهقي
السيادة العربيّة	لفان فلوتن
السيرة الحلبية	الحلبي
شرح نهج البلاغة	ابن أبي الحديد
صحيح البخاري	البخاري
صحيح الترمذي	الترمذي
صحيح مسلم	مسلم
الطبقات الكبرى	ابن سعد
العقد الفريد	ابن عبدربّه
عليّ وبنوه	طه حسين
الغدير	العلّامة الأميني
فضائل الخمسة من الصحاح الستّة	الفيروزآبادي
فوات الوفيات	ابن شاكر الكتبي
الكامل في التاريخ	ابن الأثير
كلّيات أبي البقاء	أبو البقاء الكفوي
كنز العمّال	المتّقي الهندي
كنوز الحقائق	المناوي
الكنى والألقاب	القمّي

لسان العرب	ابن منظور
لسان الميزان	ابن حجر
مجمع الزوائد	نور الدين الهيثمي
المراجعات	الإمام شرف الدين
مروج الذهب	المسعودي
مستدرك الحاكم	الحاكم النيسابوري
مسند أحمد بن حنبل	أحمد بن حنبل
معجم ابن العربي	ابن الأعرابي
معجم الأُدباء	ياقوت الحموي
مقتل الحسين عليه السلام	الخوارزمي
الملل والأهواء	ابن حزم
الملل والنحل	الشهرستاني
مناقب آل أبي طالب	ابن شهرآشوب
موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام	المؤلّف
موسوعة الإمام الصادق عليه السلام	المؤلّف
الموفّقيات	الزبير بن بكّار الزبيري
ميزان الاعتدال	الذهبي
النصّ والاجتهاد	الإمام شرف الدين
النهاية في غريب الحديث	ابن الأثير
وفاء الوفاء	نور الدين السمهودي
وقعة صفّين	نصر بن مزاحم
الهاشميّات	الكميت
هذه هي الشيعة	المؤلّف

المحتويات

تمهيد
١٣ ـ ٣٠

الخلافة ضرورة إسلامية

الإمام عليه السلام في رحاب القرآن الكريم

الإمام عليه السلام في ظلال السُّنة

الدعم النبوي الكامل للخلافة الإسلامية

المأساة الخالدة

الفتنة الكبرى

١٢١ ـ ٢٠٣

نتائج مؤتمر السقيفة

٢٠٥ ـ ٢٤١

هذا الكتاب

أوّل مؤتمر سياسي عقد في الإسلام هو مؤتمر السقيفة، وقد انعقد بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة، وقبل أن يوارى جثمانه المقدّس في مثواه الأخير، وقد بدا الصراع بين أعضاء المؤتمر كأشدّه على الاستيلاء على السلطة من دون أن ينطلق صوت واحد مطالباً لمصلحة الامّة، وضمان حقوقها بعد ما منيت به من هول الكارثة المدمّرة، وهي وفاة المنقذ العظيم النبي ﷺ.

إنّ مؤتمر السقيفة من أهم الأحداث الحسّاسة في حياة المسلمين، ويجب ان تدرس بأمانة وإخلاص على ضوء الفكر و العلم بعيدة عن التيّارات المذهبيّة ومن المؤكّد انّ دراستها والتأمّل فيها، والنظر في فصولها بدقّة يعود على الامّة بالثمرات النافعة التي منها جمع الكلمة ووحدة الشمل.

في طليعة هذا الكتاب البحث عن موقف الإسلام من الخلافة، وأنّها من صميم حياة المسلمين، وتأكيد النبي ﷺ البالغ على ضرورتها، وأنّها عنصر هامّ في حياتهم السياسيّة والاجتماعيّة، لاتستقيم لهم حياة من دونها.

ومن المؤكّد أنّ هذه البحوث ليس فيها أيّة دعوة لتفريق المسلمين و لاتصديع لشملهم، و إنّما هي دراسة جادّة لأخطر حدث سياسي في تاريخ الإسلام.